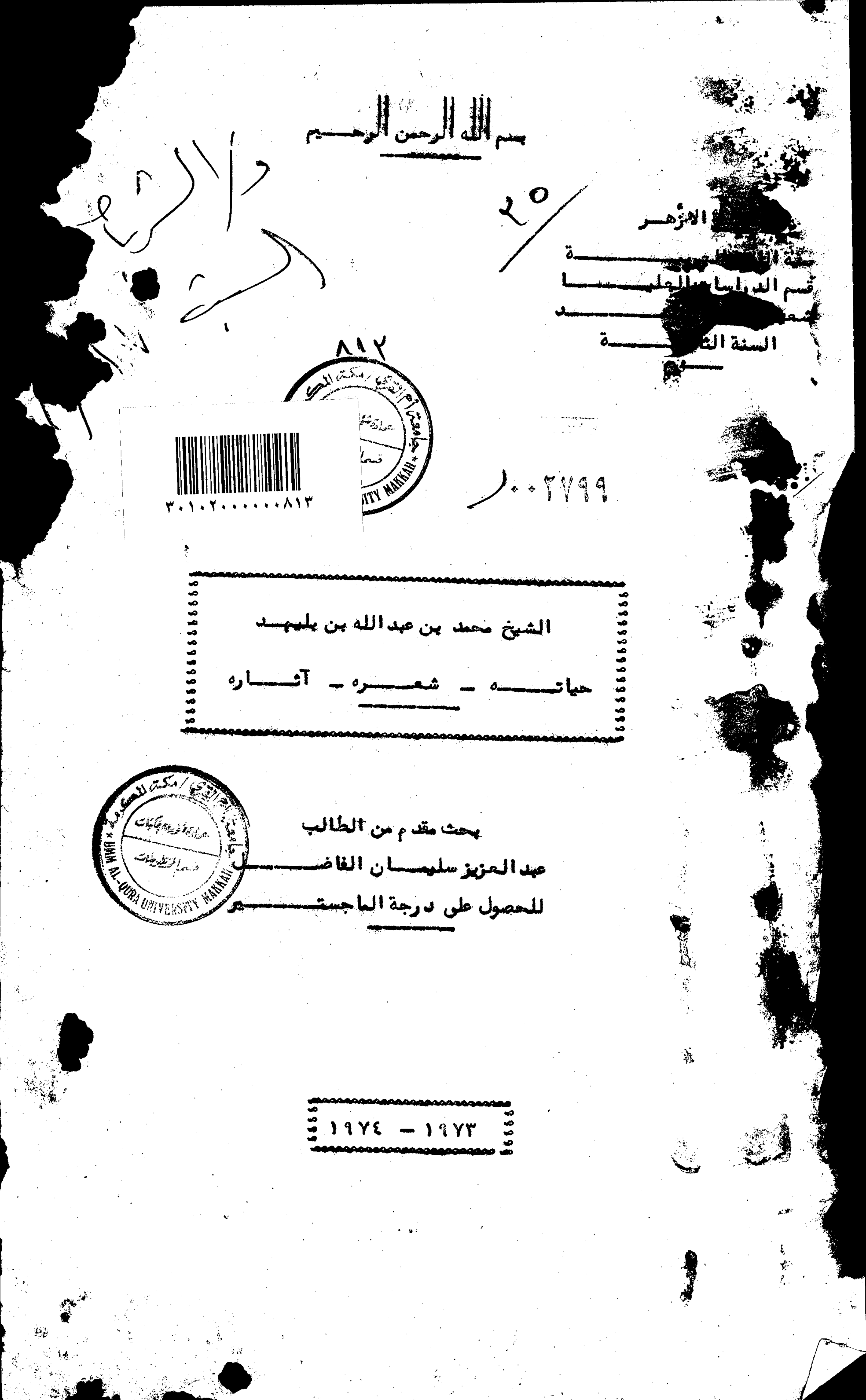


بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] الأزهر
[illegible]ة
قسم الدراسات العليا
[illegible]د
السنة الث[illegible]ة

الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

حياته - شعره - آثاره

بحث مقدم من الطالب
عبد العزيز سليمان الفاضل
للحصول على درجة الماجستير

١٩٧٣ - ١٩٧٤

" مقـــــــــــــــدمة "

حينما يفكر طالب يتهيأ لافتراع القمم العالية من مراحل التعليم فى موضوع رسالته فان أقرب الخواطر لديه تنثال من مسرح طفولته ، وتنبعث من أول أرض مس جلده ترابها ، ولا يزال تبهاء محيطه . وأفذاذ بلـــده ، من جراء تكرار ذكرهم ، وما تختزنه عنهم ذاكرته ، من أحاديث تمــلأ المسامع ، لا تزال تهيمــن على ذاكرته ، وتستبد باعجابه .

* * *

لذا ليس غريبا على النجيب الفاضل " عبد العزيز سليمان الفاضـــل " أن يكون موضوع رسالته نابعا من قريته ، منطلقا من ريفه ، والريف منــذ الأزل ، لن يزال ولودا منجبا ، دفع بعباقرة الفكر ، والفن ، والاختراع ، والابداع ، الى هذا الوجود ، فكانوا عين انسانه ، وواسطة عقده .

* * *

وصاحب هذه الرسالة ، وليد الريف وتليده ، ذاق خشونـــة عيشه ، وقسوة طبيعته ، وألف بساطته وسماحته وصفاء سجيته ... مـــن " غسلة " احدى قرى اقليم الوشم ، من قلب نجد ، خصبة منجبـــة ، يزينها بنوها من الشعراء فأطلقوا فيها نفحاتهم ، وتغزلوا بمحاسنهـــا ، واستنطقوا مفاتنها ..

* * *

وأبعدهم ذكرا ، وأنداهم صيتا ، موضوع هذه الرسالة " محمد بن عبد الله بن بليهد " أديب راويه ، ورائد من رواد الأدب فى نجـــد ، شق طريقه فى عالم الأدب ، يوم كان الطريق مجهولا ، وسلكه وعــرا ، فى وسط يرى الاشتغال بالأدب ملهاة ، والتعلق به هجنة ، ومـــا ثم من صحافة تحتضنه ، ولا وسيلة تنقله ، ولا مكتبات تزود متغيبـــه ، ولا سوق تنفق فيها بضاعته .. فراض " ابن بليهد " صعابه ، وذلـــل

يتأبد ، فجاء أدبه صورة أمينه ، لما قرأه من كتب القدامى ، وأفكارهم ، ومناهجهم ، وحينما يذكر "ابن بليهد" ، من بين أدباء نجد منذ فجر نهضته الحديثه .. تذكر الروايه على نحو ما كان رواة العرب الأوائل يتحلون بها ، تأتى ثرة فضفاضه ، يستدرها تداعى المعانى ، وينهضها توارد الخواطر ، ويجلوها منطق درب ، ذلق ، ، جمع بين فصاحة الأعراب ، ومرونة الحضار ، فكأنما يسقى مستمعيه الحلاب بدر النياق .. وكأنما يتحدر من متون غمام .. موهبة لاتكاد تجدها الا فى النادر من أدباء تلك الطبقة ، ودعك ممن بعدهم ...

* * *

وحينما يذكر "ابن بليهد" أيضا ، يذكر شعر العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، حفل بذكر المعاهد والمرابع والمراتع والسهوب والسواس ، مثلت على متونها بطولات العرب ومفاخرهم ، وتألقت على ساحتها آدابهم ومآثرهم .. ليجيء "ابن بليهد" فيكون فى معرفة أعلامها علامه ، وفى الدلالة اليها خريتا ، وفيما اشتبه على غيره فيصلا وما نبرئه من سهو ، ولا نعفيه من وهم ، ولكنه جواد الحلبه لا يزحمه فى ميدانه هذا الا النوادر .. ويكفى ابن بليهد فخرا ، وحسبه بعد ذكر .. أن تسمويه موهبته الى هذا اليفاع ومن شرف العلم الى هذه القمة .. مما تتقاصر دونه المدارك ، وتقعد عن ادراك شأوه الملكات .

⁂

ونحن مع الاستاذ ، صاحب هذه الرسالة فيما أضفاه عليه من ثناء فى حدود هذه المواهب ، وفيما لم يقله عنه ، فلامشاحه فى ذلك ، ولا لبس ... ولكننا لا نوافقه على بعض الجوانب الأخرى ، فكل موهوب بلغ مابلغ من الموهبه ، لا يخلوا من جوانب نقص ، ولا غضاضة ، ولا ضير ، فالكمال لمن انفرد بالكمال ...... فأنا لست

مع صاحب هذه الرسالة فيما علمه على استاذنا "ابن بليهد" من العبقرية في الشاعرية ، لأن هذه الرسالة ملك للقارئ ، وسيحكم — ولا بدلها أو عليها .

وما لفت نظري في رسالة الأستاذ ، أنها لم تعط كل جانب من جوانب شخصية استاذنا "ابن بليهد" ما تستحقه فحسب ، بل طغى فيها جانب الجمال ، وهو ولا شك أليق بأستاذنا "ابن بليهد" وبالاستاذ عبد العزيز .

***

والجانب المشرق في هذه الرسالة ، هو ديباجتها الحلوه الجذابه ، وهو عطاء أدبي زاخر ، له ما بعده في حياة شاب لما يتجاوز بعد مراحل التعليم ، فاذا نميت هذه الديباجه ، وغذيت ، فسوف يكون لها شأن .

***

ومع ما أعجبت به من حلاوة ديباجة هذه الرسالة ، وجاذبية أسلوبها فانني أكبر الاستاذ الفاضل جهده المضني الذي بذله في هذه الرسالة على ندرة ما بين يديه من المراجع ، وعلى أن هذا البحث جديد لم يتناوله قبله الباحثون والمحققون الالماما .

***

وسوف ولا شك يكون لهذه الرسالة أثرها الكبير في اعطاء صورة واضحة من شخصية "ابن بليهد" خاصة ، ومن الظروف والملابسات التي أحاطت بحياته مما له مساس بالحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية في قلب جزيرة العرب ، مما سيجعلها مرجعا من المراجع المعتبره في هذا المجال .

***

ما أردت من مقدمتي هذه أن أتقفر جوانب هذه الرسالة ، واستعرض

أبوابها وفصولها فهى تعبر بنفسها عن نفسها ، ولكنها خواطر أوحـــت الى بها ، ولعلها تلقى ضوءًا على هذه الرسالة فى مبناها ومعناها .

***

وهى فرصة لى ، أتلع جيدى من خلالها ، لأحيى الأزهر الشريـــف ، وأحيى جهابذته الأعلام ، من تلميذ يدين للأزهر بالفضل ، ويعترف لـــه بالتلمذة ، فأنا غرسة نماها نميره ، وغذاها مدده .

" عبدالله بن محمد بن خميس "

٢٢/٥/١٣٩٤ هـ

* * *
* *
*

"تقديــــم"

حينما عقدت العزم على دراسة هذا الشاعر وما له من آثار فـــي مجالات الأدب ، والفكر والاجتماع وبدأت ابحث عن مادة لهذه الدراســه ، هالني جداً ما رايته على اسمه من غلالة كادت تستره عن العيان ، وتخفس اعماله ، وتطفى عليه ، وتخرجه من عالم الفكر والأدب ، حتى حس أو تماس عن دراسته من تقع عليهم مسئولية ذلك !!

***

وبالرغم من قلة تلك الكتب التى تعنى بدراسة الشعر والشعراء فـي نجد ، ونضرب عن كلمة قله ونقول انها محصورة فى كتابين فقط هما : "شعراء نجد المعاصرون" للأستاذ عبدالله بن دريس ، وكتاب "الأدب الحديث فى نجد" للأستاذ محمد بن حسين ، بالرغم من ذلك فانه لم يذكر بهنــت كلمة فى الكتاب الأول ، ولم يعط حقه من الكتاب الثانى .

***

فالأستاذ محمد بن حسين قد ألقى محاضرة عن "الشعر فى نجد" وكان ثلث هذه المحاضرة ـ فقط سعن نصيب شاعرنا ، فلا غرابة اذن الا يذكر عنه الا العناصر البارزه عند دراسة أى شاعر أو أديب وأما الأستاذ عبداللـــه ابن دريس ، فانه لأغراض شخصية ، أغفل ذكر هذا الشاعر من كتابـــــه ، وذلك أن الشيخ محمد بن بليهد ، كانت بينه وبين الاستاذ حمد الجاسـر خصومة نقدية فيما يكتبان كما يكون بين المتعاصرين من تنافس ، فجــاء الاستاذ عبدالله بن دريس ليقحم نفسه فى صف الأستاذ حمد الجاســر ويكتب فى صحيفة "البلاد" ما يعتقد أن الشيخ محمد بن بليهد قــد غلط فيه فى كتابه "صحيح الأخبار" الا أن الشيخ محمد بن بليهـــد اقتصر فى رده عليه بتصحيح أغلاط نحويه وقع فيها الأستاذ الدريــس أثناء نقده ، وعاب عليه أن ينقد بل ويكتب قبل أن يتمكن من اقامة لفظــه

فكان من الأستاذ الدريس أن غلب سلطان نفسه الذاتي ، على الواجب العلمي ، فهو حينما ألف كتابه السابق الذكر أهمل متعمدا ذكر هذا الشاعر ، فذكر من قبله ومن بعده ، فجنى بذلك على الأدب في نجد ، باهمال علم من أعلامه ، ولم يكتف بذلك فحسب ، بل يخيل الى أنه لم يتحامل على شعراء طبقته الا من أجله . ولم يكن عتبي على من تقع عليه مسئولية دراسة هذا الشاعر ولم يدرسه ، لأنني لم أجد مادة لدراستي هذه ((فديوانه ، وبقية آثاره ، هي المادة اللازمة لكل دارس)) ولكن عتبي عليهم لأنهم هضموا حق هذا الشاعر ، ومن ثم فقد جنوا على الأدب ، وخاصة الأدب في نجد . وأمام هذه الرؤيا ، وجدت نفسي أشد اصرارا وعزما من ذي قبل ، على التمسك بدراسة هذا الشاعر فله من الفضل والمكانه ، ما تقصر عن ادراكه كل دراسة ، فقد قدم من العطاء الادبي وجاد على الفكر العربي ، بما يجعل دراسته أول عمل لكل مهتم بالحركة الأدبيه ونهضتها في نجد . وأمام هذه الاعتبارات كانت دراستي للشيخ محمد بن بليهد ، وكانت تحت أربعة أبواب تحدثت فيها عن عصره ثم حياته فشعره فآثاره .

ومن خلال ما ذكرته عن عصره تظهر لنا تلك العبقرية الخارقة التي هتكت ستار تلك الظلمة الحالكة على الأفكار والعقول ، وقد قسمت هذا الباب الى ثلاثة فصول : عن الحالة السياسية ثم الاجتماعيه ثم الثقافيه ، وكانت نتائجها متقاربه ، فالحالة السياسية بما فيها من زعازع وقلاقل جعلت من الحياة الاجتماعية جحيما لا يطاق ، وكان أن انعكست هذه الآثار على الحالة الثقافيه ، فأماتتها بعد مرض طال زمنه ، وقضت عليها تماما ، الى أن تجددت الحياة السياسية ثم الاجتماعية ، عندئذ بدأت الحياة الثقافيه تنمو وتزدهر تحت ظل النمو السياسي والاجتماعي وعلى يد أعلام يقف الشيخ محمد بن بليهد في مقدمتهم .

* * *

ثم انتقلت بالحديث الى " حياته " فبينت أن عبقريته ، انما هو امتداد لعبقرية موروثه ، ثم بينت أن دراسته ، لم تمده بغير معرفة

ذلك كتبت دراسة تبحث فى تقييم شعره ، من ناحية الألفاظ والأساليب، والمعانى والأفكار ، ثم شعره بين التقليد والتجديد ومناقشة ما قيل فى ذلك ، ثم ما فى شعره من صنعه أو تكلف . ثم حللت قصيده من ديوانه استكملت بها هذه الدراسة لشعره ، وبما أن هذا الشاعر ، كان له سابق تجربة بالشعر الشعبى ، فقد وجدت نفسى ملزما ، بأن أتحدث عن موقفه ثم موقفى ، من هذا الشعر . ثم انتقلت الى باب آخر وهو دراسة آثاره ، وكان أولها " صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار الذى لم استطع تماما استبيان وجهته ، هل هى أدبية أم جغرافيه ؟ فقد أورد ما يتعلق بذكر الأماكن من المعلقات العشر وكثيرا من شعر الفحول ، ثم بين أين تلك الأماكن وجهتها ، وهل اندثرت أم لا ، ولهذا فقد أطلقت على مثل هذه الدراسة ، الأدب الجغرافى ، أو جغرافية الأدب ان صحت هاتان التسميتان . وكتابه الآخر " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه " والذى ما يزال مخطوطا نرجو أن يرى النور قريبا ثم نشره وتحقيقه لكتاب " صفة جزيرة العرب " للهمدانى ، فهذه الآثار وما يتمتع به من شاعرية متدفقه ، انما هى نبع من تلك العبقرية التى خرجت فى عصر لا يعرف من العلم الا قشوره ، فكانت عبقرية مبكره وانى اذ أقدم هذه الدراسه ، لأرجو أن أكون قد ساهمت ببعض ما يمليه الواجب الفكرى لهذه البلاد كما أرجو أن يلقى قبولا من أساتذتى فى الأزهر الشريف، وأنا على يقين من ذلك ، فهم صرح قائم للعلم والمعرفه دائما وأبدا ، فلا بد أن يعطو هذا الشاعر حقه من العناية ومن ثم فهو عطاء لى ....

" عبد العزيز سليمان الفاضل "

***
**
*

مراجعة الصحيح

نشأة العقاد العلميـــة :

تلقى العقاد ناشئا علومه الأولية فى المدرسة الابتدائية بأسوان ، وكان مثالا للنبوغ المبكر ، الذى أكبره الامام محمد عبده ، حين زار المدرسة واطلع على كراسة تعبيره ، واستمع اليه ، فتنبأ له بمستقبله الأدبى الباهر قائلا : " ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد " وأوصاه ألا يقنع من العلم بوظيفة الحكومة اذا تخرج .

ويحدثنا العقاد عن اساتذته فى تلك المرحلة ، فيخص بافادته اثنين :

أحدهما استفاد منه بالطريقة المباشرة ، وهو مدرس اللغة العربية والتاريخ " محمد فخر الدين " الذى كان يحب التجديد والابتكار ، ويشجع عليهما ، والذى كان درسه فى التاريخ مع ذلك درسا فى الوطنية . يقول العقـاد :

" فعرفنا تاريخ مصر ونحن أحوج ماتكون الى شعور الغيرة على الوطن والاعتزاز بتاريخه لأن سلطان الاحتلال الاجنبى كان قد بلغ يومئذ غاية مداه ... (١)

وقد كانت المحاولات الأولى لشعر العقاد نتيجة تشجيع هذا الاستاذ الـذى طلب اليه يوما أن ينظم فى فضل العلوم ، فأنشد متفكها ـ كما يقول العقاد نفسه ـ هذه الأبيـات :

علم الحساب له مزايا جمـة .. وبه يزيد المرء فى العرفـان

النحو قنطرة العلوم جميعها .. ومبين غامضها وزين لسـان

كذلك الجغرافيا هادية الفتى .. لمسالك البلدان والوديـان

واذا علمت لسان قوم يافتى .. نلت الأمان به وأى لسـان (١)

٨٩٢



" الباب الأول "

"" بيئته وعصره ""

أ ـ من الناحية السياسية

ب ـ من الناحية الاجتماعية

جـ ـ من الناحية الثقافية

" بيئتـه وعصــــرة "

يتعذر على الباحث أن يستطع الشا عر من بيئته وعصره ، ويدرسه في فنه خالصا ، دون أن يلم بالظروف التى اشتركت فى خلق هذا الفـــن ، والبيئة والعصر يسيران مقترنين فى توجيه الشاعر — بل — وفى تكويـــن ملكة الشعر لديه ، واذا كانت النواحى السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية لعصر من العصور ، تبين عن هويته ، وتوضح معالمه ، فسأتطرق الـــى عرض هذه الحالات ، استكمالا أو بداية لدراسة الشاعر والأديب " محمـــد بن عبد الله بن بليهد "

الفصل الأول " الناحيـة السياسية "

نجد ، اسم خالد يصحبه فى مسمع كل انسان نغم جميل ، يوحى بصور مختلفه من الحياة المتقلبه واننا لنسمع أول ما نسمع معها ، صـــوت البطل وهو يطلب المنازلة ، وصليل السيوف للذود بها عن الجـــار والذمار ، وحمحمة الحصان فى أتون المعركة وأطراف الرماح والنبــال تنهش جسمه ، وتسمع معه رغاء الابل ، وثغاء الغنم وهى تنحر للضيـوف ، وتسمع معه أنه الباكى ، وزفرة الشاكى من لوعه الحب فتسمع " لا الـــه الا الله " تردد أصداءها جبال نجد ، وخالد بن الوليد يطلقهـا فـــى هذه البقاع ، ثم تسمع صوت ذى الرمة ، وقد أوقف ناقته على ربــع " مى " ليسقيه من دمعه الذى لا يغيض .

***

ولكن لا يكاد ينقضى العصر العباسى الأول حتى يضعف النغـــم الى حد الاختناق ، فتصحبه صورة مظلمه قاتمه مجهولة المكتنه والكيف ، تظلل منبت العرب ، ومهد لغتهم ، وآدابهم ، ردحا من الزمن ، الـــى أن يأتى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى ، فيفلت بعده من عقالــه ، ويعود الى حيويته وجماله ، وتصحبه صورة كلها حسن واضاءة واشـراقه انها صورة الحق والاسلام ، حيث يعود صوت " لا اله الا الله " ويمتـــد صداها الى تلك الجبال الظامئه الى لقائه .

تكلم هى نجد ، منبع الأمجاد والبطولات ، ومنبت الفضائل والمكارم وموطن الأدب والجمال ، ومصدر النور والاشراق ".(١)

ولقد أراد الله أن يكون " محمد بن بليهد " من أبناء نجد ، ولكن بعد أن غير الدهر رسمها ، وطمس الزمان نظارتها فقد وجد نفسه في خضم عصر ممتلئ بالأحداث ، عامر بالتغيرات والتطورات ، عصر عمت أخطاره كل أرجاء المعموره ، فكانت الحروب الداميه ، التى حصدت الرقاب ، ونشرت فى الناس الارهاب .

* * *

واذا غلب على حديثى فى هذا الفصل حديث الحرب ، وما يتبعها من تغيرات وتقلبات ، فان ذلك باملاء من الأحداث السياسية التى تفرض وجودها ، وتحتم حدوثها ، ولعل وجود ابن بليهد بين أحضان الجزيرة العربية ، وما انطوت عليه هذه الجزيرة من أحداث عظام ، لعلهما يشفعان لاقتصار حديثى على ماجرى فى الجزيرة فقط الا ما اقتضاه الموقف من حديث حولها .

* * *

لقد عاشت الجزيرة العربية وبخاصة " نجد " فترة من الخمول والفتور السياسى امتدت عدة قرون ، قامت بعد ذلك لكى تعوض ما فاتها من خمول وركود ، فقد كانت الدولة العثمانية معششة على جوانب الجزيرة العربية — كغيرها من الدول العربية — بعد أن ضمتها الى امبراطوريتها ، ولم تهتم بهم طوال تلك القرون المتتاليه ، بقدر ما تهتم بما عندهم من موارد ، فاندثرت حضارة العرب ، ولم يعد للحياة العقليه أى دور ، أما نجد فلم يعرها العثمانيون أى اهتمام لفقرها ، وعدم جدواها من الناحيه الاقتصادية أو السياسية فأهملوها ، وأغلقوا على أهلها يتخبطون فى مشاكلهم ، ويتعصبون لقبائلهم ، تحت غلالة من الجهل ، فكثرت حروبهم

---

(١) الأدب الحديث فى نجد ص ٤ بتصرف .

وافتقد الأمن ، حتى آل الأمر الى أن يكون لكل بلدة حاكم يحكمها ، فضرب الفقر أطنابه بين ربوعهم ، وجاءهم الموت بسلاح الجوع والمرض ليزيد شقاءهم شقاء ، فنسوا دينهم لينظروا فى أمور دنياهم .

* * *

فى هذه الفترة العصيبة من الحياة ، بعث الله رجلا مصلحا ليكون سببا فى انقاذهم . وانتشالهم مما هم فيه ظهر الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" مجددا لهذا الدين الذى مسخ ، وداعيا الى الحق ، ونبذ الاعتقادات التى انتشرت لتشمل الشجر والحجر والقبور ، فلقى فى أول دعوته معارضة وصدودا ، فأخرجه أهل حريملا من بلده بعد أن سلم من القتل ، فوصل الى بلده العيينة ، ليجد من أميرها "عثمان ابن معمر" كل رعاية وتشجيع على نشر دعوته ، ولكن أمير الأحساء ابن عريعر هدد أمير العيينه بقطع معوناته ان هو لم يخرج هذا الشيخ من بلده فأخرجه ، فذهب الى الدرعيه ، فاستقبله أميرها "محمد بن سعود" ففتحا صفحة جديدة غيرت معالم نجد ، ومن ثم الجزيرة كلها ، فناصره محمد بن سعود بعد أن تعهد له أن يحميه مما يحمى منه نساءه وأولاده ، وبعد سنتين من اقامة الشيخ فى الدرعيه ، اتخذت الدعوة مظهرا جديدا هو الجهاد ، فبدأت الغزوات يقودها الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ثم حفيده سعود ، وأبلى السعوديون فى تلك الحروب بلاء حسنا ، وكتب الله لجيوش الدعوه التى يقودونها النصر والتأييد فى كل وجه ، حتى انتشرت الدعوه فى بلاد نجد من أقصاها الى أقصاها ، ثم الأحساء وساحل الخليج ثم الحجاز وعسير ، ولم يذكر التاريخ شيئا عن آل سعود قبل اتصالهم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولعل نصرتهم ومعاضدتهم له فى دعوته ، سبب فى علو شأنهم ومحبة الناس لهم ونصرتهم لأمرائهم .

* * *

وقد مر الحكم السعودى بثلاثة أطوار تكاد تكون مترابطة :

الدور الأول : من حكم الأمير محمد بن سعود بعد اتفاقه مع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٨ هـ الى نهاية حكم عبد الله بن سعود سنة ١٢٣٣ هـ ويلحق بهذا الدور فترة استيلاء جيوش محمد على " على نجد .

الدور الثاني : من حكم الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٥ هـ الى نهاية حكم ابنه فيصل " سنة ١٢٨٢ هـ

الدور الثالث : من ظهور جلالة الملك " عبد العزيز " سنة ١٣١٩ . ويمتد الى هذا الوقت .

وقد تولى الأمير محمد بن سعود امارة الدرعيه سنة ١١٣٩ هـ وكان مطبوعا على الخير ، محبوبا من رعيته ، فلما وفد عليه الشيخ ، اعتنق الدعوة عن ايمان ، وعاهده على العمل بنشرها ، فالتزم بوعده ، ووفى بعهده وحمل عبء نشرها ، فلما بدأت حركة الجهاد ضد اعدائها ، اعد له عدته ، وجند من أهل الدرعيه ومن هاجر اليها من أتباع الشيخ جندا ، قادهم بنفسه أحيانا ، وخاضت جيوش الدعوة المظفرة سلسلة طويله من المعارك في مختلف النواحي ، كان النصر لها في أكثرها ، وتألبت عليهم قوى الفساد والشر وتألفت الأحزاب ، وحوصرت الدرعيه بقوة لا عهد لنجد بها في هذا التاريخ لكنهم خرجوا بعد ذلك كله بالظفر والنصر والعز والتمكين ، وقد ساعد على ذلك قوة الروح المعنوية عند جنود الدعوه فقد كانوا يحاربون في سبيل مبدأ وعقيده ودين حق . ومات محمد بن سعود سنة ١١٧٩ بعد أن قضى عشرين عاما يقاتل في سبيل نشر الدعوه ، ونجح في تحقيق غرضه في الدرعيه والعيينه والجبيلــه وكثير من البلدان الكبيرة المجاوره ، وبسط نفوذه في تلك المناطق ، ومهد الطريق لخلفائه ، فاعتبر بحق مؤسس دولة آل سعود .

ثم تولى الحكم بعده ابنه " عبد العزيز " فسار على نهجه في محالفة الشيخ والجهاد في سبيل نشر الدعوه وكان مشهورا بالحزم والعدل والتدين ، وفي عهده تم تكوين الدوله السعودية الأولى

لأنه واصل حروبه ضد الامارات التي رفضت الدخول في الدعوه ، وأشهر حروبه فتح الرياض سنة ١١٨٧ ، وكان أميرها "دهام بن دواس" الذى طالما ناصب والده العداء ، الا أن عبد العزيز كان يرسل الحملات المتلاحقة لضربه ، الى أن سئم من قتال ابن سعود ، فهرب من الرياض مع مجموعة من أتباعه ، وبعد ذلك بسنتين فتح القصيم ونشر الدعوة بين ربوعه ، ثم اتجه الى الأحساء سنة ١٢٠٨ فاستولى عليها ، فحرك باستيلائه على الأحساء ونشر الدعوة فيها ، حرك الأتراك العثمانيين ضد السعود بين فأرسل سليمان باشا حملة تركيه سنة ١٢١٣ هـ لاسترداد الاحساء والقضاء على الدعوة في قلب نجد وانضم الى هذه الحمله كثير من أهل تلك المناطق كالبصرة والزبير ، فحاصروا الأحساء ، وحاولوا فتحها فواجهتهم مقاومة عنيفه ، فلما طال أمر الحصار ، اضطرت الجيوش التركيه الى التراجع ، ولكن سعود ابن عبد العزيز كان لهم بالمرصاد ، فالتقى بهم فى موقعتين انتصر فيها انتصارا حاسما ، فعادت فلولهم الى العراق ، ورد السعوديون على ذلك بارسال حملة الى العراق سنة ١٢١٤ هـ فاجتاحت جنوب العراق وغزت الزبير والبصره وكربلاء ، وهدموا قبة الحسين فيها وسووها بالأرض وكان قد انتشر فى الحجاز - لأغراض سياسية عند تركيا و صديقها الشريف غالب - دعاية سيئة تشوه دعوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومنع النجديون لذلك من الحج ، لأن اجتماعهم بالمسلمين فى الموسم يبطل تلك الدعاية المسمومه ، ولم يكتف الشريف غالب بالحروب الكلاميه ضد الدعوه ، بل حاربها بالسيف خوفا من انتشارها بين قبائل الحجاز ، فارسل حملة الى القصيم فهزمت ، ثم عاود الكرة فهزم فاضطر الى عقد هدنة مع السعوديين ، وسمح لهم بالحج ، وقد كانت نهاية الأمير عبد العزيز على يد رجل شيعى تسمى "عثمان" وفد الى الدرعيه من العراق لينتقم من السعوديين بقتل اميرهم نظير ما فعلوه فى كربلاء ، فوثب عثمان على الأمير وهو ساجد فى صلاة العصر وطعنه بالخنجر طعنات توفى متأثرا بها . فتولى الامارة من بعده ابنه سعود سنة ١٢١٨ هـ وكان قد ولاه العهد بأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أهم أعماله فتح الحجاز لأول مره فبعد ما توترت العلاقات بين الشريف

غالب والسعوديين ، وانقطع حجهم ، عزم السعوديون على فتح الحجاز فقاد الأمير جيوش الدعوه لتحقيق هذا الفتح فى أواخر حياة أبيه ، وعسكر بالسيل " حتى انتهى موسم الحج سنة ١٢١٧ هـ وغادر الحجاج مكة عائدين الى بلادهم ، فزحف عليها ولم يستطع الشريف غالب الدفاع عنها ، فالتجأ الى جده ، ودخلها سعود وجهوشه محرمين بالعمره سنة ١٢١٨ هـ وأسند امارتها الى الشريف "عبد المعين بن مساعد ، وعاد هو الى نجد فقاوم الشريف غالب القوة العسكرية بمكه واستردها فعاد اليه سعود فأعاد فتحها ثم عينه هو أميرا عليها من قبله بعد أن تعهد بتنفيذ مبادئ الدعوة فيها ثم دخلت بقية مدن الحجاز فى سلطان ابن سعود ، وبذلك انتقلت تبعيه الحجاز من العثمانين الى السعوديين ، وظلت تلك التبعيه قائمه من سنة ١٢٢٠ الى سنة ١٢٢٨ . كما وجه الأمير نظره الى الجنوب ففتح نجران وجيزان كما دخلت فى طاعته بلدة زبيده والحديده من بلاد اليمن ، كما خضعت القبائل فى شمال نجد الى حدود العراق وبادية الشام ، وبذلك بلغت الدولة السعوديه الأولى أقصى اتساعها .

وكان الأتراك العثمانيون قد حاولوا القضاء على الدولة السعوديه ووقف تقدمها ، فوجهوا الحملات عليها من بغداد ودمشق ومكه ، لكنها جميعا باءت بالفشل ، فلما دخل الحجاز فى سلطان السعوديين انقطع الحج الشامى والمصرى ، فزاد التوتر بين الدولتين ، وصممت تركيا على القضاء على دولة آل سعود ، واسترداد الحجاز ، فكلف السلطان واليه على مصر " محمد على " بهذه المهمة ، وكان السلطان العثمانى ، لا يعنيه أى الفريقين انتصر على صاحبه ، فقد كان هدفه انهاك القوتين جميعا ، اذ كان يخشى اتساع نفوذ محمد على كما كان يكره اتساع نفوذ السعوديين ، وفى سنة ١٢٢٦ وجه محمد على حملة من ثمانية آلاف جندى بقيادة ابنه طوسون فاستولى على مدن الحجاز ولكن السعوديين أوقفوا زحفه عند " تربه " فاستنجد بأبيه ، فجاء محمد على بنفسه مددا لابنه ، وتولى القيادة العامه ، وقبض على الشريف غالب لتذبذبه بين الفريقين ، وأرسله الى مصر ، وابتدأ

يستعد لحرب السعوديين ، فتوفى فى هذه الاثناء الأمير سعود سنة ١٢٢٩ هـ فتولى الامارة ابنه عبد الله فى الوقت الذى كانت المعارك قائمة بين محمد على والسعوديين ولم يكن عبد الله فى كفاءة أبيه ، فلم يستطع أن يمسك زمام الأمور ،أو يدرأ الخطر الماثل أمامه ، فانهزمت القوات السعوديه أمام جيوش محمد على ، الذى اضطر رغم انتصاره أن يعود الى مصر ليقضى على مؤامرة دبرت فيها لخلعه ،فتبعه ابنه طوسون فى العوده ، وفى سنة ١٢٣١ هـ ارسل محمد على حملة ثالثة على السعوديين يقودها ابنه ابراهيم باشا فسارت الحملة من القصير الى المدينه الى القصيم حيث التقى بالأمير عبد الله فهزمه وفتح القصيم ثم اتجه الى الدرعيه عاصمة آل سعود فوصلها سنة ١٢٣٣ هـ وحاصرها خمسة أشهر ، فدافع عنها الامير حتى اجهده طول الحصار وقوة المدافع فى جيش ابراهيم ، فاضطر الى التسليم ، وارسل الى مصر فى محرم سنة ١٢٣٤ هـ ومنها الى الاستانه حيث أعدمه السلطان بها فانتهى بذلك الدور الأول من أدوار الدولة السعودية .

* * *

ورغم دخول نجد تحت حكم " محمد على " بمقتضى هذا التسليم فقد ظلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب باقية فى قلوب النجديين يتدارسها علماؤهم وعامتهم ، ويطبقونها فى معاملاتهم حتى تأذن الله بقيام الدولة السعودية فى دورها الثانى ، بعد سنتين من غيابها مرتكزة فى قيامها على أساس من الدعوة الاصلاحية كذلك . فبعد قضاء ابراهيم باشا على الدولة السعودية وتخريب الدرعيه ، ترك حاميات من جيشه فى بعض المدن ، وعاد الى مصر ، فساءت أحوال نجد ، واضطرب الأمن ، وسادت الجاهلية الأولى . وعادت البلاد الى حالة أقرب ما تكون الى الحالة التى سبقت ظهور الشيخ ودعوته الاصلاحية فى هذه الفترة انتهز " محمد بن مشارى بن معمر " من أمراء العيينة البارزين ، انتهز حالة الفوضى التى سادت نجد ، وعودة ابراهيم باشا

الى مصر ، وعدم تطلع أحد من آل سعود الى استعادة أمارتهم فطمع في الاماره ، وانتقل الى الدرعية ، فاستمال أهلها وما حولها من بلدان ، وكاد يتم أمره اذ ذاك على نجد لولا ظهور مشاري بن سعود بن عبد العزيز وكان ممن رحلهم ابراهيم باشا الى مصر لكنه هرب في الطريق قرب المدينه ، وعاد الى القصيم ، وسعى لاستعادة الامارة من مشاري من معمر فأعانه أهل سدير وسار بهم الى الدرعية ، ولكن اميرها سلمها له بدون قتال الا أن ابن معمر ندم على تسليمه واستسلامه فخرج من الدرعية الى بعض البلدان المجاوره حيث انضموا اليه فدخل الدرعية بجمعه بغتة وقبض على مشاري وأودعه السجن ثم سلمه الى الاتراك فقتلوه واسترد ابن معمر الامارة مرة أخرى . وكان الامير تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود " أميرا على الرياض من قبل مشاري بن سعود ، فلما استرد ابن معمر الامارة ، وحاول الاستيلاء على الرياض والقبض على أميرها ، ارتحل تركي عنها الى الخرج وأقام بها ثم سافر الى ضرماء ، فخشي ابن معمر من انتقاله اليها وأرسل جيشا للقبض عليه ، فانضم هذا الجيش الى الأمير تركي ثم تزايد أنصاره من البادية والحاضره فتقدم بهم الى الدرعية سنة ١٢٣٥ هـ ودخلها بغتة وقبض على ابن معمر وعلى ابنه امير الرياض واحتلها ، لكن الجنود الاتراك عادوا في سنة ١٢٣٦ بقيادة حسين بك " لتوطيد سلطان الاتراك في نجد والقضاء على دولة آل سعود الجديده ، فزحف على الرياض ، وحاصر فيها الامير تركي ، واستولى عليها لكن الأمير أفلت من قبضته ، واختفى عامين ، ثم عاد للظهور سنة ١٢٣٨ هـ ، وقدم في ثلاثين من أصحابه الى عرقه " الواقعة بين الرياض والدرعية ، فأقام بها واجتمع اليه خلق كثير من جميع مناطق نجد ، واستمرت الحرب بينه وبين الاتراك عامين حتى تمكن في سنة ١٢٤٠ هـ من حصار الرياض حصارا دقيقا كاملا فاضطرت الحامية التركيه فيها الى النزول على ما طلب الامير منهم وهو تسليم الرياض والجلاء الكامل الناجز عن نجد ، فلما تم ذلك بايعه النجديون أميرا عليهم ، وفي سنة ١٢٤٣ هـ قدم من مصر ابنه فيصل ، الذي كان منفيا فيها ، فكان نعم المساعد لأبيه في تحقيق سياسته ، فقد فتح الاحساء ، وضمها الى امارة آبائه سنة ١٢٤٥ هـ ، وقد

حكم الأمير تركي ثلاثة عشر عاما ، وكانت نهايته ، أن اغتيل على يد عبد من عبيد ابن اخت " مشاري بن عبد الرحمن آل سعود " الذي أوعز اليه بقتله ، وحاول مشاري الاستيلاء على الامر ، بعد اغتيال تركي لكن مدته لم تطل أكثر من أربعين يوما ، فقد علم الأمير فيصل بمقتل أبيه وهو في المنطقة الشرقيه يحارب بعض القبائل ، فقدم الى الرياض سنة ١٢٥٠ فاقتحمه وقتل أميره ، فبويع بالاماره بعد ما دانت له نجد والأحساء ، فخشي " محمد علي " من عودة الدولة السعودية الى قوتها الأولى ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة " اسماعيل آغا ، سنة ١٢٥٢ ، ومعها الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز ، الذي كان منفيا في مصر ، ليضرب السعوديين بعضهم ببعض ، فوصلت تلك الحملة فرحل عنهم الى الأحساء ، ودخل الأمير خالد الرياض سنة ١٢٥٣ هـ ، فبايعه أهلها ، وامتنع عن بيعته أهل القرى الجنوبيه لنجد ، فأراد أن يأخذهم بالقوة ، فاشتبكوا معه في معركة قاسيه ، هزم فيها ، فعاد الى الرياض ، وانتهز الأمير فيصل فرصة هذه الهزيمة ، وحاول الاستيلاء على الرياض فحدثت بينه وبين الأمير خالد معركة كبيره ، وبالرغم من انتصار الأمير فيصل ، فانه لم يستطع احتلال الرياض لشدة تحصينها ، وأوفد محمد علي خورشيد باشا للقضاء على حركة الأمير فيصل ، وتمكين الأمير خالد من الاماره ، فدارت بينهما معارك شديده ، انتهت باجهاد الأمير فيصل ، حيث مال الى الصلح ، فأرسله خورشيد باشا الى مصر مرة أخرى سنة ١٢٥٤ ، فانتهت الاماره الى الأمير خالد ، فأنفوا من امارته ، وكرهوا تصرفاته ، لذلك رحبوا بالأمير عبدالله بن ثنيان عندما شق عصا الطاعة فتبعه الناس في الخروج على الأمير خالد ، الذي انسحب الى الأحساء بعد ما رأى كفة خصمه راجحه ، فالتجأ الى الأحساء ثم الكويت ثم الحجاز حيث توفي هناك ، وهدأت الأحوال للأمير الجديد عبدالله بن ثنيان ، لكنه اتبع سياسة الشدة والعنف ، وأرهق الناس بالضرائب ، فلم يصبروا على حكمه الا مكرهين ، فلما حانت لهم الفرصه بعودة الأمير فيصل بن تركي ، انحازوا اليه ، وكان الأمير فيصل قد بقي منفيا في مصر حتى تأذن الله بخلاصه من سجنه على يد

"عباس بن طوسون بن محمد على" فعاد الى نجد ، فلما علموا بوصوله انضموا اليه جميعا ، ثم حاصر الرياض ، ففتح له أهلها الأبواب وظل أميرا الى أن توفى سنة ١٢٨٢ هـ ، فكانت وفاته خسارة كبيرة على البلاد ، وفتحا لباب الفتن الداخلية بين أولاده ، فقد تولى من بعده ابنه عبدالله بعهد منه ، الا أن اخوته انشقوا عليه ، فثارت الفتن والاضطرابات الداخلية ما يقارب سبعة وعشرين عاما ، تداول الامارة فيها الأمراء "عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن" أبناء فيصل ، وعمهم "عبدالله بن تركي" وكان كل من احتل الرياض منهم ، اعتبر حاكما ، وترتب على هذا الشقاق والخلاف ، أن خرجت عن ملك آل سعود ، الأحساء التى احتلها الاتراك ، وحائل والقصيم اذ سيطر عليها آل الرشيد ولم يبق لآل سعود الا الرياض وما حولها ، ثم تقلص نفوذهم فيها نهائيا بخروج الأمير عبدالرحمن الى الكويت سنة ١٣٠٩ هـ ، فسيطر آل رشيد على نجد ، وأنفردوا بحكمها ، وانتهى بذلك الدور الثانى من أدوار الدولة السعودية .

* * *

ثم ابتدأ الدور الثالث والذى يمتد الى اليوم ، بعد ظهور الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن سنة ١٣١٩ ، وكان قد رحل به والده عبدالرحمن الى الكويت ، فلما شب عن الطوق ، تطلع الى ملك آبائه وأجداده فطلب الاذن من والده أن يعمل على استرداد هذا الملك فاذن له بعد أن يئس من اقناعه بالعدول فأخذ عبدالعزيز يرتب أمره وهو فى سنه الثانية والعشرين ، فاختار أربعين رجلا من الرجال الذين يثق بهم وبشجاعتهم ، وتزود بثلاثين بندقية ومائتين ريال ، فسار بهم من الكويت ، وكان قصده أن يسترد امارة نجد من آل الرشيد ، واسترداد الأحساء من الأتراك والحجاز من الأشراف وعسير من آل عائض والأدارسة ، وقد ابتدأ بالرياض عاصمة ملكهم فتسلل اليه فى الليل وبات فى قصر أمير الرياض من قبل آل رشيد ، فلما جاء الصباح وخرج الأمير كان عبدالعزيز

وأصحابه في انتضاره ، فقتلوه ، فنودي في الرياض أن الملك لله ثم للملك عبد العزيز ، عندئذ بدأ في استرداد منطقة نجد ، حيث لقي قبولا من أهلها ومساعدة ومسانده ، ثم قضى على حكم آل الرشيد بعد أن فتح عاصمتهم " حائل " ثم صرف همه الى استرداد الأحساء وما حوله ، فلم يجد صعوبة في ذلك لضعف الدولة التركيه ، وانشغالها بأحداثها الداخليه في ذلك الوقت .

ثم وجه نظره صوب الحجاز ، وكان واليه الشريف حسين بن علي من قبل الاتراك يتطلع الى استقلاله والمناداه به ملكا للعرب ، فاستغل الاتراك فيه هذه الرغبة ، فسخروه لحرب الملك عبد العزيز حتى يرجع اليهم ويبسطوا نفوذهم عليه ، فسير الحسين ابنه عبد الله على رأس سبعة آلاف من الجيش النظامي ، مزود بن بكثير من المدافع والرشاشات ، فجهز لهم عبد العزيز بن سعود سرية من ألف ومائتين ، فهجمت عليهم هذه السرية ليلا ، وقتلت منهم خمسة آلاف ، وشرد الباقي وبهذا الانتصار وبادعاء الشريف حسين الخلافة ، أعطى الملك عبد العزيز ذريعة لحربه كمبتدع حتى اذا تطلع الحسين الى البريطانيين يلتمس منهم المساعده ، اكتفوا بالتخلي عنه ، لصالح القوة الجديدة ، وفي عام ١٣٤٣ هـ فتح الطائف ثم المدينه المنوره ، فتنازل الشريف حسين عن العرش لابنه " علي " فبويع ملكا على الحجاز ، فأسرع بتجميع قواته في مكه لصد هجوم الملك عبد العزيز فلم يجد حوله الا مائتين من الجنود فانسحب الى جده ، فحاصره فيها الملك عبد العزيز سنة كامله استسلم بعدها ، فدان الحجاز للملك عبد العزيز ، ثم استرد منطقة عسير من الأدارسه بعد حملات بدأت في سنة ١٣٣٨ هـ وانتهت سنة ١٣٥١ هـ ، فتم تكوين المملكه العربية السعودية . ولم تكن هذه الأحداث الداخليه بمعزل عن التطورات العالميه ، فالانجليز بعد ما قامت الحرب العالمية الأولى يحرصون على ضم الملك عبد العزيز الى صفوفهم مثل حرصهم على ضم الشريف حينما انضمت تركيا الى ألمانيا فكانوا يريدون من الحسين مساعدتهم على تركيا نظير المناداه به ملكا على العرب ، ويريدون من الملك عبد العزيز الحياد ، مقابل

الاعتراف بامارته واستقلاله ، وبعد ما علا شأن الملك عبدالعزيز اهتم الانجليز بمصالحته ومحالفته .

أما علاقته بالأتراك فكانت عدائيه من مبدأ الأمر لحلفهم مع خصمه بن الرشيد فى نجد ، وفى الحجاز لكن قوة الملك عبدالعزيز أستطاعت أن تفرض احترامه ، فبعد أن بسط نفوذه فى نجد عزل القوات التركيه ، فتفاوض معهم بين الحرب أو الجلاء عن نجد ، فاختاروالثانيه ، فجهزهم الملك عبدالعزيز ، وحملهم الى المدينة ، فالعراق ، فشكره السلطان عبدالحميد على حسن معاملته لجنده ، وكرمه معهم . وقد دخلت العلاقات بينه وبين الأتراك طورا جديدا ، فقد عرف الاتراك مكانته وأملت عليهم الظروف محالفته ،ففاوضوه ونجحت المفاوضات فى تقرير العلاقات الودية بالسلاح والمال ، لكن حال دون ذلك قيام الحرب العالميه الثانيه دون تنفيذ هذه الاتفاقيه . وبعد أن وحد الملك هذه المملكة المترامية الأطراف ، أخذ فى الاصلاحات الداخليه والبناء وتحضير البادية حتى آتت كلها فى الوقت الحاضر .

وقد كنت ملزما بايراد هذه الادوار الثلاثة على بعد ما بينهما ، لأنها تشكل حلقة لا يمكن فصلها ، ولأبين أن العصر الذى عاش فيه ابن بليهد كان امتدادا لعصر اتسم بالصراع من أجل السلطة . فقد واكب ابن بليهد هذه الأحداث ، وساير تلك المخاطر والصعوبات ، فكان مولده بعد نهاية الدور الثانى للدولة السعودية ، وقد فتح عينيه ليجد الجو جو صراع ، ونشأ ليرى الدولة السعودية وقد عادت فى دورها الثالث ، فيتجدد الصراع والقتال ، وعاش ليشاهد هذه الحروب وقد عمت جميع أنحاء الجزيرة ، وقد اتخذ ابن بليهد لنفسه موقفا من بين تلك القوى المتصارعه بعد أن عرف الأصلح ، فتعصب له ، ورهن نفسه فى سبيل خدمته ، فشارك فى قيام الدولة السعودية الثالثة على يد جلالة الملك عبدالعزيز خير مشاركه ، فسخر بيانه وبنانه للتمجيد والاشادة بالدور الذى قامت به هذه الدولة الناشئة

فى توطيد الأمن ، وتوحيد تلك الاجزاء المتباعده ، والسير فى طريق الرقى والتقدم فكان فى نشأته معاصرا لتلك الصعوبات وفى حياته مسايرا لتلك الأحداث ، بل أن مكانته فرضت عليه أن يحمش فى خضمها ، ويشترك فى تسيير دفتها .

* * *
* *
*

"الفصـــل الثانـــــــــي"

"عصره مــــن الناحيـــة الاجتماعيــــــة"

كانت نجد فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى قد بلغت من الاكتظاظ بالمفاسد والانحلال الخلقى والدينى والاجتماعى والسياسى ، الى أبعد حد من الانحطاط والانحدار ، ولم يكن هناك أى رابطة اجتماعية تجمع أهل هذه البلاد ، فكان لكل بلدة أميرها الخاص ، ولكل قطين من البادية أميره الخاص ، وكانوا جميعا لا خلاق لهم ولا ارتباط بينهم ، فى حين تغير القرية على القرية والقطين على القطين ، واصبحت خلاء من الاسلام الا من بعض مظاهره الشكليه التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فباتوا فى سبات عميق لفهم فى جلبابه السميك ردحا من الدهر ليس بالقصير ، حتى أمسو وكأنهم يمثلون امتدادا للحياة الجاهليه الأولى .

ولا ريب أن للحكم التركى اليد الطولى فى نشأة واستفحال التأخر الذى نكب به العرب والمسلمون فى مختلف أقطارهم ، مما أخمد جذوة الفكر ، وأمات الروح العقلية ، وسبب تغير معالم الدين ، وضعف سلطان البصيره ، وخفوت النور الاسلامى فى نفوس المسلمين حتى أصبح للجهل الضارب بأطنابه على أنحاء العالم العربى والاسلامى ، السلطان المطلق ، والقول الفصل ، فى تسيير دفة الناس نحو العمى السافد والحيره اللامتناهية ...

وكانت هذه المواطن اذ ذاك لا تربط بين جزء منه وآخر رابطه ولا تجمعه آصره ، بل هو مفكك الأوصال مبعثر القوى ، فعلى الرغم من أنه يعد المركز الأول للروحانيات فى العالم ، لم تقم فيه حينذاك روح اسلاميه صحيحة واعيه ، تعلم معتنقيها البذل والفداء فى سبيل اعادة مجد المسلمين وتجديد دينهم بعد أن كاد يندرس ولتنقيه مما علق به من آوضار الجهالات والخرافات والبدع ، بل والشركيات

الصارخه والانحراف المريع عن جادة الحق وسبيل الرشاد ، يضاف الى فقدان هذه الروحانيه السليمه الشاملة ، فقدان الوعى القومى الذى يفترض فيه أن يخلق ويوجد للعرب كيانا مستقلا نيرا تتوحد فيه كلمتهم ، وتتحقق أهدافهم ، وتخفق عليه راية دينهم : ولكن داء الجهل المطبق ، وبالتالى داء التواكل وعدم الشعور بالمسئولية ، جعل هذا الوطن يغط سادرا فى غفلته المزريه ، والتى رجعت به الى الوراء زمنا طويلا ، خنقت فيه الروح العقلية ، كما أمرضت الروح الدينيه ، والتفتت هذه الأمة الى ما حولها ، فلم تجد الا أن تعيش على ما لديها من رصيد قديم تسربت اليه عناصر الافساد عصور طويله ، ثم أغفلها التاريخ من حسبانه فلم يصلنا عن مجرياتها وطابعها المميز الا النزر اليسور .

لقد حرصت الدولة العثمانية على ابعاد البلاد التى تحكمها عن التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية ، التى كانت تزخر بها أوربا فى عصر النهضه الحديثه ، فحالت بين العرب والنشاط العلمى ، وأغلقت المدارس ، حتى انتشر الجهل ، وفشت الأمية ، وسادت الخرافات واقتصر النشاط العلمى على العناية بالقشور دون اللباب ، وسيطر الجمود على الأفكار ، وانحدرت الحياة الى مهوى بعيد ، وهكذا بلغت هذه البلاد ، من الضعف ، والتأخر ، والجمود والعزله وقاست من الظلم ألوانا شتى ، وانقلب أهلها الى أدوات للانتاج فى الحكومات الغريبة عنهم ومع ذلك كله لم يفكروا خلال هذه القرون الطويله فى الاستقلال عن السلطان والتخلص من مظالم الحكام ، رغم الضعف الذى شمل العثمانيين داخليا وخارجيا ، وذلك تحت تأثير العامل الدينى فقد فهموا أن الدين يوجب عليهم الخضوع والولاء للخليفه العثمانى ، وأن الخروج عليه يمكن الدول الاوربيه المسيحية من السيطرة على بلاد العرب ، والمسلمين ، فصبروا على حياتهم هذه وهم كارهون .

ولقد كان لهذه الحاله أثر خطير غاية الخطوره فى انحراف المسلمين عن الاسلام ، وبعدهم عن حقيقته ، فقد تسربت الى الدين على مر العصور رواسب من الديانات والنحل القديمة ، التى كان

قد تغلب عليها الاسلام ، ثم دخلته بدع وخرافات كثيرة ليست منه في شيء ، وكلما بعد العهد بين المسلمين وعصر النبوه ، زاد بعدهم عن حقيقة الدين ، وانحرافهم عنه ، حتى طغت البدع والضلالات على عقولهم وتمكنت من قلوبهم ، ثم توارثوها جيلا بعد جيل على أنها هي الاسلام والاسلام منها براء .

وساعد على ذلك انتشار الجهل وقلة العلماء ، وحتى هؤلاء - اشتغلوا بالقشور دون اللباب فكان الواحد منهم يقضي عمره معلما أو متعلما في حفظ كتاب الف في عصور الانحطاط العلمي ، وفي حل مشكلاته ، وعقده اللفظيه ، وتطورت الحاله الى ما هو أسوأ ، حتى ارتكس المسلمون في جاهلية كالجاهلية الأولى ، سيطر فيها رجال النحل المتطرفه ، ووجهوا أتباعهم الى تقديس الموتى والأولياء والصالحين ، ثم نزلوا بهم درجة أخرى ، حتى حملوهم على تقديس الاشجار والاحجار ، فاتجهوا اليها بالعبادة والتعظيم ، وكان كلما تجدد الزمن على المسلمين كلما زادت معه الآلهه عددا ، وتزداد بذلك نفوسهم ذلة ، حتى وصلت الحالة بالمسلمين الى فقد سيادتهم ، وانهيار عزهم فما وافى القرن الثاني عشر الهجري حتى اصبح المسلمون ، مسلمين بالاسم ، ولو سألت أحدهم عن حقيقة الاسلام الذي يؤمن به وعن أركانه أو معنى " لا اله الا الله " لم يحر جوابا باصبعيها ، فالاسلام في نظره هو ما ورثه عن آبائه وأجداده من تعاليم فاسده ، وخرافات وبدع ضاله مضلة ، وقلت عناية المسلمين بأداء واجباتهم ، وعطلوا حدود الله فانقلب الاسلام غير الاسلام .

تلك كانت حالة المسلمين عامة في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وربما كانت هذه الظاهره في نجد أوضح وأعنف ، بل هي كذلك ، فطبيعة البلاد ، وتفرق البدو في انحائها ، وانتشار الأمية بينهم جعلهم مرتعا خصبا للضلالة والانحراف ، وقد عقد ابن غنام مؤرخ نجد ، في كتابه " روضة الأفكار والأفهام ، " الفصل الأول " لبيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والضلال والطغيان في نجد ، ومما ذكره قوله " وعدلوا الى عبادة الأولياء والصالحين ، وخلعوا

ربقة التوحيد والدين ، فجددوا فى الاستغاثة بهم فى النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث ، وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير " يعتقد النفع والاضرار فى الجمادات كالأشجار والأحجار (١) . ثم عدد القبور والأماكن والأشجار المعظمة فى قلوبهم آنذاك ، فذكر قبر زيد بن الخطاب فى الجبيلة ، وقبر ضرار بن الأزور ، وشجرة الطرفية ، وغار بنت الأمير قرب الدرعية وقد أفاض فى ذكر ما يفعله الناس من منكرات حول تلك القبور والأماكن ، وبين مدى سلطانها فى نفوسهم ورهبتهم منها ، ومما ذكره من تلك الاعتقادات قوله " وفى بلدة الغدا - ذكر النخل المعروف " بالفحال " يأتونه النساء والرجال ، ويغدون بالبكر والآصال ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج ، ولم تأتها لنكاحها الأزواج فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج وتقول : " يافحل الفحول ، أريد بعلا قبل الحول (٢) "

ولم يبق مبدأ من مبادئ الجهالة والضلالة الا اتبعوه سذاجة منهم وجهلا ، وقلة ادراك لما يعملون ، لقد كانوا يتكلون تماما على التعاويذ والتمائم ، وأضاليل المشعوذين والمنجمين ، ويدعون السحر من وجوهه ، توسلا بأباطيل السحرة والدجالين ، حتى فى الاستسقاء ، ودفع البلاء ، وقد ترتب على انحراف العقيدة ، انحراف فى العمل ، فعادوا الى سيرتهم الجاهلية الأولى ، فعاشوا من الغزو والحرب ، واستباحوا الدماء والحرمات والأموال ، وكثرت الغارات والحروب ، وتقطعت الأرحام ، وخيفت السبل ، ونسيت شريعة الله ، وسيطرت شريعة الغاب ، يأكل القوى فيها الضعيف ، ورانت على الأبصار غشاوة ، وعلى البصائر أردان ، فعموا وصموا وكانوا كالأنعام بل هم أضل ، ولكن

---

١) روضة الأفكار والأفهام - حسين بن غنام ص ٧

٢) المرجع السابق ص ٧

الله رحمهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى نبذ تلك المعتقدات والخرافات ونجح بعد جهد جهيد فى نزع تلك الأفكار العقيمه العالقه بالقلوب ، فحسنت الأحوال ، وهدأت الأمور .

ولكن لم يكد يأفل نجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى عاد الوضع كما كان ، وذلك لتأصل عاداتهم وبعد جذورها ، فتفرقت الدولة الى بلدان كل بلدة لها حكم ونظام ، حتى صارت حياتهم فى هذه الفترة امتدادا للحياة الجاهلية الأولى ، بل هى صورة عنها ، اللهم الا ما له اتصال بالعبادات وبعض العادات ، كقتل الموؤدة وغيرها من العادات الجاهليه التى قضى الاسلام عليها ، ولكنه لم يقض نهائيا على بعض العادات الأخرى كالغزو والنهب والتطاحن العشائرى بين قبيلة وأخرى ، والتمييز القبلى بين مواطن ومواطن كل هذه الاشياء ظلت كما هى فى هذه الفتره . وتزداد تلك المظاهر وغيرها كثير فى مطلع هذا القرن فلقد كانت الجزيرة العربية وبخاصه " نجد " تعانى الشئ الكثير من تفكك الأمن ، واختلال الكلمه ، فكانت الحروب الطاحنه قائمة على قدم وساق ، فكم من الدماء الزكية اريقت وكم من النفوس الطاهرة أزهقت من أبناء هذه الجزيرة الذين يدينون عن بكرة أبيهم بعقيدة واحده وهى عقيدة الاسلام ، ويذهبون مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وعلى هذا الاعتبار فان الخلاف بين المتخاصمين لم يكن جذريا وانما هو خلاف فى سبيل الزعامه والسلطه ، وقد يكون الأمن فى داخل المدن موطدا بعض الشئ ولكنه لا يتجاوز نطاق المدينه حتى يفتقد ، فالمسافر يكون مهددا بالقتل أو السلب من البادية اللهم الا أن يكون معه رفيق يحميه من سطوة القبيلة التى يمر بها المسافر ، بشرط أن يكون هذا الرفيق من نفس القبيلة التى يمر المسافر بأرضها ، والا فسوف يكون عرضة لأدنى غارة من غارات الغزاة الذين لا هم لهم الا الغزو والسلب والنهب .

ولم يكن قصد البدو من هذه الأعمال ماديا فحسب ، بل ان الغاية الحقيقيه للنهب والسلب هى ابراز الشجاعه ، لأن الأعراب يعتبرون شجاعه الحروب والقوة فى البطش والمهارة فى النهب والسلب هى الميزه

العظيمه التى يقدر ويحترم من أجلها العربى فى محيطه وبين أهله ، فـاذا فقد المرء هذه الميزه فقد كل شئ من معانى الاجلال والاحترام . لا عنـد رجال قومه فحسب بل حتى عند النساء ، اذ قل أن يجد من نسـاء الحى فتاة ترضى بأن يكون لها زوج ما لم يكن مغوارا كسابا لا بل الأعـداء وهابا لها بقدر ما يستحوذ عليها ، وقد ساعد على وجود تلك المظاهـر الرديئة وأمثالها ، ما تعانيه البلاد من البؤس والحرمان ، حيث وصلـت الى أشد ما توصف به من سوء الحال فى شتى النواحى العامه ، فقـد كانت المعيشه فى تلك الفترة قاسية جدا ، فالقوت الرئيسى يتمثل فـى التمر بالدرجة الأولى وهو شحيح ، وكثيرا ما تحل بهم موجات وأزمـات من الجوع فيكون الموت مآلهم ، لقد كانوا منطوين على أنفسهم ، والأحـداث تلفهم ، ويحسبون أنهم ما خلقوا الا للصراع ، ولم يكن هذا ليكن ، لـولا أن أفكارهم مغلقه ، وعقلياتهم متحجرة ، يستمدون مفاهيمهم من وحـى الجهل ، ويسيرون الى المجهول بدون تبصر ولا رويه .

ولم تندثر تلك العقليات المتخلفه الا بعد أن وحد الملك عبد العزيز الجزيرة العربية ، وأشع فيها بنور العلم فأخذت تلك العقليات تتلاشـى بعد أن واجه الملك عبد العزيز منهم كل معاناة وتعب .

ولأصور بعضا مما يدل على سذاجتهم وقلة تصورهم : أن الملـك عبد العزيز لما استولى على حائل سنة ١٣٤١ هـ ، وجد عند أميرهـا السابق ، سيارة يستعملها لركوبه ، وقد أدخلها المستودع بعد أن انتهـى وقودها ، وكان المفروض أن يجلب الملك عبد العزيز وقودا لهذه السيـاره لاستعمالها ، ولكن الجنود المخلصين لم يتركوا للملك فرصة التفكيـر باستعمالها ، بل كان أول عمل مقدس تقربوا به الى الله ، أن حطموهـا تحطيما عنيفا على أنها من صنع الأبالسة أو الجان

ولشد ما كانت الدهشة والمفاجأة عندما جاء اللاسلكى " الـى البلاد " ، وقد كانت الضجة الكبرى والمعارضة الشديدة من قبل رجـال الدين أكثر من غيرهم ، واذا كان رجال الدين الذين بيدهم أزمـة

الفكر الشعبي والتفكير القومي يعتقد الكثير منهم أن استعمال اللاسلكي رجس من عمل الشيطان وأن آلة الارسال لا تتحرك الا بعد أن يذبح لها كبش أسود كقربان للشياطين ، أقول اذا كان رجال العلم هم الذين يؤمنون بمثل هذه الخرافات ، فما بالك بسواد الشعب الذين هم أداة بيد رجال العلم .

تلك صورة مصغره من تفكير ساكني الجزيره في تلك الفتره ، بل وما بعدها بمدة ليست بالقليلة .

ولم يكن الشيخ محمد بن بليهد بمعزل عما يجرى ، فلقد عاش تلك الأحداث ، وصارع تلك الصعوبات وان يكن قد عاش في كنف الأسره السعودية بعضا من حياته كحياة ارستقراطيه ، الا أن هذا لم يمنع أن يصله من تيار عصره بعض المشاق ، وأن يصطدم بما في بيئته من بؤس وتعب ، وان نسى كتابه صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار " ما يعطى عن تلك البيئه أحسن صوره ، ففيه من القصص التي تحكى عما واجهه وعما يدور حوله ، ما يوصل القارئ الى حقيقه تلك البيئه التي كان تأثيرها عليه — فيما أرى — سلبيا .

* * *
* *
*

" الفصل الثالـــــث "

"" عصره من الناحيـــــة الثقافيـــــة ""

ظل الأدب العربي محافظا على جزالته وقوته اللفظيه والمعنوية منذ العصر الجاهلي حتى صدر الاسلام ، فدولة بني أميه ، فالدولة العباسية مع ما دخله من مظاهر الحضاره والمدنية التي ظهر أثرها واضحا على الأدب شعرا ونثرا ، ولكنه مع ذلك محافظ على قوته ومتانته ، ومع تباين العصر العباسي بسبب تباين خلفائه ، ومع ما حصل فيه من التمزق نوعا ما ، فان الأدب لم يتزعزع ، وانما تأثر تأثرا بسبب البيئه التي يعيش فيها من حالة حرب أو سلم ، وتشجيع الخلفاء ونحو ذلك ، حتى انه في عهد التقسيم والتجزوء الى دويلات صغيره فيما قبل التتار لم يضعف شأنه ، بل زاد قوة ورصانة لتنافس هؤلاء الحكام على نشر العلم والأدب ، فكان هذا العصر من أقوى عصور الأدب ، فدونت الموسوعات العظيمه التي لاتزال تنطق بما وصل اليه العرب من تطور ونهوض في هذه الناحيه وغيرها من النواحي .

وبعد تدهور الخلافه العباسية وانحدارها نحو الضعف ، [illegible] الأعاجم لمناصب الخلافة ، أخذ الأدب يضمر ويضمحل شيئا فشيئا لعدم العناية أو الاهتمام به وفقد من يتذوقه ، ثم أخذ الأدب في الانحطاط حتى عجز الشعراء عن بحور الشعر الأصلية ، فاستحدثوا بحورا وأوزانا تناسبهم وتتمشى مع عجزهم ، ثم وقعت الدولة الاسلامية بيد التتار ، فكانت الضربة القاضية على الأدب ، حيث احرقت أكثر كتبه ، واغرق الكثير منها ، ونقل بعضه الى الدول المستعمره ، وضاع الكثير بين ناهب ومخرب حيث لم يجد له مدافعا ولا ناصرا ، فمنذ ذلك العصر ماتت الحياة الثقافيه موتة لا حياة فيها ، حتى ظن الناس أن اللغة العربية والأدب العربي ، لن يعودا بعد فنائهما حيث تسلطت العاميه وفشت في الناس ، وكادت العربية تفنى حتى من اربابها ، لولا حفظ الله تعالى لها لأنها لغة القرآن " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"

وتولى بعد التتار عدة خلافات أسلاميه ، ولكنها لم تعن باللغة العربية والأدب العربى لعدم وجود الدافع الى هذه الناحيه ، وهو استيلاء العجمه على الولاة والقواد ، وعدم وجود القابليه الدافعه للأدب العربى شعرا ونثرا ، فانحط الأدب تمام الانحطاط ومر بأزمة لم يؤمل أن يعود مرة أخرى بعدها ، خاصة وأن الأدب يحتاج الى أذواق سليمه صافيه ، تقدر ألفاظه الطريه ، ومعانيه القوية ، وتشبيهاته الجذابه ، ثم ان العرب لم يهتموا بلغتهم العربيه ورعايتها والمحافظة عليها ، لأن الدولة العثمانيه لم تهتم بها ولم تولها شيئا من عنايتها . فكان لهذه العوامل المتتابعه على الأدب العربى أثره فى تأخره ، وباجتماع هذه التيارات ظل الأدب مغمض العينين ، حتى جاء عصر النهضه الحديثه حيث عاد الينا بعض ما كنا نتوقع أنه لن يعود من أدبنا وتراثنا ، مع ما خلفه ذلك الانحطاط من أثر سيء على الثقافه العربيه .

ولقد كانت نجد فى الجاهليه والاسلام محفلا للأدب ، ومنتدى فسيح للشعر والشعراء ومنتجعا للملهمين من عباقرة الفكر ، وقادة الفن العربى الرفيع ، الذين خلفوا للأمة العربية ثروة هائله من سجلات حياتهم الأدبيه الحافله بكل ألوان الحياة وظروفها ، وأحوال بيئاتهم ومجتمعاتهم ، فكانت مدرسة لهذا الفن ، تمد بمعطياتها الشعرية والشعورية كل ذواقه للشعر محبا للأدب .

وليس من شك فى أن نجدا خلال قرون مضت كانت المنتدى الزاهر لدولة الشعر والأدب والمنتجع الفسيح للفصاحة والبلاغة ، والأنشودة العذبه على كل لسان ، وكان خلفاء بنى أميه يبعثون أبناءهم لتلقى الأدب ، والتدرب على اكتساب الفصاحه ، والتحلى بالشيم العربيه على أيدى دهاقنة العلم والادب فى صحراء نجد ، وبين مضارب الخيام ومراتع الانعام .

غير أن الدهر دال بدولته حتى صار الشعر المعاصر فى هذا الجزء من الوطن قد اصبح حلقة مفقوده من حلقات الأدب العربى الحديث .

وهذا ما يحز فى النفس كثيرا ، فقد اختفى الشعر فى نجد حتى طواه النسيان ، واحتواه الضياع ، فلم تبق له آثار تذكر منذ الت دولة بنى العباس حتى قيام دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأصبح الأدب النجدى فى تلك العصور المظلمه ، حلقه مفقودة ، ذهبت فى ذمة التاريخ الذى فقد لهذه المنطقة هو الآخر .

ومن الطبيعى والحال هذه الا يعرف عن أمر الشعر فى هذه البلاد — نجد — شىء فى تلك الفتره ، الا أن النفس أبت أن تسلم بموت الشعر فى بلاد هى التى انجبته وأرضعته ، لما امتازت به طبيعتها — التى طالما صبغت أفصح الشعر فى كل صقع من الأرض وفى كل زمان بأبدع الألوان والصور .. وفى زحام الفكر الذى استيقظ على صيحات النذير منبها أمة العرب والاسلام خطورة البقاء على تلك الجاهلية الجهلاء وبين ومضات الانتصار وبشائر توحيد كلمة العرب تحت راية الاسلام الذى أقام فى قرونه الأولى حضارة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، فى هذه الأثناء تحركت او ثار القلوب الشاعره ،واستلهمت قرائح الشعراء النجديين من واقعهم ، شعرا جيدا فيه من جودة التصوير والتعبير بقدر ما فيه من ازدواجيه التحمس والتهييج والفرحه بانتصار الدعوة وقيامها . يقول الدكتور طه حسين " وفى أثناء هذه الحركه المنيفه ظهر حول الأمراء المجاهدين من أهل نجد ، جماعة من الشعراء ، أخذوا يفخرون بانتصارهم فى المواقع ، ويعتذرون عما يصيبهم من الهزائم ، وليس من الممكن أن يقال أنهم جددوا فى الشعر وأحدثوا فيه ما لم يكن ، ولكنهم على كل حال عادوا به الى الاسلوب القديم وأسمعونا فى القرن الثانى عشر والثالث عشر فى لغة عربية فصيحه ، هذه النغمة العربية الحلوة التى لم تكن تسمع من قبل ، هذه النغمه لا يقلد صاحبها فيها أهل الحضر ، ولا يتكلف فيها البديع ، وانما يبعثها حرة ويحملها كل ما تجيش به نفسه من عزة وطموح الى المثل الأعلى ، ورغبة قوية فى احياء المجد القديم (1) ولعل

---

(١) ألوان — طه حسين ص ٤٦

الدكتور طه حسين قد فاته أن يذكر أهم العوامل التي واكبت بعث الشعر من جديد آن ذاك في ربوع نجد ، تلكم هي التفاعلات الشعبية والنوازع النفسانية والشعور بالنقلة الاجتماعية ، التي اضطرم أوارها بعد ظهور دعوة الشيخ المجدد ، فيما بين فئات شايعت الدعوة الاصلاحية هذه وناصرتها بالسيف واليد واللسان ، وبين فئات عارضتها وناصبتها العداء ، ولكن باللسان واليراع فقط .

ونحن عندما نتبين أهداف الدعوة ومقاصدها ، يظهر لنا واضحا جليا أنها انما قامت من أجل تجديد ملة المصطفى عليه السلام ، وتنظيف الاسلام من رواسب العقول الفاسدة التي تعارضه في عصوره المختلفة منذ بدء الخوض في مسائله في أواخر عهد بني أمية ، الى قيام المصلح الأول محمد بن عبد الوهاب ، ومن هذا العرض السريع لأهداف الدعوة يتبين لنا ، أنها انما كانت تعنى بالجوانب العلمية البحتة ، لكونها أساس ما قامت الحركة من أجله ، فلا ضير عليها اذا هي لم تؤثر في الشعر ـ أول الأمر ـ تأثيرا مباشرا ، على خلاف ما كان بالنسبة للخطابة وكتابة التأليف .

أضف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثير من العلماء غير مرغوب فيه ، بل ربما عده بعضهم من الأمور المزرية بالعالم ، ولعل نشوء تلك النظرة كان مصدره أمور دينية كتعريض القرآن الكريم بالشعر ولكن هذه النظرة خفتت ثم اختفت بعد أن اضطر الشعراء لأن يجعلوا من شعرهم حاميا لهذه الدعوة ، اذن فرد الفعل العنيف الذي أحدثته هذه الحركة ـ لا في أول نشأتها فحسب بل والى أمد طويل من السنين التي تلت بروزها على المسرح العالمي ـ كان أبرز حافز الصهرت في بوتقته قرائح الشعراء في نجد بوجه خاص ، وفي خارجه بوجه عام .

يضاف الى ذلك ما كان من نتائج تلك النهضة الدينية على الناحية السياسية ، وتأثيرها البالغ على مجرى شئون الحياة العامة اذ ذاك ، فقد كان من أول وأهم نتائجها السياسية قيام الدولة السعودية قياما تدريجيا ، وتوحيد أجزاء كثيرة من جزيرة العرب تحت لوائها لسواء

الدولة الناصرة للدين ، والمنتصره بالدين ، وطمحى أن يكون للشعر أثـره الحميد التأثير والفعاليه فى مساعدة الفكر العربى على التطور والانطلاق من قيود الجهل والجمود ، التي كانت تشده الى الوراء قرونا وقرونا .

غير أن الشعر فى نجد وفى الحقبه الواقعه بين حوالى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى وحتى عهد قريب جدا أى الى ما قبل الثلاثين سنة الأخيره ، كان هذا الشعر يعبر الى حد ما عن بعض جوانب الحياة وخاصة الروحية منها ، ولكن بقدر ضئيل جدا ، اذ كانت اغراض الشعر فى تلك الفتره هى هى نفسها .. الأغراض التى كان يتناولها الشعر ويطرقها الشعراء والتى لم تخرج عن اطار المدائح والرثاء والهجاء .. الا فيما ندر ، ومهما قلنا عن الشعر فى تلك الفترة من تاريخ النهضه فى هذا الربع من بلادنا ، وما بلغه أربابه من احكام وتجويد ، فانا لا نستطيع أن ننكر أنه كان شعر محاكاة وتقليد فى جملته ، كما أنه لم يكن متمشيا مع التغيير الفكرى الذى واكب تلك الحركة الاصلاحيه وعاشها بكل شعوره واحساساته ، ذلك أن أساليبه التعبيريه وموضوعيته الضيقة كانت كلاسيكيه لم تتغير فى مفاهيمها المألوفه ، أما فى الصياغة والاسلوب فقد أحرز قصب السبق فى الانتقال به من طورالى طور ، فقد تحسن الشعر من هذه الناحية تحسنا كبيرا على خلاف ما كان عليه فى العصور التى فسدت فيها اللغه وفسد الأدب حتى أصبح صناعة لفظيه ، فقد تركوا ذلك التكلف وأصبحوا يرسلون الشعر سجية وطبعا لا تطبعا .

ان شعراء الفترة التى سبقت بزوغ فجر النهضة الحديثه - جلهم ان لم يكن كلهم - نظامون وليسوا شعراء بالمعنى الصحيح للشعر وأغلب انتاجهم الضحل يتمثل فى المدائح المحشوة بغريب اللغة وحوشيها والرثاء النادب ، ونظم بعض المتون العلميه من عقائد وفقه وما شابه ذلك .

ولعل من اسباب ضعف الشعر فى تلك الحقبة الطويله بنجد وغيرها ، أن الشعراء - كغيرهم من المثقفين - لا يجدون الغذاء الفكرى الدسم ، اذ يندر وجود الكتب الأدبيه الرفيعة فى متناول

أيديهم ، مما يجعلهم ينهلون من معينها الصافي أدبا قويا مليئا بالحيويه والخيال الخصب والذى ينمى ملكاتهم ويصقل مواهبهم ، فيما لو وجدت وتوافرت لديهم هذه الأداة .

ورغم أن تغير الأوضاع السياسية وتطور الأحداث فى أى بيئة أو مجتمع عامل مهم جدا للتأثير على الناحية العقلية ، فانه لم يحدث للشعر هنا أى تغير تطورى هام ، خاصة من الناحية الموضوعيه ، أما الصياغة فقد تحسنت فى فترات متلاحقه تحسنا نسبيا ، وما كان يجرى فى نجد من أحداث وزعازع داخليه طيلة هاتيك العهود ،لا تعدوا كونها امتدادا للفوضى السياسية ، والتفكك الاجتماعى المخيم على البلاد حينذاك ،بسبب الجهالة المسيطرة على أكثرية السكان ، لا فى نجد وحدها بل فى جميع أنحاء الجزيرة العربية ، وهذا العامل كان بدوره من جملة ما أبقى على الشعر ضعيفا جامدا شكلا ومضمونا .

وهناك عامل " لو حصل له حدوث فى نجد تلك الأزمان ، لتغير الشعر فيها تغيرا ربما يكون جذريا ، ذلك أن نجدا ، لم تلتق بأمه أجنبيه قط ، مع أن التطور الذى يحدث فى الفنون والآداب فى عصر ما أكثر ما يكون ناشئا عن التقاء أمتين أو أكثر .

وعموما فالحياة الثقافية فى نجد - الى ما قبل السنوات الأخيره - رتيبة خاملة ، وكان الشعر وهو لسان من ألسنة الحياة ، وجزء من كيانها ، رتيبا خاملا هو الآخر ، يجلله الليل الرهيب ، والصمت المطبق .

واذا كان البحث قد أوجب علينا أخذ فكرة عن الأدب فى تلك الحقبة من الزمن ، فاننا لن نجد خيرا ولا أرفع شعرا من الشيخين " محمد بن عبدالله بن عثيمين " و " محمد بن عبدالله بن بليهد " فهما يمثلان تلك الحقبة التى عاشها الأدب فى نجد وخاصة منه الشعر - بحق وجداره .

وإذا كان بن عثيمين قد درس دراسة وافية ، فإن من حق ابن بلهيد علينا أن نفرد له هذه الدراسة ، فهو لا يمثل عصره فحسب ، بل هو فوق مستوى عصره بعدة مراحل من حيث الثقافة والعمق والشاعرية الأصيلة .

***
**
*

" الباب الثاني "

"" وفيه فصول ""

أ ـ نسبه وحياته .

ب ـ دراسته وثقافته .

جـ ـ رحلاته واسفاره .

د ـ صلته بالأسرة السعودية .

هـ ـ مكانته ومنزلته .

و ـ وفاته .

* * *
* *
*

" الفصل الأول "

" نسبه وحياته "

ولد الشيخ " محمد بن عبدالله بن عثمان بن سعود بن محمد البليهد النجدى " سنة ١٣١٣ هـ تقريبا ، فى بلدة " غسلة " احدى قريتى القرائن ، وهى قرية لها ماض عريق فى تاريخ نجد ، وهى التى عناها الشاعر سمرة بن زيد المستملى ، بقوله :

أيا ذات غسل يعلم الله أننى ∴ لجوك من بين البلاد صديق
ويا ذات غسل ريح أرضك طيب ∴ كمسك لقابين الصلاه سحيق

والتى عناها ذو الرمه أيضا بقوله :

فقمنا فرحنا والد واسخ تلتظى ∴ على العيس من شمس بطئ زوالها
ولو عريت أصلا بها عند بيهسى ∴ على ذات غسل لم تشمس رحالها

وعنى أيضا ذات غسل ، المزود بن ضرار ، فى شعر يخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم قال :

تعلم رسول الله أنا كأننا ∴ أفأنا بأنمار ثعالب ذى غسل

وقد انجبت ذات غسل كثيرا من الشعراء والأدباء منهم عبد الكريم الجهيمان ، ومن قوله فيها :

ياحبذا ذات غسل فى ملاوتها ∴ وحبذا خطرات فى ضواحيها
وجلسة بالنقافى معشر نجب ∴ أحب الى من الدنيا ومافيها

وذات غسل والتى تعرف اليوم " بغسله " والتى ولد فيها شاعرنا ونشأ ، تقع فى وسط نجد وفى اليمامة منه ، بن سحر البادية ونحرها تبعد عن الرياض غربا بمئتى كيلا على طريق الحجاز ، والى شمالها مدينته شقراء المعروفه وقد أضاف لقب " النجدى " الى اسمه فى كتاباته ، انتسابا الى نجد التى ولد فى أجوائها وعاش بين أفيائها ،

وحيث أمدته بالهاماتها ومشاعرها ، فكان لزاما عليه أن يرد لنجد بعض ما أعطته من الشهرة والنبوغ ، فانتسب اليها .

وقد أخبرني ابن أخيه (١) عن سبب اضافة النجدى الى نسبه فقال : سألت عمي عن سبب اضافة النجدى الى نسبه فقال : انني أرى المصريين حينما أذهب اليهم ، لا يعرفون من أدب الجزيرة الا أدب الحجاز ، بل يعتقدون أن كل من يذهب اليهم من هذه الأمكنه ، انما هو حجازى ، لذلك أردت أن يكون لأدب نجد ، شخصية مستقلة عند المصريين .

أما قبيلته " البليهد " فلها مكانة كبيرة في تلك المناطق ، وشهرة بالجود والكرم ، وآل بليهد من " بني خالد " القبيلة المشهوره ، أما مكانتها العلميه ، فكانت من الميزات التي من الله بها على أفرادها ، خاصة حينما كانت نجد في سبات عميق من الجهل والظلام ، فهناك العالم عبدالله البليهد المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ، وهناك العالم المشهور عبدالرحمن البليهد المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ ثم شاعرنا محمد البليهد ، الذي لم يقف عند حدود الأدب فحسب ، بل قاده نبوغه الى علوم الاجتماع . وقد ذكر صاحب كتاب " كنز الانساب ومجمع الآداب " حينما تكلم عن آل بليهد أن " آل بليهد في الوشم وغيرها ، وفيهم علماء ومنهم الشيخ عبد الرحمن البليهد المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ (٢) " وقد كان جده " عثمان " أميرا على بلدة غسله التي ولد فيها الشاعر ، وبعد ما توفي تولى الامارة ابنه ـ وهو والد الشاعر ـ وقد بقي في الامارة مدة طويله ، اكتسب خلالها شهرة بالجود والكرم والاتصاف بالصفات العربية الاصيله ، وقد كان له ولوع " بأخبار العرب والأعراب وتنقلاتهم وأشعارهم وبطولاتهم مما هيأ مناخا ليشب ابنه " محمد " في هذا الجو ، فقد كان بيت الاماره مقصدا لكل قادم لهذه البلده أدخله أبوه مدرسة القرية ليتعلم القراءة والكتابة ، وهذا

---

١) الأديب : سعود بن عبدالرحمن البليهد ، مهتم بالحركة الأدبية وتطورها ، كما انه مهتم بآثار عمه ومؤلفاته .

٢) كنز الأنساب ومجمع الآداب أحمد ابراهيم الحقيل ص ١٢٨

مبتغى تلك المدارس فى وقته ، فخرج منها ، وعاد الى منزله والى مناخــه الأول ليستمع الى أخبار الأعراب وأشعارهم " ليختلط معهم . فى هذه الفــترة بدأت تظهر عليه علامات الفطنة والنبوغ والنظر الى ما حوله ، يقول فــى بداية مذكراته حول طمحه هذا "كنت فى صغرى مشغوفا بحب الأعـــراب والاختلاط بهم ، وسماع حديثهم ، وحضور نواديهم ، والتعرف برؤسائهـــم واستماع اشعارهم ومعرفتى لفرسانهم " (١) أ ـ هـ .

ويتبلور هذا النبوغ فى سنه الثانية عشره حينما دخل ساحة المساجـــلات الشعريه لكبار الشعراء الشعبيين ، ليقف معهم موقـــف الند ، بـــل ان صغر سنه عامل لترجيحه على منافسيه .

ولقد حكمت عليه ظروف الحياة الصعبة أن يدخل غمارها وهو فـــى هذه السن المبكره " الثانية عشره " وكان أمامه لحياته طريقان لا ثالث لهمـــا الزراعه ، أو التجاره ، فهذان هما المجالان الموجودان للحياة فى ذلـــك الوقت ، أما الزراعة فبدائيه لا تكفى الا الفلاح وأسرته ان هى جـــادت والتجارة أيضا لا تعطى الا ما يكفى المؤنه أو أقل . وقد اتجه ، أو وجـــد نفسه متجها الى " الجماله " (٢) ، وكان هذا الاتجاه لأمرين :

الأول :

أن اتجاه قبيلته "آل بليهد " كان الى التجارة أكثر منه الى الزراعه .

الثانى :

أن الله قد حكم على عمه "عبد العزيز البليهد " الذى يعمل تاجـــرا حكم عليه بفقد البصر ، وظروف الحياة فى وقته لا تسمح له بالجلوس عاطـــلا ، فكان لزاما عليه أن يواصل طريقه الشاق من أجل العيش فاختار أقـــرب الناس اليه ، وهو ابن أخيه " محمد البليهد " وهو المعروف بـــين أسرته بالنباهة والفطنه اختاره ليكون ساعده الأيمن فى سفراته ورحلاتـــه وكأن هذه الصحبة لعمه قد صادفت هوى من نفسه ورغبة ، على الرغـــم من صغر سنه الذى لم يشفع له بالبقاء فى المنزل ، يقول فى مذكراتـــه

---

١) صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ـ محمد بن بليهد جـ٥ص٢٧٢

٢) وهى التجاره وتسمى فى ذلك الوقت بالجماله نسبة الى الجمال التى لها الفضل فى حمل البضائع من جهة الى أخرى .

" وأنا أول سفرة سافرتها وكان عمرى اثنتى عشرة سنه بصحبته عم لى كفيف البصر يقال له " عبدالعزيز البليهد " يأخذنى لأجل أخبره بعلامات الطريق " (١)

فكانت هذه السفرة أول درس يأخذه فى الحياة العمليه ، ثم أخذ يرافق عمه فى جميع رحلاته ، يشاطره كل أخطارها ومتاعبها ، الا أنها من جانب آخر تشبع نهمه ، وتروى ظمأه المتعطش للمعرفة والتطلع وقد انفرد بهذه المهنه وهو فى سنه العشرين تقريبا ، بعد ما أقعد الكبر عمه فوسع رقعة تجارته ، وأخذ يجوب فيافى نجد ومرابعها وقراها ومدنها عارضا تجارته فى هذا المكان ومستعيضا من ذلك ، فكان يغيب الأيام والأشهر متنقلا ببضاعته — ليبادل بها بضاعة أخرى — بين المرابع والبلدان .

وقبل أن ننساق وراء هذا الجانب من حياته سنقف قليلا لمناقشة الجانب الآخر من جوانب حياته الا وهو شاعريته ، وثقافته ، واطلاعه ، ومكانته العلميه ، فقد بلغ فى هذه الفترة من عمره شهرة كبيرة فى مجال الشعر والعلوم الاجتماعيه .

وما دمنا قد تتبعناه من مولده الى هذه الفتره ، ولم نجد له دراسة منظمه الا معرفة القراءة والكتابه ، فان تساؤلات كثيره ترد على أذهاننا ، فمن أين له هذه الثقافه ؟ وكيف وصل الى هذه المكانة الشعرية والعلميه ؟ وما هى الخلفيات التى اعتمد عليها فى تكوين ثقافته ؟

لقد وفق الشيخ محمد بن بليهد بين عملين شريفين ، ولقد وفق فى رمى عصفورين بحجر واحد ، ذلك أن القارىء لما سبق ، قد يظن أن أسفاره ورحلاته لغرض التجارة والكسب فقط ، مع أن هناك غرض آخر وهو المقدم ، وان كان خفيا الا أنه هو الحافز لأسفاره وتنقلاته ، هذا الغرض هو

---

(١) صحيح الأخبار " محمد بن بليهد — جـ ٥ ص ٢٧٩

التحصيل العلمي ، ومبادلة المعارف والعلوم ، في جميع الأغراض والفنون ، لقد كان يسأل من عالم تلك البلدة أو شاعر تلك القبيلة ، قبل أن يسأل عن متطلبات تجارته وبضاعته ، وهو يفضل ضيافة المتعلم له بأدبه وعلمه على التاجر بغناه وكرمه ، من خلال هذا التبادل العلمي الذي يأتي في ظل التبادل التجاري ، بزغ نجمه ، وعلا صيته ، وظهرت شهرته .

على أن العلوم في ذلك الوقت وفي منطقة نجد بالذات ، كانت على قلتها تعتمد على الرواية والحفظ وأغلب تلك العلوم يتعلق بالدين وشئونه بعد قيام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد غلب على الشيخ محمد بن بليهد حب الأدب وفنونه ، فراجع نفسه فوجد أن الاعتماد على السماع والروايه لا يكفي للاحاطة بآداب العرب وأخبارهم ، فبدأ من حينه يبحث في أمهات الكتب والمعاجم والدواوين فوجد أن نجداً تبخل عليه بمثل هذه الكتب ، عندئذ عقد العزم على أن يشد رحاله الى الحجاز وهي مازالت تحت ولاية الشريف حسين ، وفي هذه الفتره توطدت علاقته بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود الذي وحد في تلك الفتره أغلب قرى ومدن نجد ، فكان لزاما على الشيخ محمد بن بليهد ، أن يكون مساعداً لقيام هذه الدوله المنظمه ، فذهب الى الحجاز وقد أضاف الى غرضيه الأولين غرضا ثالثا وهو : محاولة مساعدة الدولة السعودية على دولة الشريف ، وقد نجح في جميع أغراضه من الناحية التجارية أولا ثم من الناحية العلميه ، حيث كثر ارتياده ، لمكتبة الحرم المكي الشريف للاطلاع والقراءة ثم ذهب الى مكتبة المدينه حيث يقضي معظم وقته فيها ، وقد قبض عليه خلال وجوده في المدينه من قبل الشريف حسين بتهمة تهريب السلاح للملك عبد العزيز آل سعود ، وحكم عليه بالقتل الا أنه نجا بعد أن ساعدته الظروف على النجاة ، رجع بعد ذلك الى بلاده نجد بعد أن مكث في المدينه ستة أشهر في المطالعة والقراءة ورجع ببضاعة كبيرة من الكتب والمراجع الأدبية والتاريخيه فكانت تأخذ عليه أغلب وقته في حله وتكون بصحبته في ترحاله ، فقرأ الشعر العربي في جميع فنونه وأغراضه ، فلام نفسه لاقتصار شعره على الشعر الشعبي ، وفي هذه الفترة من الزمن كان الملك عبد العزيز

يواصل انتصاراته وفتوحاته ، وفى احدى المواقع التى انتصرت فيها هـــذه الجيوش ، تفتقت - عند نشوة الانتصار - قريحه هذا الشاعر عن أول قصيدة عربيه وهو فى سنة الرابعة والعشرين تقريبا فأجاد فيها ، ثم زاد ارتباطه بالأسرة السعودية ، حتى كان يرافق الملك عبد العزيز فى أكثر حروبه ومغازيه ثم اتخذ من نجله الأمير فيصل صديقا ، فلما فتح الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ ، تولى الأمير فيصل امارته ، ومن ثم صار الشيخ محمد بن بليهد مرافقا له فى غدواته وروحاته ، وطلق مهنة التجارة حيث وجد الرعاية والعطف من صديقه الأمير فيصل ، وقد كان من دواعى ترافقهما وتوافقهما ، التقائهما فى المواهب الشعرية ، وحب آثار العرب وآدابهم وأخبارهم ، فكانا يعقدان الندوات الأدبيه مع من يحضر من أدباء الحجاز للمناقشة فى الأدب وشئونه والبحث فى آداب العرب وأخبارهم .

وكان قد تزوج زواجه الأول وهو فى سنه الثلاثين تقريبا وهو فى بلدته "غسله" ومن ابنة "سعد بن سالم" فلما كثرت أسفاره وتعرف على رجل من أهالى بلدة "الشعراء" ، يقال له عبد الرحمن بن خلف ، تزوج من ابنته "ساره" بعد ما أحبها ، فقسم حياته بين زوجتيه ، فسكن كلا البلدين متجشما عناء المسافه البالغة مئتى كيلا ، ولكن الأخيرة توفيت ، فأوقدت بوفاتها نار الحرقه فى صدره وكادت تطفئ نور الحياة فى قلبه ، فرثاها بقصيدة تظهر كلاءه وتبين سأمه ، يقول فى مطلعها :

تصرمت الأواصر والزمان ... من الدنيا وهل يشفى الكلام

الى أن قال :

بنفسى ما يطيب لها شراب ... على شحط المزار ولا طعام
فما لى بعد رحلتكم مراد ... بتلك الدار يذكر أو مرام
فألقيت الحقائب من ركابى ... على الشعراء وساكنها السلام (1)

ولكن هذه القصيدة لم تذهب حرقة نفسه ، والأيام لم تطفئ لهيب حزنه

---

(1) الديوان ص ٢٥٦ .

فلم ير أمامه الا أن يخطب أختها من أبيها ، فتم ذلك وتزوج بها ، الى أن توفى عن ثمانيه من الولد ، ثلاث بنات وخمسة ذكور وهم ، عبد العزيز، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وسعود .

وكان رحمه الله الشاعر الأول للدولة السعوديه ، يذود عنها ، ويدافع بكل ما أوتى من قوة فى اللسان فأراد الملك عبد العزيز أن يبعثه الى مصر ليمثل المملكة فى مؤتمر مبايعه شوقى بامارة الشعر ، الا أن ظروفا منعت هذا السفر .

وقد أسند اليه الملك عبد العزيز العديد من المهمات والمناصب التى تقلب بها ، فبالاضافة الى مرافقته للملك عبد العزيز ، فقد عينه سنة ١٣٤٠ هـ جابيا للزكاة من القبائل الشماليه ، وفى عام ١٣٤٦ هـ عينه وزيرا لمالية الطائف ، وترك هذا العمل سنة ١٣٥٠ هـ ، وهو خلال تقلباته هذه لم يتخل عن الدراسة والمطالعه ، بل بدأ بالبحث والتحقيق ، فكان يدون أشعاره ومذكراته ، كما كان يدون ما يتعلق بمؤلفاته من ذكر الأماكن والبقاع ، ومواقعها ، وما قيل فيها ، والمقارنة والموازنة بين المواقع وما قيل فيها من شعر ، وقد اهتم بهذا النوع من البحوث على ما فيه من المشقة والصعوبه حيث استغرق أكثر مؤلفاته ، لأنه صادف رغبة من نفسه ، ولأن هذه الدراسات ، لم يسبق اليها من قبل ، وهو أعرف الناس بها .

وقد اتجه الى التأليف فى اخريات حياته ، ولو أن الله مد فى عمره لأمدنا بالكثير ، فهو رحمه الله يعتبر موسوعة للعلوم الأدبيه والتاريخية راوية لأشعار العرب وآثارهم .

ولقد أصيب بمرض خطير امتد سبع سنوات مات على أثره رحمه الله ، ففى عام ١٣٧٠ هـ أصيب بمرض الفالج " الشلل النصفى " فذهب الى مصر للمعالجه ، فجلس فيها ما يقارب السنتين ، قارب خلالها من الشفاء وخلال وجوده فى مصر ، طبع ديوانه ، وكتابه صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ، وتحقيقه لكتاب صفة جزيرة العرب . للهمدانى ،

ثم رجع الى الحجاز ، فكان يتردد على الأحساء للاستشفاء بمياهها المعدنيه ، ثم جاء الى بلدته غسلة ، ليحضر حفلة زواج ابنه عبدالله ، وكانت المدرسة النظاميه قد افتتحت فى تلك السنه ، فرأى من واجبه على بلده ، وتجاه العلم وطلبته ، أن يضع منزله الكبير مقرا لهذه المدرسه النظاميه الجديده ، فأقام له طلبة المدرسة حفلة تقدير واكرام ، ولكن الأقدار جعلت من هذه الحفله ، حفلة وداع ، فقد ودع أولاده فى هذه البلده ، ثم عرج الى بلده الآخر "الشعراء" وودع بقية أفراد أسرته فيها ثم ذهب الى الحجاز ليطير منه الى لبنان لمعالجة مرضه الذى طالما أقلق مضجعه ، ولكن الله أختار له حياة آخره ، فتوفى فى بيروت سنة ١٣٧٧ هـ بعد مرض دام سبع سنوات ، متوجا حياته المملوءة بالحوادث والأحداث والمتاعب والصعاب ، ولكن هذه الصعاب التى تجشمها منذ نعومة أضفاره ، وشب وشاب وهى تشيب معه ، ما هى الا ثمن للشهرة والنبوغ التى اكتسبها بأشعاره ومؤلفاته ومكانته ، رحمه الله رحمة واسعه .

***
**
*

" الفصل الثاني "

"" دراسته وثقافته ""

كانت نجد فى هذه الفترة غارقة فى بقايا عصور الجهل والظلام ، فكان هم الانسان أن يؤمن عيشه بأى طريقة كانت ؛ لصعوبة الحياة ، وشظف العيش ، الذى جعل التعليم شيئا كماليا فى نظرهم لا يسلك طريقه الا أولو النعمة من الناس .

واذا كانت مصر قبل ثمانين سنة تقريبا - وهى فترة نشأة شاعرنا - قد بدأت نهضتها المباركه وخاصة التعليمية منها ، فان نجدا مازالت تغط فى سباتها ، تحت ملاءة من الجهل ، فكان التعليم فيها نادرا لعدم تحصيل ما يقابل صعوبة التعليم أولا ، ولانشغال الناس بحياتهم الصعبة ثانيا وما يوجد من المدارس فى نجد ، يكون على يد شيخ يكون ملما بالقراءة والكتابة غالبا ، لتعليمها الطلبة بأشق الوسائل ، وبأطول مدة من الزمن - ثم قراءة القرآن قراءه نظريه ، وهذه غاية ما تنشده تلك المدارس فى ذلك الوقت .

دخل محمد بن بليهد ، مدرسة بلدته " غسله " ودرس بها كما كان يدرس أبناء عصره على يد الشيخ " عبد الرحمن العبيدى " وبعد انتهائه من هذه المدرسة وتخرجه منها وهو فى سنه التاسعة تقريبا ، ومعرفته القراءة والكتابة ، أبت عليه نفسه الطموح ، وعقليته المتدفقه أن يقف الى هذا الحد فقد صعب عليه أن يقتصر التعليم على معرفة القراءة والكتابة ، فهذا مجرد وسيلة لا غاية ، كما أراد أن يجعل من نفسه علما لكى لا ينقطع هذا التراث . وهذه المكانه العلمية لآل بليهد ، لذلك اتجه الى طلب العلم ، فأخذه من منابعه ومصادره .

ويتتبعى لمصادر دراسته وثقافته وجدت أنها تختلف الى ثلاثة مصادر :

أولا :

دراسته على المشائخ ، ومجالسته لهم ، وحضوره ندواتهـــم ،
وقد بدأه بالدراسة وهو صغير على يد الشيخ عبدالرحمن العبيدى ، حيث
تعلم منه القراءة والكتابة ، وبعض العلوم الدينيه ، وقد عرف من بين زملائــه
بجده الذكاء وصفاء الذاكره ، وبعد أن تخرج من هذه المدرسة القرويـــه ،
بعد دراسة تقارب السنة والنصف ، عاد الى منزل والده حيث وجـــد
فى نفسه شغفا لأخبار العرب و حوادثهم وأشعارهم ، وكان منزل والـــده
وهو أمير البلدة ـ مناخا للأعراب من كل صوب ، فلبى نداء نفسه ، فجلـس
مع الاعراب ليستمع أخبارهم ، وليتأثر بأشعارهم ، ولم يبلغ السن الثانيـــة
عشره الا ونجده يقف فى مصاف شعراء عصره ، بل ويبزهم فى ذلـــك
النوع من الشعر المتداول فى ذلك العصر ـ الشعر الشعبى ـ فكـــان
يساجل كبار الشعراء وهو ما يزال فى هذه السن المبكرة ، فكانوا يحملونـــه
على أكتافهم لصغر سنه ، ليلقى ما عنده على ذلك الحفل .

ومن هذه الفترة وما بعدها بان نبوغه ، وظهرت شهرته ، وعـــرف
عنه مشائخ شقراء ـ وهى بلدة تقع شمالى بلده غسله " بخمسة كيلـــوات
عرفوا نبوغه وحرصه فى طلب العلم وبحثه عنه فى أصوله ومصادره ، فأخذوا
يبادلونه الزيارات للمناقشة فى المسائل الأدبية والعربيه ، وقد اعجـــب
الشيخ محمد بن بليهد بقاضى شقراء المشهور " عبد الرحمن بن عودان "
فأخذ يدرس عليه علوم اللغة العربية فاعتبر المعلم الثانى لابن بليهد .

ولكن ولوعه بآداب العرب وأخبارهم وأيامهم وأشعارهم ، كـــان
يملك عليه جميع مشاعره فعشق أشعار العرب ، وافتتن بها ، فبدأ يتجــه
الى قول الشعر بالعربية الفصحى ، فأخذ يعد نفسه لذلك ، فيبذل فـــى
سبيل الحصول على الكتب كل غال وثمين ، ليكب على قراءتها ودرس ما فيهـا
ولما كانت تلك البيئه تشح عليه بمثل تلك الكتب ، فقد كان يتسنح الفـرص
لابتياعها من الحجاز ، فكان يصرف جل ماله على قلته فى سبيل اقتنائهـــا ،
ولم يكتف بما فى بطون تلك الكتـب ، بل كان يتعشق مجالسة العلمـــاء

والأخذ عنهم ، حتى اذا ما تفتقت شاعريته بأول قصيدة عربيه ، نــــــراه يذهب بها مع ما تبعها من قصائده الأولى ، الى شيخ ضليع فى هــــــذا الميدان هو الشيخ "أحمد بن عيسى" من أهالي اشيقر" ليراجعهـــــا وينقحها ، فلم يتساو ان ابن عيسى فى اجازته لقول الشعر ، ولقـــــد احتل هذا الشيخ من نفس ابن بليهد مكانة مرموقه ، وذلك لتظلعه فـــى علوم الأدب وفنونه ، وأحاطته بأخبار العرب وأشعارهم ، فكان الشيخ الثالث لابن بليهد .

ولم يكن هذا الشيخ جديدا على حياة ابن بليهد ، فقد مر معـــه بتجربة كادت تقضى على طموحـــه وتدفن موهبته ، وسنتطرق الى ذكرهـــا عند الكلام على شاعريته .

غير أن عبقرية ابن بليهد لم تقف به عند حدود الشعر فقط ، بـــل ان نفسه الشاعريه دعمت مواهبه الفطريه لنوع من الثقافة والدراســـة لآداب العرب ، هذه الدراسه ، هى فلقد رد الشعر العربى ، واضـــاءة ما استخفى منه ، ليس من حيث المعانى أو الأساليب ، وانما من حيـــث الأمكنة والبقاع ، وهذه الدراسه لا تخفى أهميتها وأثرها كما لا تخفـــى صعوبتها ومشقتها .

وقد نهج هذا المنهج بروية أو تشجيع من شيخ ضليع فى هـــــذا المجال هو الشيخ "ابراهيم بن عيسى" وهو عالم كبير درس على علمــــاء بلده أشيقر ثم ذهب الى البصره ليدرس على علمائها وفى مكتباتها ، يقـــول الشيخ محمد بن بليهد عن هذا العالم" وهو رجل "علامة فى جميـــع الفنون ، وبالأخص فى تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم[1] فصـــار الشيخ "ابراهيم بن عيسى" بتشجيعه ودفعه ابن بليهد فى هذا الميدان ، الشيخ الرابع ، لحياته الثقافيه .

ثم يأتى دور الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد ، العالم الفاضـــل

---

(١) صحيح الأخبار : جـ ٢ ص ٢١٥ .

والقاضي المشهور ، ليصقل ثقافته ويلبسه علما وأدبا ، فرفع من مكانته وامكانياته ، وأبان عن منزلته وفضله .

ولعل مما يدخل في هذا النوع من مصادر ثقافته ، مجالسته ومعاشرته لجلالة الملك فيصل أيام كان أميرا على الحجاز ، ذلك أن شاعرية الملك فيصل وحبه للأدب وعلومه - قبل أن تلهيه أمور الدوله - قد عكست آثارها على الشيخ محمد بن بليهد ، فزادت حصيلته ، ونمت ثروته ، ومن ناحية ثانيه فقد كان لزاما على الشيخ ابن بليهد مراعاة لأدب المجلس ، أن يتزود بأخبار الأدب ورواية الاشعار والقصص ، مع ما يتمتع به من شاعريه ، فاذا ما لقي الملك فيصل ، ملأ جو الحديث بما يحبان ، ثم ان أغلب جلساء الملك فيصل في ذلك الوقت من أدباء الحجاز ، كالغزاوي وطاهر زمخشري ، ومحمد حسن عواد ، وحسن الفقي ، وغيرهم كثير ، فكان شاعرنا يعيش أغلب أوقاته في هذا المناخ الأدبي ، حيث يستفيد ، ويدلي بدلوه في الأفاده .

ثانيا :

والمصدر الثاني من مصادر ثقافته هو : قراءاته التوسعيه ، ودراساته اللامنهجيه ، وقد فتحت تلك الدراسات ذهنه ووسعت مداركه ، وصقلت عقله ، فكان رحمه الله يقرأ بشراهة تفوق الوصف ، حتى في حالة أسفاره وتنقلاته بتجارته لا يترك صحبة الكتب ، ولقد كان اتصال ابن بليهد المبكر بجلالة الملك عبدالعزيز ، مصدر ثراء علمي كبير ، فقد كان دائم الاطلاع على ما عند الملك من كتب على اختلافها وتنوعها . أما عن اقتنائها فقد أنفق في سبيلها الكثير من ماله ، وجاء لها بالكثير من أسفاره ، ويحدثنا رحمه عن ذلك فيقول : " فأخذت أروى تعطشي من كتب الأدب وأخبار العرب ، وأبتاع الكتب بأثمانها الباهضه على قلة ذات اليد (١) فكون لنفسه مكتبة ضخمة جلها من أمهات الكتب كالمعاجم والدواوين التي استقى منها

---

(١) مقدمة الديوان ص ٧

شعره وأدبه ، فكانت هذه الكتب تمثل أكبر نبع استقى منه علمه وأدبه .

ثالثا :

أما المصدر الثالث من مصادر ثقافته ، فيتمثل فى رحلاته ، وتنقلاته ، وأسفاره ، أن فى تجواله أربعين سنة فى هذه الجزيرة بما فيها من متاعب ومصاعب ، وما فيها من فكر وعبر ، لأكبر عامل فى تكوين خياله ، وصقل فكره ، وتنمية مواهبه ، وتغذية عقله ، فمن خلال أسفاره وتنقلاته المتكررة فى جزيرة العرب ، اكتسب خبرة وافيه بعدد كبير جدا من الأماكن فى هذه البلاد وما قيل فيها من أشعار ، كما أنه أثناء اشتغاله بالتجارة مع البادية ، كان يدرس ويحقق أى موضع جغرافى يمر به وماذا قيل فيه من الأشعار ، لذلك فهو أول من كتب فى هذا المجال من النجديين فى هذا العصر .

والرحلات سبيل من سبل المعرفه ، ومصدر من مصادر الثقافة ، وفى زمن ابن بليهد كانت الرحلات وحدها ، متصل الفكر بالفكر ، وملتقى المتعلم بالعلم .

وهذه الرحلات التى جاب فيها كل أنحاء الجزيرة كانت لغرضين :

الغرض الأول :

رحلاته للاتجار والبيع والشراء ، وقد أحب هذا الغرض لذاته ، ولكونه وسيلة لغرض آخر .

الغراض الثانى :

رحلاته وأسفاره لابتضاع العلوم والمعارف ، تلك البضاعة التى جعل الحياة مصدرا لها ، فكان يفتح ذهنه كما يفتح عينيه ، للتعرف على الأماكن والمعالم والقبائل ، ويلتقى بالمشائخ فى كل مكان ويناقشهم ، ويتزود بمعارفهم ، ويتطبع بطبائعهم ، حتى اذا ما وسعت الدولة السعودية رقعتها لتضم الحجاز ، وجدنا الشيخ محمد بن بليهد قد سبقها الى مكتبات مكة والمدينه ، ليبحث و ينقب ويطالع ، فلما دانت الجزيرة

للملك عبد العزيز ، بدأ في البحث والتحقيق ، مستغلا مهنة التجـــارة على أوسع نطاق ، وقد توج تلك الرحلات الثقافيه بسفره الى مصـــر سنة ١٣٧٠ وجلوسه فيها ما يقارب الثلاث سنوات ، حيث وجد مرتعـــا خصبا للعلوم والآداب ، فعزز ثقافته وبنى معارفه ، يساعده على ذلـــك حدة ذكائه وصفاء ذاكرته ، وما عرف عنه من سرعة حافظته ، فكان يدون فـــى ذهنه كل ما درس وقرأ ، ثم حمل ما استطاع حمله من الكتب عند عودتـــه ففي سياحته الكثيره في بلاد العرب ، ومخالطته لاصناف الناس ، ووقوفـــه على طبائعهم وأخلاقهم ، ومأثور عاداتهم ، وما تجلى من صور الطبيعـــه في كل مكان ، وغير ذلك مما لا يتهيأ لكثير من الناس ، في ذلك ثقافـــة أي ثقافه ، فهي مشاهدة على الطبيعه ، ولعل اتصاله ببيت الملك ومقامـــه في بطانة الأمراء ، ودخوله في أدق الأسباب السياسية للدولة السعوديـــة الناشئة ، من العوامل التى لها أثر واضح في ثقافته وشاعريته .

فهو بهذه الرحلات والتنقلات ، يسجل معالما ، ويتأمل مقارنـــا وهو نظر وتأمل شاعر رقيق الاحساس ، يرى الاشياء بغير الرؤيه التى يراهـــا بها الآخرون .

فباجتماع هذه الأسباب ، أكتملت الحلقه ، وتكونت له ثقافة واسعـــه جيـــــده .

ثم ان هذه المنابع الثلاثة — وغيرها مما لا ندركه — لمصـــادر ثقافته ، لا تعتبر أطوارا أو مراحل ، لها بداية ونهاية ، فهي تســـير بمسيرته في الحياة حتى توفاه الله ، تسير جنبا الى جنب ، حيث انصهـــرت وكونت ثقافة واسعة مختلفه تمخضت عنها أسفار وأشعار .

كل تلك المواهب والخصال التى اجتمعت لابن بليهد ، والمتاعب التى واجهها ، أثرت في حياته ، وجعلت منه رجلا مرهف الاحساس ، خبيرا بحلو الحياة ومرها ، وكل ذلك ترك آثاره الواضحه في جميع مؤلفاتـــه .

وهذه الدراسة والثقافة التي حصل عليها الشيخ محمد بن بليهد ، تمثل قوة الاراده والعزيمة التى استطاع بها أن يتخطى تلك العقبات التى تقف فى طريق كل طالب علم فى ذلك الوقت .

ومن ذلك نعرف أن دراسته المنظمه لا تكاد تذكر بالنسبة لمدرسة الحياة التي تخرج منها بتفوق ولا شك أن هذا التفوق يمده جانب من الذكاء الفطرى ومن الحذق والاستعداد الأدبى .

* * *
* *
*

" الفصـــل الثالـــــــث "

"رحلاته وأسفـــــاره"

حينما كنت أسأل معارف الشيخ محمد بن بليهد ، لأستقصى ما يتعلق بحياته ، وجدتهم ، يتفقون جميعا على أنه رجل " لا يقر له قرار ، ولا يستقـر فى مكان الا ليستعد للرحيل والسفر ، أما عن جوانب حياته الأخرى فيكـــاد يكون مجهولا ، لتغطية أسفاره ورحلاته على هذه الجوانب من حياتـــــه ولقد بدأ هذه الأسفار وهو ما يزال فى سنه الثانية عشرة ، حينما استعـــان به عمه عبد العزيز وهو كفيف البصر — ليدله علامات الطريق حينما يسافـــر بتجارته ، فوجد الشاب ابن بليهد فى هذه الرحلات صفاء فى النفس وسعـــه فى البال ، كسعة الأفق الممتد أمام ناظريه ، لهذا نجده يستقل بهـــذه المهنة بعد عمه ، ويوسع رقعة رحلاته لتشمل جميع نواحى الجزيرة .

ويخيل الى الكثير من معارف ابن بليهد أن رحلاته للتجارة فقـــط ، وقد آن لنا الآن أن تنفى هذا المفهوم بعد ما رأينا كتبه ومؤلفاته ووجد ثلوه من ثمار رحلاته ، فتبين لنا أن التجارة كمهنة له ، ليست الا مكملا للغرض الآخـر الذى طالما استحوذ ذهنه وشد فكره ، ألا وهو البحث والتحقيق . فلقـــد قرأ آثار العرب وأشعارهم ، فوجد فيها أسماء أماكن ، وجبال ، وميـــاه وأوديه ، ومعرفة هذه الأمكنه فى بطون الشعراء " فصعب عليه ذلـــك فأخذته الغيره ، بل والعزة من أن ينطمس هذا التراث العربى . فـرأى أن يساهم فى سد هذه الثغرة الواسعة فى الأدب العربى ، يقول رحمه الله تعالى ومن النقص الملموس فى الأدب العربى ، أن تبقى مجهولة تلك الأماكـن التى انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء ، وأن تظل مغمورة هـــذه الأجواء ، التى سبحت فيها أخيلتهم وسلس لهم فيها القول وتفجرت بـين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم ، هذه الأمكنه التى تكـون البيئة الطبيعيه التى نورج فيها العربى الأول بطلب كثبانها ، ويضـرب فى صحرائها الفسحيه ، ويستظل بسمائها الصافيه ، ويهتدى بنجومهـا الزاهره ، راضيا بذلك ، قرير العين به ، صابرا على ما يكابد من شظـف العيش وقلة وجوه الاكتساب ، مكتفيا بأنه يعيش فى منازل آبائه وأجداده ،

وفيها مجالس أنسهم ومسارح لهوهم ، ومعترك حروبهم ، وفيها نوادبهم التي كانوا يتنافرون فيها ويتفاخرون من النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأماكن مجهولة ، وما فيها مكان الا له ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم ، وتبعث في نفسه ألوانا من البطولة ، والمغامرة ، والاقدام ، لأنها تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم (١)".

واذا كانت قراءاته ومطالعاته قد كشفت له مآثر العرب وآدابهم فان رحلاته قد أعطته مشاهدات حسية لتلك المآثر ، ونقلته من التصور والخيال الى الحقيقة والعيان ، وليس من رأى كمن سمع. رأى فيها شواهد ناطقة بتلك المآثر والأشعار ، وآلة على مدى ما وصل اليه الفكر العربي في تلك الحقب ، لهذا نجده - بعد نجاح تجربته - يحث كل عربي على الدراسة بالمعاينة والمشاهدة لكشف ما ستره الزمان ، وتعاقبت عليه السنون ، يقول "واذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة على ما وصلت اليه الأمم من تقدم في الصناعة والذوق ، ومقاييس الحياة ، فيجدر بنا أن ننقب عن البيئات الطبيعية بقدر الامكان ، بل نشاهدها عيانا - اذا استطعنا ذلك - لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور ، ولنكشف تلك الستائر المغلقة فلا تظل مطاويه على تعاقب الأجيال ، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ، ومشاهدتها ، واستيحائها ثروة فكرية لا يقدر قدرها ، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد ، يجد كل واحد منهم بغيته في بحثها ، ألم تر الى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر ، وما اكتشف في احشائها من معادن مطموره لفتت اليها الانظار ، بعد أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام ؟(٢)".

لقد رهن الشيخ محمد بن بليهد حياته لخدمة الفكر العربي متجشما مصاعب الحياة ، متخطيا الحواجز والصعوبات وألف تقلبات الأنواء ، وصاحب أهوال الصحراء ، وكان عليه تجاه هذه الصحبه ، أن يجعل زهرة شبابه

---

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ٢

(٢) مقدمة صحيح الأخبار ج ١ ص ٣ .

وفترة بفـــرعه ، وبقية عمره ، وقفا لمعطيات الصحراء التي تجود عليـــــه أحيانا فتمسه بالصبا المحملة بالالهامات والايحاءات ، وتنقلب عليــــــه أحيانا فتذيقه الأهوال والنكبات ، يقول رحمه الله " وأناكثير التجـــــوال فى بلاد العرب من مدة طويله ، لا تقل عن أربعين سنه ، أصعـــــــد فيها الجبال ، وانحدرفى الوهاد ، وأتسلل الكهوف ، أحتمى بهـــــا حمارة القيظ ، وصبارة الشتاء ، أو أهبط على المياه أو أنزل بالمواضـــــع التى نزلها قبلى شعراء وملوك وأمراء ، وطالت صحبتى لهذه الأماكـــــن التى حفل بذكرها الشعر الجاهلى ، وشعرصدر الاسلام ، كما طالـــــت صحبتى للصحراء ، وكثر ترداد ى على المدن والقرى والأماكن التى عفا رسمها وزال أثرها ، وكنت أرى غروب الشمس فى الصحراء ، والتى لا ترى فيهــــا جبلا أو شجره أو أثرا للحياة ، كما كنت أشهد فيها تنفس الصبح ، وأمـــلأ رئتى بالصبا ، كما أن هذه الصحراء تنكرت لى كثيرا وعبست فى وجهـــــى ، وكادت تلتهمنى رمالها ، كما التهمت كثيرا غيرى ، ولكن الله سلم وهكـــذا قدر على أن أقضى أربعين عاما فى قلب جزيرة العرب – أ ى فى نجـــد – كما قضيت سنين من تلك الأربعين أطوف بالآفاق فى الحجاز ونجد غربيـــه وشرقيه وشماليه وجنوبيه وغيرهما من البلدان والأقطار التى وحدها صقـــر الجزيرة الغلاب الملك عبد العزيز[1] .

ان اعجابنا بهذا الرجل ، ليزداد كلما ازدادت عليه الصعوبات والأزمات ، ثم ان تقديرنا ليعظم كلما خرج من تلك الأزمات والصعوبـــات منتصرا ظافرا بنتيجة هى التجربة والحنكه ، وهذه هى شهادة الحيــــاة ، وقد نالها ابن بليهد بعد أن دخل على الحياة الصعبه فى عقودارهـــــا بمحض ارادته ، وبهوى من نفسه ، وبدافع من عزيمته وارادته ، لقد كـــان يترحل بين الفيافى والقفار ، متصعدا بين النجاد وألوهاد ، متخـــــذا من الناقة أليفا ، ومن الذئب نديما ، ومن الضب طعاما ، ومن الهضـــاب مناما ، لقد قادته ارادته الساميه ، وعزيمته العاليه ، الى تحقيـــق هـــدف سام نبيل طالما راود نفسه وداعب مخيلته ، فطوف لأجله كل أرجـــــاء

مقدمة صحيح الأخبار – جـ ٤ ص ٢.

الجزيرة ، وكان فى امكانه أن يجلس - كفيره - فى بلده ساكنا خاملا ، ولكنه الطموح الذى كان نتيجة تلك الغيره التى ألهبت عليه قلبه وفكره لرتق فتق فى الأدب والفكر العربى ، فكان لا بد لهذا الطموح من ثمن ، فكان هذا الثمن على حساب سيرة حياته ، بما تحويه من متاعب جسام ، ولنسمع ما يقوله عن نفسه فى هذا الصدد : " طوفت بهذه المملكة المترامية الأطراف أربعين عاما وقضيت سنوات طويله تتقاذفنى أنا وناقتى الفلوات أسمع عواء الذئاب ، وأطعم فى بعض رحلاتى من الظباء والضباب ، ولقيت من الأهوال والمخاوف والمتاعب ما يشيب له الولدان ، فكثيرا ما فوجئت بحيات ذئاب ، وكثيرا ما نفد زادى ومائى وأشرفت على الهلاك ، وكثيرا ما شعرت بالسموم كأنه فيح جهنم ، ولكن الله أنجانى ، وكتب لى من العمر حتى أروى قصص أحد مخلوقاته العظام "[1] ولم تكن رحلات ابن بليهد اذا للمتعه أو النزهة حتى لا نهتم بها ونوليها عنايتنا ، بل كانت رحلاته للبحث والتحقيق ، فقدم لنا تجاربه ومفاهيمه للحياة بكل ما فيها من خير وشر ، وأخرج لنا أسفارا تتناثر من صفحاتها الدرر ، فكان كتابه " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه " وكتابه تحقيق ونشر " صفة جزيرة العرب " للهمدانى ، وكتابه " صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار " ثم مذكراته كل هذا التراث انما هو ثمرة من ثمار رحلاته وتنقلاته ما علينا الا أن نقطفها بعد أن بذل فى سبيلها ما بذل ، ولقد مرت عليه تجارب ومتاعب ليست من السهولة بحيث تفوت قبل أن يصورها لقرائه ولعل كتابه " صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار " يمثل أضخم انتاج له فى هذا المضمار ، فيصور لنا بعض ما لقيه من المتاعب أثناء جمعه لمادته ، فيقول : " ولأصور بعض هذا الجهد ، أولا قدم لما لقيت من تعب فى سبيل هذا الكتاب ، ذكر للقارئ البعيد عن الجزيرة ، أو القارئ الذى لم يركب الصحراء ولم يتخذ الليل جملا والشمس غطاء ، والذئب سميرا ، والضب طعاما ، أذكر لهذا القارئ ما يعينه على تصور ما أنفق فى سبيل تأليف هذا الكتاب الذى لا يكلفه غير سويعات يقضيها فى تلاوة

---

1) مقدمة صحيح الأخبار جـ ٤ ص ٢

ما أنفق فى تأليفه عمر " طويل ، فلتحقيق موقع " عكاظ " يجب أن يشد اليه الرحل لمعرفته ومعرفة الطريق ، لأن الصحراء تهزأ بالخريت ، فتضله ثم تلتهمه ، اذا لم يكن صادقا ، بل كثيرا ما لتهمت الصحراء الخريت الحاذق ، وما نجا من الصحراء الا من كتب له عمر جديد ، نعم ، يجب أن يعرف الرائد مسالك الصحراء ، ومنافذ الجبال ، ومواقع المياه ، حتى لا يموت عطشا واحتراقا ، ويجتمع بالبدو وشيوخ القبائل ، ويهتدى بما لديهم من علم وتجربة ، وبعد أن يدرس ما ذكر الشعراء ، يبدأ هو فى التحقيق والتحديد ، معتمدا وصف الشعراء قبل كل شىء ، ثم ما ذكره البلدانيون الذين يعتمدون كثيرا على النقول (١) .

لقد خلف رحمه الله تراثا هائلا ليس من اليسير على الانسان أن يتناساه أو يجحد فضله ، خاصة وأن هذا النوع من التأليف ، لا يقوم عليه الا ألو العزم من الرجال ، كما خلف ديوانا من الشعر ، تشع منه عواطفه وعواطف أهل عصره ، بمالهم من آمال وآلام .

وقد عرضت فيما سبق بعض ما لاقاه فى رحلاته من المتاعب والمشاق فى سبيل تلك المعطيات الفكرية ، وهذا هو الجانب الكبير فى تلك الرحلات :

أما الجانب الآخر فيتمثل فى تدوينه وتسجيله لما يشاهده من عادات متباينه ، ومفارقات اجتماعية فى تلك البيئة التى تكون عددا من البيئات التى تفتقر الى الأواصر والصلاة بينهم ، كما يهتم بعرض قصص المشاهير والأبطال من أبناء القبائل ، وما لهم من سطوة ونخوه وجيرة وكرم ، وقد جادت عليه رحلاته بتلك القصص التى سمعها أو شاهد فصولها كما أن هذه الرحلات قد فرضت عليه فى كثير من الأحيان أن يعيش فى خضمها ، ويمثل دور البطل فيها .

فمن هذا الجانب ، كان للرحلات أهمية خاصه ، ولا نبالغ اذا قلنا ان الرحلات من أهم فنون الأدب العربى ، لسبب بسيط ، هو أنها

---

(١) المراجع السابق جـ٤ ص ٢ .

خير رد على التهمه التى طالما اتهم بها هذا الأدب ، وتقصد تهمة قصوره فى فن القصه ، ومن غير شك أن من يتهمونه هذه التهمه لم يقرأوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص واذا كانت جل رحلاته داخل الجزيرة وفى نطاقها ، فانها مملوءة بالأحداث والمفاجآت ، وقد تميزت أكثر كتاباته عن رحلاته بوضع السنه التى سافر فيها ، فكانت أول رحلة سجلها فى سنه ١٣٢٩ هـ وهو يصحبه عمه قبل أن ينفرد بمهنة التجارة وفى عام ١٣٣٠ هـ نجده بصحبة جلالة الملك عبد العزيز ، فى احدى غزواته لبعض قبائل نجد ، وفى عام ١٣٣١ هـ نجده فى الأحساء بصحبة الملك عبد العزيز أيضا عند فتحه للمنطقة الشرقية ونراه فى سنة ١٣٣٦ هـ فى بلدة الحوطه التى يذكر أنه زارها مرارا ، وفى رحلته هذه ، كانت بضاعته التمره وقد قصد به بلدة " الشعراء " حيث مناطق الباديه ، وهذه البلده تبعد عن الحوطه بحوالى أربع مائه كيلا ويصور فى هذه الرحلة بعض عاداتهم ، التى ذكر أنها تشبه أخلاق العرب ، فاذا جاء المسافر الى هذه البلده فانه معرض للسرق والنهب ولو كان فى وسط البلده ، فاذا أراد أن يأمن هذا فليستضف أقرب رجل الى مدخل البلد ، فاذا أكل عنده أو شرب فقد أمن .

وفى سنة ١٣٣٩ هـ تنقله تجارته الى بلد الحائط فى الشمال الغربى من نجد ، وهى مازالت تابعه للشريف الحسين بن على شريف الحجاز ، وكان الملك عبد العزيز قد بعث لهم كتابا ، يدعوهم فيه الى الطاعة والدخول فى الجماعه ، الا أنهم أبوا عليه للعهد الذى بينهم وبين الشريف الحسين بن على ، وأثناء وجود بن بليهد فى ذلك البلد جاء جيش الملك عبد العزيز ليحاصرهم ، فطلب كان منهم الا أن طلبوا من ابن بليهد - لمعرفتهم بمكانته - أن يتوسط لهم عند الملك ليستسلموا بدون قتال ، فكان ذلك .

وفى عام ١٣٤٠ هـ كلفه الملك عبد العزيز مع شخص من أعوانه لجمع الزكاة من قبائل " هتيم " لمعرفته القبائل والأماكن ، ثم رجع الى بلده غسله ، لينضم مع جيوش تلك المنطقة لفتح مدينه حائل وما حولها وكانت

مشاركته فى تلك الفتوح غالبا ما تكون بتموين الجيش ، وفى طريقه الى حائل نظم قصيدة رائعة مطلعها :

ما أنصفت دمنة فى ربعها قبب ∴ من حين قوض منها الحى وانشعبوا

وبعد ما طال حصار حائل بعثه الملك عبد العزيز الى أراضى خيبر لجلب الزكاة من تلك المناطق لتموين الجيش ، وبعد رجوعه صحب الملك عبد العزيز الى الرياض . وفى سنة (١٣٤١ هـ) مر بتجربة قاسية كادت حياته فيها تذهب هدرا ولكن الله سلمه ، وذلك أثناء وجوده فى المدينة المنوره ، وقد ذكر لنا قصة رحلته الى المدينه مصورا ما لقيه فيها من متاعب ومخاطر ، يقول :" وردت ماء الشقرة فى رجب سنة (١٣٤١ هـ) ، متجها الى المدينه للاتجار ، وخرجت من بلدى وكان طريقى على القصيم ثم الحائط الذى كان يقال له فى الجاهليه " فدك " دبت فى الحويط ثم خرجت منه صباحا وبتنا على منهل يقال له " " ونحن ثلاثة نفر : المصنف ، وصاحب لى شريك فى البضاعة يقال له عبدالله بن فاضل " ومعنا رجل " من عوف من قبائل حرب اتخذناه أخا يمنعنا من قبائل حرب ، وهذه عادة جارية بين قبائل نجد اذا أخذت رجلا من قبيلة ، فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة ، وكنا فى ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز أن تعتدى علينا ، وذلك قبل أن يتأكد الأمن ، ثم مشينا من ماء " صفيط صباحا ، ودليلنا الذى من حرب يقول : نبيت فى ماء الشقره فلما كنا فى المنتصف بين ماء الشقرة وماء صفيط ، وجدنا أثر ركب قد أجدوا فى الغاره ، متجهين الى الحناكيه على ما ظهر لنا من الأثر ، تبلغ ركابهم مائه ، فتوجسنا الشر ، ولكن الله لطيف بعباده ، وعلمنا أن هذا الجيش الذى هذه آثاره ، يقوده راشد السحيمى ، أحد بنى حرب ، ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينه للنهب والسلب ، وهو أجرأ رجل فى الحجاز ، فلما رأونا على بعد ظنوا أننا من سرايا جلالة الملك فانهزموا الى الحناكيه ، وتحصنوا بها فأتينا ماء الشقره قبل غروب الشمس ونحن خائفون ، ومنعت ايقاد النار ، فسمعنا صوتا فى أعلى الوادى ، فقلت لصاحبى سأذهب فى سواد الليل الآن ، وآتيك بخبر هذا الصوت ، فأخذت بندقيتى ، وذهبت

أتحسس الصوت قليلا قليلا حتى قربت منه ، فوجدتها هامة على حجـــر " وهى التى تسمى البومه " فرجعت الى صاحبى فقلت له كأن صــــدرك ضائق ، قال : كيف أخاف ؟ والله لا يمسنا سوء ان شاء الله ، فلمـــا ذهب من الليل ثلثه ركبنا وواصلنا وأدلجنا ليلتنا ويومنا وأول ليلتنـــا الثانيه حتى نزلنا " العوالى " فى المدينه على رجل من بنى على يقال لـــه " دغيمان بن جميدان " وهو رجل كريم مهيب فى قومه ، فأقمنا فى المدينـــة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حبست بتهمة أن لى دخــلا فى أمور السياسه ، وأمر الحبس صادر من الحسين شريف مكه ، ولكن لـــم يثبت على شىء مما اتهمت به ، وأقوى معين لى على الخروج من الحبـــس هو الرجل الذى كنت عنده ضيفا ، لأن السلطة فى المدينة فى ذلـــك العهد لقبائل حرب ، وليست للدولة "(١) .

فهذه القصه تظهر مايلاقيه من أحداث ومتاعب ، سواء فى حلـــه أو ترحاله ، ولقد كان لحبســه فى المدينة أثر فى نفسه كبير ، لأنـــه أول مرة يدخل فيها السجن ، ومثله تضيــق به القفار ، فكيف به بـــين جدران أربعه ، يقول من قصيدة له بهذه المناسبة .

نأت بى الدار والأوطان شاسعــــة .. وحن رحلى الى حل ومرتحــل

ولو لم يتدخل معه صاحبه " دغيمان بن جميدان " لكانـــت نهايته القتل ، كما أمر بذلك الشريف حسين شريف الحجاز ، يقول فـــى هذا الصدد : " أقمت بالمدينة ستة أشهر للاتجار ، فى آخرها سجنـــت بأمر الحسين بن على بتهمة سياسيه ، وأنا ليس لى أى علاقة بالسياســـه ، وبقيت فى السجن ليله واحده ، وسبب خروجى منه ، كنت ضيفا عند دغيمـــان ابن جميدان ، وهو من خيرة بنى على ومبيتى فى السجن فى الليله الثامنـــه من جماد الثانيه سنة ١٣٤١ هـ ، وبعد فتح مكه ، قال لى ابراهـــيم الجفالى رحمه الله ، ان الليلة التى سجنت فيها ، قال لى ابراهيم بـــن معتق وهو من أخص رجال الحسين ، والمطلعين على أسراره ، فـــى

---

(١) صحيح الأخبار جـ ٢ ص ١٠٤ .

صبيحتها ، هل علمت أن ابن بليهد قد حبس في المدينه ، وسيؤتى به الى مكه ، ويشنق فى الخريق ؟ (١). فكان وجوده ضيفا عند صاحبه هذا كفيل بأن يستعمل الأخير سلطته لاخراج ابن بليهد من ورطته. وقد علمت أن سبب سجنه العمل على تهريب السلاح من المدينه الى جيش الملك عبد العزيز ، فكان هذا داعيا للشريف حسين بعد ما علم أن يأمر بسجنه ثم قتله فلما سجن وأتى به فى اليوم التالى للتحقيق ، كانت المفاجأة بوجود صاحبه "دغيمان بن جميدان" على رأس المحققين ، فأخبره بقصة اتهامه وسجنه فقال صاحبه : ومتى كان لمثلك أن يسجن ؟ فعمل حتى أخرجه ، فلما تولى ابن بليهد مالية الطائف سنة ١٣٤٦ كافأ صاحبه هذا جزاء عمله : وقد نظم بهذه المناسبة قصيدة ، يستعجل فيها دورة الأيام على دولة الشريف حسين ، من قبل الملك عبد العزيز ، يقول فى مطلع هذه القصيده :

يانفس عند اكتراب الأمر لا تسلى ∴ يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل
ان قربونى الى دهماء مظلمة ∴ فالدهر دولته تزكو على الدول
توهم القوم منى عند رؤيتهم ∴ ومن توهم لا يخلوا من الزلل
لما أتى الرعب فى أرجاء ارضهم ∴ قاموا جميعا كان الرعب من قبلى
حتى أتى الأمر من تلقا رئيسهم ∴ وأثبتونى برأى الشارب الثمل (٢)

ولم يكن غريبا أن تكون رغبة صاحب ابن بليهد فى اخراجه من السجن فوق رغبة دولة الشريف ، لأن السلطة فى ذلك الوقت أغلبها بيد القبائل كما أن بعض هذه القبائل ، خارجة عن سلطة الشريف ، تتصرف حسب أهوائها ورغباتها ، وقد ذكر ابن بليهد أثناء وجوده فى المدينه ، بعض تلك المشاهد ، التى تقطع فيها الطريق ، خاصة على الحجاج ، وقد عقد مقارنة بين تلك الحقبه وبين ما بعد دخول تلك المناطق تحت حكم الملك عبد العزيز ، يقول ابن بليهد : "وقد كنت فى المدينه عام ١٣٤١ هـ قاصدا التجاره ، فصادف فى اقامتى أن جاء حجاج من الجاوه ومعهم حجاج من الهند ، فلما وصلوا عقبات الفقرة وكان رئيس تلك الناحيه "ابن عسيم" فطلب منهم على كل جمل

(١) صحيح الأخبار : جـ ٥ ص ٦٣
(٢) الديوان ص ٧٣ .

خمسة عشر جنيها من الذهب ، فقالوا له : لا نقدر على دفعها كاملة ، ولكن نعطيك على كل جمل عشرة جنيهات ، فأبى وتسرب الحجاج الى المدينه على أقدامهم ، ورايتهم بعيني ، وأخذت انباءهم وفى هذا العهد ، اذا رحل الحجاج من احدى المحطات ونسو شيئا ووجده أهل تلك الجهة لحقوهم به اما فى المدينه أو فى جده (١) .

ولم يقتصر رحمه الله فى رحلاته على المدن أو الأماكن المشهورة ، بل يحاول دائما أن يوسع رقعه تجارته فيها هو يتنقل بين قرى الجنوب ، وعلى ساحل البحر الأحمر .

وفى عام ١٣٤٦ هـ ، ولاه الملك عبد العزيز مالية الطائف ، ومكث فيها أربع سنوات ، وكان خلال توليه هذا المنصب مرافقا للملك فيصل الذى يتولى امارة الحجاز فى ذلك الوقت ، ويصاحبه فى سفراته وخاصة رحلات الصيد - وهى هواية الأمير فى ذلك الوقت - فكان خير مؤنس له بأدبه وقصصه وشعره وكان ابن بليهد يستمد من تلك الرحلات معالم جديده وعادات وتقاليد متباينه ، ويسوق لنا بعضا من ذكرياته عن هذه الرحلات مع الأمير فيصل فيقول : " فى عام ١٣٤٧ هـ كنت فى صحبة سمو الأمير فيصل آل سعود ، وأذكر لما بنى الصيوان وجلس فيه وأذن للناس بالسلام ، دخل عليه شيوخ أهل تلك الناحيه ، ومعهم غلام لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، وألبسوه جوخة حمراء ، وعليها عقال مقصب ، وجعلوه فى مقدمتهم ، وهو أول من دخل ، فقال شيخ كبير السن " هذا الغلام ابن محمد ابن حصانى رحمه الله " وسلم القوم على الأمير (٢) .

وفى سنة ١٣٥٠ ترك وظيفته كرئيس لمالية الطائف ليعود الى بلده " غسله " وفى العام التالى قبل الأمير فيصل دعوة منه لزيارته فى بلده غسله ، وكان ابن بليهد على رأس مستقبليه ، وذلك سنة ١٣٥١ هـ ، ثم أخذ يتردد بين بلدته ليكون مع أولاده ، وبين الحجاز ليكون فى صحبة الأمير فيصل ، ثم نقل أولاده الى جده وسكن فيها ، وفى عام ١٣٧٠ ، أصيب

---

(١) صحيح الأخبار ج ٤ ص ١٩٦ .
(٢) صحيح الأخبار ج ٤ ص ٢٦٨ بتصرف

بمرض لم يجد له علاج عند أطباء الحجاز ، ويصف هذا المرض في القصيدة التي قالها بمناسبة سفره الى مصر للمعالجه ، بقوله :

وقد حسست بأمراض منوعة ∴ في الحيل والحال والكتفين والظهر

فقرر بمساعدة الأمير فيصل السفر الى مصر فكان ذلك في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ ومكث فيها ما يقارب الثلاث سنوات ، وبما أن مرضه لم يقعده ، فقد تمكن خلال وجوده هناك من طبع ديوانه ، وكتابه صحيح الأخبار ونشر ما حققه من كتاب " صفة جزيرة العرب " للهمداني ، كما تمكن من مشاهدة مظاهر التقدم الذي وصلت اليه مصر ، وخاصة في مجال العلم ، وسجل ذلك في قصيدة له يقول فيها :

العلم ألقى بوادي النيل أرحله ∴ حتى تسنم فيه أرفع السور
قد أدركوا من فنون الطب أكثرها ∴ وهذبوها بلا غمط ولا أشر
من قدم الصبر لا تثني عزائمه ∴ طول السنين بمر اليوم والشهر (١)

ولم ينس أثناء وجوده في مصر أن يتم كتابة ما يتعلق بكتبه ، فكان يسأل ويبحث ـ وكثيرا ما وفق وأحيانا لا يصل الى مطلوبه ، الا أن ذلك يعطي دلالة على حرصه على البحث والاستقصاء ، يقول في معرض حديثه عن جبل التوباذ " توباذ جبل من جبال نجد ولكن لا أعلم موقعه ، وهذا الجبل هو الذي تغنى به شعراء مصر ومطربيها ، وعند كتابة هذه الأسطر قد عزمت على سؤال الموسيقار المشهور " محمد عبد الوهاب " عن موضع هذا الجبل الذي يتغنى به كل حين " أيا جبل التوباذ " فلما قررت هذه الفكره ظننت أنه لا يعلمه وعدلت عن سؤاله " (٢) .

ولقد وازن في كتابه صحيح الأخبار " بين ما ذكره الهمداني عن القاهرة في ذلك الوقت ، وفي وقته ، فأوجد بونا شاسعا في الرقي والتطور والتوسع ، كما أشاد " بحلوان " التي زارها للاستحمام في مياهها المدنيه ويقول عنها :

---

(١) الديوان ص ٢٠٧ .
(٢) صحيح الأخبار جـ ٥ ص ١٦٤

* أما حلوان فهو باق بحمل هذا الاسم الى هذا العهد ، وبه حمامات بهـا مياه معدنيه وقد ذهبت اليها لاستجمام الصحه ، وبه حمامات كبريتيــة ساخنه ، وبه مستشفى للأمراض الصدرية ، وبه حدائق واسعه ، ومناخـه معتدل شتاء ، فلذلك يؤمه السواح الأجانب فى فصل الشتاء ، وذهبت اليه عدة مرات بالسيارة والقطار ، وكل ثلث ساعة يقوم اليه قطار من محطة باب اللوق بالقاهره وبالعكس ، وكنت اتعجب من كثرة الركاب القاصدين هذا المكان والخارجين منه (١) وبعد مكوثه ما يقارب الثلاث سنوات وبعد تماثله للشفاء رجع من مصر الى وطنه ليستقر بين أولاده ولكن المرض هاد عليه وهو أشد وطأة ، فأخذ يتردد على الأحساء فى المنطقة الشرقية ،للاستحمام فى "عين نجم" وهى المشهورة بمياهها المعدنيه ، وآخر مسفرة له الى هذه العين كانت سنة ١٣٧٤ هـ وقد تماثل للشفاء قليلا كما يخبرنا بذلك فى مطلع هذه القصيده :

تحممت فى نجم وقد طلع النجـم ∴ وذلك نجم السعد وانقشع السقـم
تحممت فيها للشفاء وربنـــا ∴ لطيف وفى كل الأمور له حكـم
فعافانى المولى من المرض الذى ∴ يعقد أعصابى وليس بها ورم

الا أن مرضه رجع عليه بصورة أشد ، فعقد العزم على أن يسافر الى لبنان ، فساعده الأمير فيصل فى السفر اليها ، وفى آخر عام ١٣٧٦ هـ كان فى بيروت ، وبدأ علاجه ، الا أن القضاء فوق كل علاج ، فتوفى رحمه الله فى سنة ١٣٧٧ هـ ، بعد حياة مملوءة بالحيويه والنشاط ، لاعتمادها على قوة الارادة والعزيمه فى سبيل الوصول الى مراسها متخطيا كل المتاعب والأحداث ، رحل رحمه الله رحلته الطويله ، بعد رحلات دامت أكثر من أربعين سنة ، تتقاذفه المتاعب والصعوبات ، كما تتقاذفه المفاوز والفلوات ، كل ذلك من أجل أن يعيش حياة الكرام ، فكان له ذلك ، وأكثر ، بعد أن نقش فى سجل التاريخ صفحة من العلم والمعرفة ، فى مجال الفكر

---

(١) صحيح الأخبار جـ ٣ ص ٢٢٥

والأدب ، وبعد أن ترك تراثا لأبناء العربية نتيجة البحث والتحقيق الدقيقين وما أظن أحدا يخاطر بنفسه لمثل هذا العمل الشاق ، ناهيك عن عصر كعصر ابن بليهد فيه ما فيه من المخاطرة والمجازفة .

وبعد فقد تتبعت رحلات وأسفار ابن بليهد ، فى كتبه ومن معارفه فأثبتها ، وقد طوى التاريخ بعض رحلاته بما وقع فيها من أحداث وأخبار، ولو أنه أتم كتابة مذكراته ، لساعدت فى معرفة حياته فى هذا المجال ، وقد حاولت فى هذا الفصل أن أرتب رحلاته بترتيب السنين ، وسيجد القارىء بين هذه السنين لم يكن لابن بليهد فيها ذكر ، وليس معنى هذا أنه مستقر فى بلده أو مطمئن عند ولده ، فهو لا يقر له قرار ، ولا يعود من سفر الا وقد استعد للآخر ، ولكن عدم وجود من يدرس حياته ، وعدم خروج مذكراته كانا العاملان الظاهران لخفاء جوانب من رحلاته وتنقلاته .

* * *
* *
*

" الفصـــل الرابـــــع "

" صلته بالأسرة السعودية "

كان ابن بليهد رحمه الله يستمد تلك الأصالة والمكانة الفكرية والاجتماعية ، يستمدها من منابعها الأصيلة ، ومن مصادرها الأصلية ، وكان عليه لكي يستكمل تلك العناصر أن يتصل بالأسرة السعودية التي ظهر نجمها في أول حياته و- من جديد - وعلا صيتها في شبابه ، فنظر الى اتجاه هذه الدولة الناشئة ليسبر غورها ، فوجدها واضحة المعالم ، مستقيمة الطرق ، وجدها تهتم بنشر الأمن ولم يكن أحد يحلم بوجوده في تلك الجزيرة ، وفي نجد خاصة ، كما وجدها تبدى اهتماماتها بنشر العلم والمعرفة ، حيث لم يبق منها في ذلك الوقت الا القشور أو أقل ، وجد الحياة تهدأ بعد رعب وخوف ، ورأى الناس ينتشرون ويسعون في الأرض بعد التقوقع والخمول ، وعموما رأى دولة مخلصة في أعمالها ، جادة في بنائها ، صادقة في نياتها .

اتصل ابن بليهد بالملك عبدالعزيز أول ما اتصل مع من كان يأتى للملك للسلام عليه ، وكان أن أبى نبوغ ابن بليهد ، وفكره المتوقد ، ونجابته المتأصله ، أبت هذه الصفات أن تظل مستورة مكتومة عند الملك فكان منها خير دليل على أصالة هذا الرجل ، فنزل في نفس الملك عبدالعزيز منزلة اجلال واكبار فالتقت الدوله ممثلة في شخص المغفور له الملك عبدالعزيز ، بالفكر ممثلا في شخص المغفور له محمد بن بليهد ، فكان كل منهما سندا للآخر وعونا ، في سبيل الاصلاح .

وقد نظم ابن بليهد أول قصيدة عربيه ، في مدح الملك عبدالعزيز ، والاشادة بمنجزاته خاصة في توحيد هذه الجزيره ، وتوالت هذه المدائح والاشادات له ولأبنائه ، الى أن اجتمع لنا ديوان يكاد يقتصر على هذا الغرض.

لقد كان الملك عبدالعزيز في حاجة الى أن يدعم فتوحاته وانتصاراته بشاعر يبشر بمولد هذه الدولة الجديده ، فوجدت شاعرية ابن بليهد

كفاءة لهذا الغرض ، مع ما جبل عليه من الخبرة والفطنة والذكاء ومعرفة بالأماكن والقبائل ، فاصطفاه الملك وقربه اليه ، ثم رأى أن كفاءته تتعدى النواحى الفكريه الى النواحى العمليه فوكل اليه - وقت حصار حائل - أن يجلب الحبوب والمؤن من القبائل الموالية له ، لسد احتياج هذا الجيش ، فقام ابن بليهد بهذه المهمة خير قيام ، فزادت مكانته عند الملك عبد العزيز فولاه فى سنة ١٣٤٦ هـ ماليه الطائف ، فقام بهذا العمل على أكمل وجه وأخلص فى العمل من أجل اكتمال قيام الدولة السعودية وقد كلف وهو فى الطائف أن يجهز سرية لرد بعض القبائل المتمرده فى تلك المنطقة ، فوفق فى هذا العمل ، وانتصرت سريته ، وكان فى أغلب أيامه مرافقا للملك فى غزواته واستراحاته يدافع عن حمى هذه الدولة ، ويشيد بمنجزاتها ، ويقف لمن يريد أن يتطاول عليها ، حتى عرف بشاعر الملك ، ويسميه بعضهم بحسان الملك .

ونضرب مثلا لمواقفه هذه ، فحينما كان فى مكة مع الملك عبد العزيز ، نشرت قصيدة للأستاذ : حسن عواد ، وهو من الموالين للشريف ، وقد أثبت ابن بليهد مطلع قصيدته وهو فى صدد الرد عليها ، يقول فى مطلعها :

حدثيهم عن بأسنا يا حراب .•. وأذيقهم نكالنا يا عذاب

وامطريهم قذائفا يا مناطيد كأن الدخان منها سحاب

الى أن قال :

أيها المصلحون فى الشرق مهلا .•. أين اصلاحكم وأين الصواب

هذا ما أورده ابن بليهد منها والذى رد عليه بقصيدة طويله مطلعها :

ما أصبتم وما لديكم صواب .•. بعد ما نص فى البريد كتاب

وانتهينا لقولكم حين قلتم .•. حدثيهم عن بأسنا يا حراب

ان هرمتم عن الحروب فإنا .•. كلما طالت الحروب شباب

الى أن قال :

انجلى الظلم والمظالم يا قو .•. م وهى بالأمس بالحجاز عباب

ايها الغافلون قد ظهر الحق ∴ فاسمعونا فما يكون العتاب ؟
لا تعضوا بالألسن العرب المجرب ∴ يوم عضتكم الرهاف العضاب (١)

ولم تكن علاقة ابن بليهد بالأسرة السعودية ، مقتصرة على الملك عبد العزيز ، فقد كان لابنه وولى عهده سعود ، الملك السابق . صلاة وثيقه ، وعلاقات طيبه ، فنجده مع أول من بشر وسارع بمبايعته لولاية العهد :

ابسط يمينا نشت فى الجود والكرم ∴ لبيعة عقدت فى الحل والحرم

ولم يكتف بمبايعته بل أظهرها للناس ، ودعا اليها ، وبين أنها قد وضعت فى مكانها اللائق بها :

فقلت للناس ان الأمر متسق ∴ وقد أحيط بعهد غير منفصم
لا تحسبوا أنها غوغا يدبرها ∴ جلف من البدو وأعلج من العجم
هذى يقوم بها شهم أسنته ∴ من حين نشأته ممزوجة بدم (٢)

وقد خصه فى ديوانه باحدى عشرة قصيدة ، يشيد به فيها ويمدحه ، وهذه الاشادة والمدائح انما استمدها من خصاله الحميده ، وصفاته الكريمه .

أما الملك فيصل ، وهو أمير الحجاز فى ذلك الوقت ، فقد اتخذ من ابن بليهد صديقا ، ورفيقا ، وسميرا . فقد جنح الشعر قلبيهما ليلتقيا فى جو الشاعرية ، وربط الأدب بين فكريهما ، ليلتقيا فى اطار الفكر والأدب وقد زاد التقارب بينهما ، وصدقت صداقتهما بعد أن رأى الأمير فيصل اخلاص ابن بليهد ، فى عمله على قيام الدولة السعودية ، ويتجلى ذلك فى دوره الكبير لتموين الجيش السعودى أثناء حصاره جده ، فقد طال حصار هذا الجيش لمدينة جده ، ثم جاء الأمير فيصل بعد لمساعدة ذلك الجيش على فتحها ، ولكنها امتنعت عليهم فهى أكبر معاقل الشريف الحسين ، فانتهت مؤنة هذا الجيش ، وكاد أن يتراجع لولا

---

(١) الديوان ص ٨٩ (٢) الديوان ص ١٥٠

أن تقدم ابن بليهد ، الى وزير الماليه فى ذلك الوقت " عبد الله بن سليمان "
فطلب منه ذهبا ليتصرف فيه ، كما طلب أن يتحملوا فى الحصار فترة غيابه
التى تدوم عشرين يوما ، فأعطوه ما طلب ، ثم راح ليتفق مع رجل من أبناء
تهامه ، بعد أن أوهمه أنه سيستغل وجود هذا الجيش لتنمية تجارته
وبيعهم الدقيق والذرة بأثمان باهضه ، فعرض عليه مناصفته لتجارته
مقابل أن يدله على قرى الجنوب ومسالكها ودروبها ، وكانت تلك المنطقة
تحت حكم الأدارسه وفى حرب مع الدولة السعودية ، فوافق هذا الرجل ،
فذهبا بقافلة من الابل ، فكان ابن بليهد يمر على كل قرية ويشترى
ما فيها من حبوب ويطلب منهم طحنها وابقاءها عندهم لحين رجوعه ، فلما
ظن أنه قد استوفى ما يحتاجه ذلك الجيش رجع مع طريقه الأول ليأخذ ما
اشتراه جاهزا ، وكان مسيره فى الليل حتى لا يكتشفه الناس فى النهار ،
فانتهى بقافلة كبيرة من الجمال المحمله واتجه الى الجيش المحاصر لجده ،
فوجد الأمير فيصل فى استقباله ، وقد علاه البشر والسرور ، فكانت هذه
الحمله سببا فى رفع معنوية ذلك الجيش الذى شدد الوطأة فى الحصار ـ
على اثرها ـ الى أن دخلها ـ وقد كافأ ابن بليهد رفيقه فى الرحله ،
بعد أن أخبره أن المال ليس له ، وأنه مضطر لاخفاء الحقيقة عليه حتى يضمن
سلامته ، ونجاح مهمته ، فعمله واخلاصه لقيام الدولة السعودية من الأمور
التى وطدت علاقته بصاحبه ، فكانا مترافقين دائما ، متلازمين أبدا ، الا ما
يفصلهما من شئون الحياة كالأعمال والأسفار . وفى سنة ١٣٥١ هـ قدم
الأمير فيصل من أوربا فدعاه ابن بليهد لزيارته فى بلده ـ فلبله ـ
فلبى صاحبه هذه الدعوه ، وعرج عليه فى بلده ، ونزل عنده فى منزله ،
فلما رحل ألحقه بقصيدة يبين فيها ما أحدثه ذلك الفراق من لوعة فى
النفس ، وحرقه فى القلب ، كما يشكره فيها على تكرمه بزيارته وكانت علاقته
بالأمير فيصل قد أراحته فى ثلث حياته الأخير من المتاعب والمصاعب
الناتجه عن الكد فى سبيل العيش له ولأولاده ، فبعد أن ترك عمله
كقائم على مالية الطائف رتب له مرتبا شهريا حتى وفاته ، وحينما حل به
المرض سنة ١٣٧٠ هـ أشار عليه الأمير فيصل أن يذهب للعلاج فى مصر ،
وكان أن ذهب على حساب الأمير الخاص فلما رجع وعاد اليه مرضه طلب

منه أن يعالج فى لبنان على حسابه أيضا ، فذهب ولكن قضاء الله يعلو فوق عمل الأسباب فتوفى رحمه الله فى لبنان ، كما كانت له صلات بالأمير عبد الله الفيصل الذى ظهرت عليه علامات النجابة وهو صغير فخصه ببعض مدائحه فى ديوانه ، كما كان صديقا خاصا للأمير خالد بن محمد ابن عبد الرحمن الفيصل ، وقد وصفه فى ديوانه بأنه صديق له وهو من أحسن الرجال عقلا وخلقا ، فلما توفى رثاه بمرثية نابعة عن عاطفة صادقة تجاه صديقه :

أياعين جودى بالدموع الرواكد ∴ على الخد منها مستهل وجامد

الى أن قال :

كأن انخفاض الناس عند سريره ∴ من الحزن عباد ببعض المساجد
كأن فؤادى موثق بضريحه ∴ ولو أنه فى المهمة المتباعد (١)

لقد كون ابن بليهد صلات مع الأسرة السعودية ابتداء لمن الملك عبد العزيز الى حفيده عبد الله الفيصل ، ولم يقصر معطياته لهذه الأسره على النواحى العمليه أو الوظيفيه ، بل سخر موهبته الشعريه المتدفقه فى هذا الاتجاه ، حتى كادت تقتصر تلك الموهبة الفنية على غرض واحد هو المدح ، ولكنه بالمقابل ، نال بسبب هذه الصلاة كل تقدير واعزاز خاصة من جانب الأمير فيصل الذى أتخذ منه رفيقا ، فلم يبخل عليه ببذل أو عطاء خاصة فى أخريات حياته .

هذه المعطيات ، والدولة السعودية فى ذلك الوقت مازالت فى أمس الحاجه الى القليل من المال ، أما لو أمتد به الزمن الى هذه السنين ، فانه بحق سينال من الجزاء من الناحيتين المعنويه والماديه ما هو أهل له .

---

(١) الديوان ص ٢٥٩ .

***
**
*

" الفصل الخامس "

" مكانتــــه ومنزلتــــــه "

وضع الشيخ محمد بن بليهد لنفسه برنامجا صعبا وطريقا وعرا ليسلكه في حياته ، وكان ذلك باملاء من ارادته القويه ، وعزيمته المتوقده ، لاحياء هذا التراث الفكرى والأدبى الذى بقى ردحا من الزمن فى عالم المجهول لقد رهن حياته كلها فى هذا السبيل فترك لنا تراثا ضخما ، فمواهبه الشعورية من جهة وابحاثه وتحقيقاته من جهة أخرى هى التى كونت تلك الثروه وذلك التراث الذى لا يستهان به ، ومن ناحية ثانيه ، فقد فتح لمن بعده طريقا كان مغلقا ، وأنار لهم سبيلا مظلما ، وكان لا بد لهذه الاتجاهات والأعمال من ثمن كبير ، فكان له ما أراد ، كان له ذلك السمو وتلك الرفعه التى تمثل خير ثمن يتقاضاه ، لقد استطاع أن يبنى لنفسه مكانة عاليه ، ومنزلة ساميه ، واشتهر فى ذلك المجتمع الذى يشتهر فيه كل من يعرف القراءة والكتابة وزادت شهرته فى هذا المجتمع الذى يقدر كل من سلك هذا الاتجاه ، بل وكان له مثل هذا الانتاج ، لقد لمع ذكاء ابن بليهد منذ صغره ، وبدأت عبقريته الشاعره تجارى كبار الشعراء وهو فى سنه الثانية عشره ، فقد منحه الله نفسا شاعريه ، واحساسا مرهفا ، وعاطفه جياشه ، تفيض بشتى صور الابداع المبرزه لكوا من النفس الشاعره ، فاستطاعت تلك العبقرية الشاعرة أن تفتح باب الشعر الحديث أمام أبناء هذه البلاد ، فأصبح قائدا ، أو فاتحا ، فذهب ذكره وشاع صيته فى الناس حيا حتى صار كالنار على علم . وقد كان حقيقا بما بلغ ، لا من أنه شاعر العربيه الأول فى نجد ، ولكنه جاء فى فترة انقطع فيها أمل الآمل فى نهضه الشعر العربى بعد ما ناله من الانحطاط والركة ، وضيق المذهب وسوء المتناول ، وكأنما كان البارودى من قبله ارها صاله ، ودعوة اليه ، وتنبيها الى فضله ومكانه ، فكان ابن بليهد شاعر نجد الأول وشاعر القوميه العاليه ، التى ضرب على أوتارها فهزت نجدا ، وأيقضته من سباته العميق ، فهو صاحب عقل تفيض منه الحكمه ،

وخيال خصب يصور آمال أمته وآلامهم وماضيهم وحاضرهم أبدع تصوير وكـــان ابن بليهد أنضج شعراء طبقته ، وأدقهم تصويرا وتعبيرا ، وأبدعهم بيانـــا ، يصفه الاستاذ محمد بن حسين بقوله : "لقد منح الله ابن بليهد نفســا شاعريه ، واحساسا مرهفا ، وعاطفة جياشه تفيض بشتى صور الابداع المـــبرزة لكوامن النفس الشاعره (١) .

هذا عن شعره أما عن جوانب أبحاثه وتحقيقاته ، فقد رفعته مـــن جانبها الى مصاف العباقرة لأنها تصور صراعه مع الحياة لاستيعاب مـــوارد الفكر والأدب ، فتحقق ذلك بعد أن تخرج من مدرسة الحياة فلـــم يكن من المستغرب اذا أن تتفجر عبقريته ، وهو ابن الدماء العريقـــه المتناهيه اليه من شعوب عرفت بالابداع والعطاء الفكرى السامى .

ان فى تعدد مواهبه الفكريه ، لأكبر وازع على تقديره واكبـــاره ، فهو شاعر " ، ومؤرخ ، وراوية ونسابه ، فيمثل باجتماعها مكتبة زاخرة بهـــذه العلوم ، يصفه الدكتور عبد الوهاب عزام بقوله : " الشيخ محمد بن بليهـد ، وهو عالم نجدى واسع المعرفة بأخبار العرب ماضيها وحاضرها ، راويـــة لأشعارهم القديمة والحديثه ، عارف بكثير من الأمكنه التى ذكرت فى الأشعـار والأخبار ، ذهب اليها ورآها رأى العين (٢)" لقد استطاع ابن بليهـــد أن يجمع عدة ثقافات وعلوم شبه متضاربه ، فهو أديب ، ومؤرخ ، وجغرافـــى، ونسابه ، وراويه ، وان عبقريته لتكمن فى استطاعته وقدرته على صهر هـــذه العلوم لخدمة الأدب ، والشعر بصورة خاصة ، وان من يذكر ابن بليهـــد ليذكر بصورة تلقائيه هذه العلوم بجانب اسمه ، وقد عرف ذلك المرحـــوم محمد محى الدين عبد الحميد الذى اعجب أشد الاعجاب بمؤلفات ابن بليهـــد وحثه على السير فى نهجه هذا ، يقــول : " الاديب النجدى البـــارع ، والنسابة الحافظ ، والمؤرخ الضليع ، محمد بن بليهد "(٣) ان هـــذه

(١) الادب الحديث فى نجد ـ محمد بن حسين ص ٥٢
(٢) موقع عكاظ ـ د / عبد الوهاب عزام ص ١٨
(٣) مقدمة صحيح الأخبار ج ١ مطبعة السنه المحمديه سنة ١٣٧٠هـ .

الأسفار الفكريه التى خلفها ابن بليهد ، لتحمل بين طياتها الدليل الظاهر على ما عرف به من قوة ذاكرته ، ولمع ذكائه ، وتشعب موارد فطنته ، وبعد نظره ، فكان خليقا بمن كانت هذه صفاته ، أن يحتل القيادة الفكرية ، لبعث الحياة العلميه ، فى تلك البلاد التى غطاها الزمان بغشاوة من الجهل والظلام ، فبلغ بذلك مرتبة من الشرف كبيره ، وكان له شأن كبير ، ولعل هذا الشأن يكون أكبر ، لو أن ظروف الحياة جاءت على مراده ، أو لم تغير مجرى حياته ، يقول الاستاذ محمد بن حسين : " ولقد كان هناك فرصتان .. لو سلم الشيخ من ضياعهما لكان له شأن عظيم فى تاريخ الأدب الحديث أولهما : أيام الشباب التى أضاعته عليه كلمة الشيخ "أحمد بن عيسى" .

ثانيهما : السفر الى مصر عام ١٣٤٥ هـ الذى أضاعته عليه الظروف السياسية "(١) .

الا أن هذا لم يمنع أن يكون أديبا من الطراز الأول ، وأن يعرض عليه أكبر شاعر فى الحجاز قصائده قبل القائها ، فقد اخبرنى ابن أخيه أن الشاعر الغزاوى ، كان يعرض القصيدة على عمه قبل القائها ، كما كان الشاعر الكبير محمد حسن عواد ، يستضئ بآرائه وتوجيهاته فى شعره .

وقد كان من الطبيعى أن تنعكس تلك المكانة الفكرية التى رقى اليها ، وتلك المنزلة الأدبية التى احتلها على المجتمع الذى يعيش بين ظهرانيه ، وتفرض عليهم وضعه فى المرتبة التى هو خليق بها ، فكان له ذلك من جميع الناس والطبقات ، ولعل أبرز ما يمثل تلك المكانة الاجتماعية التى وصل اليها ، اعزاز الملك عبدالعزيز له ، واصطفائه اياه ، واعتباره الشاعر الأول للجزيرة العربيه ، حتى كلفه سنه ١٣٤٥ هـ بالسفر الى مصر

---

(١) الأدب الحديث فى نجد — محمد بن حسين ص ٥٤ .

ليمثل الجزيرة العربيه ، فى حفل تكريم شوقى ، الا أن ظروفا سياسية طرأت فلم يتم سفره فقال أحمد شوقى فى ذلك المؤتمر :

ياعكاظا تألف الشرق فيه ∴ من فلسطينه الى بغدانه

افتقدنا الحجاز فيه فلم نعـ ∴ ـثر على قسه ولا سحبانه

ولم تكن منزلة ابن بليهد عند الملك عبد العزيز من أجل شاعريته فقط ، فقد رأى فيه دهاء وحنكة فولاه مالية الطائف سنة ١٣٤٦ هـ ، وتتبلور هذه المكانة والمنزله عند ما قبل وساطته لأهل بلدة " الحائط " فقد كتب الملك عبد العزيز اليهم كتابا ، ليدخلوا تحت ولايته بسلام ، فردوا عليه بالرفض معلنين خضوعهم للشريف حسين ، فجرد اليهم جيشا كبيرا ، فلما علموا بذلك ، أرسلوا اليه بالقبول ، فأبى الملك ذلك ، فنظروا فى أمرهم ، فعلموا بوجود ابن بليهد فى بلدهم للتجارة فطلبوا منه أن يتدخل ويتوسط لهم عند الملك ، برد الجيش على أعقابه ، ففعل ذلك وقبل منه الملك وساطته .

وترتفع مكانته ، وتسمو منزلته عند ما يتصل بالملك فيصل ـ وهو أمير الحجاز فى ذلك الوقت فيتخذه نديما وصاحبا فى غدواته وروحاته ، يستمع كل منهما للآخر ، ويمده بمعارفه ، ومطالعاته أو بقصصه وما رآه أو حدث له فى أسفاره ، وطورا بالشعر يتساجلان ويتعارضان حتى حسده أقرب المقربين الى الأمير فيصل على عنايه الأمير به ، وصحبته الدائمة له .

فكان ابن بليهد يلقى فى ظل صديقه مكانه ومنزلة رفيعتين ، مقابل ما يمد به صاحبه من أدب رفيع ، يشحذ الفكر ، ويجدد العزم ، ويقوى النفس على متاعب الحياة أما منزلته فى مجتمعه ، فترتقى الى درجة الاكبار ، وكما قلت قبلا ، ان مجتمعه ، يرفع ويسمو بمن يعرف القراءة والكتابه ، فكيف بمن وصل الى هذا المستوى العلمى .

ولنضيق معنى مجتمعه ، ونجعله فى أهل بلده وما حولها ، لنتعرف جهدا على صورته ، فقد كان يعتبر كالغريب عنهم ، عن حياتهم الرتيبه ، ومعيشتهم اليسيره ، وأفكارهم السطحيه ، ينظرون اليه نظرة رجل المستقبل ، ويستنكرون وجوده بينهم ، فيعاملونه ، ويكرمونه ، بين الرغبة فى أكرامه والرهبة من منزلته ومكانته ، يتحفظون عنده عن كلامهم بينهم ، ويتكلفون الحديث الملائم لمنطقه . أما هو فيرى فيهم رفاق الصبا ، وفى بلدة مرتع شبابه ومعترك حياته .

اشتهر فى بلده بالكرم فكان منزله - وهو أكبر منزل فى بلده - محط الركبان ، بادية وحاضره ، كما عرف واشتهر برواياته القصصيه ، فيما يدل على الشجاعة والفروسيه ، فاذا كان فى مجلس من المجالس ، تصدره بالحديث . واحتكر المجلس ليجعله مقصورا عليه بالكلام ، فيجد آذانا صاغيه ، وعيونا شاخصه ، لحلاوة تعبيره ، وجمال عرضه . فيستمتعون ، وهذا هو الهدف الظاهر والقريب ، أما الهدف البعيد ، فهم باستماعهم لتجاربه التى مرت عليه وعلى ما يعرض للآخرين من تجارب يأخذون منها دروسا ليتكيفوا بها مع صعوبات الحياة .

ولعل مما يبين أكثر من منزلته ومكانته ، رجوعهم اليه وقت الشده ، فاذا تعرضت قريته أو احدى القرى المجاورة لها ، للنهب أو السلب من قبل الباديه ، لأغنامهم أو محصولاتهم - وكثيرا ما يحدث ذلك - فان استرجاع ذلك لا يكون الا بحملة كبيرة من الرجال ، واما أن تغلب أو تغلب فاذا ما صادف وجود ابن بليهد عند وقوع السلب أو النهب ، فان الأمر يكون سهلا ، فما عليهم الا أن يستعينوا به ويخبروه أى القبائل سلبهم ، فيخرج اليهم ، ويخبرهم أنه يريد استرجاع ما سلبوه ، فان عرفوه فانه لا يلقى أى معارضه ، وان امتنعوا عليه ، توجه الى رئيس قبيلتهم ، ليلقى - فوق

ما يريد - الاكرام والاعزاز ، وكانت أسفاره ورحلاته ، قد هيأت له هذه الخاصيه حيث دعمها بكرمه ، وطول باعه ، فكانت معاملتهم الحسنه له ، بعض ما يردونه عليه من مكارم ، وحق له عليهم .

* * *
* *
*

" وفاتــــــــــــــه "

ابتلى الله الشيخ " محمد بن بليهد " بمرض طاوله أكثر من عشر سنوات ، فقد أصيب بمرض الشلل النصفى ، وهو ما يعرف " بالفالج " وكان فى بدايته فتور فى جسمه الى أن استفحل ليشل جانبه الأيمن بكامله ، ثم كان سببا فى وفاته رحمه الله .

واذا كان هذا المرض قد غير مجرى حياة الشيخ وخط سيره فيها ، فانه لم يؤثر تأثيرا كبيرا على انتاجه الفكرى ، فبعد ما عجز عن الكتابة استعان بابنه عبد الله ، فأملاه كتابه " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه " والذى ما يزال مخطوطا .

وقد ذكر لنا ابن بليهد أن مرضه فى البدايه لم يكن مركزا فى جزء من أجزاء جسمه ، فهو يحس فيه بثقل وفتور ، وهذا بألم .. يقول فى ذلك : " مرضت أمراضا عديدة منها : فتور حدث فى جسمى فى الشق الأيمن بدون ألم ، ومنها ألم فى كتفى الأيسر "(1)

وقد كان الطب الحديث فى نجد بكاملها معدوما على الاطلاق - فى ذلك الوقت - أما الحجاز فان الطب فيه ، لم تصل كفاءته الى علاج مثل هذا المرض ، لذلك ، وبعد أن عرض نفسه على الأخصائيين فى الحجاز يئس من نجاحهم فى شفائه ، فاتجه الى الطب العربى ليجد نفس النتيجه ، وقد ذكر قصة بدايته فى العلاج حيث قال : " لما أحسست بالألم فى كتفى الأيسر عرضته على الأطباء الأخصائيين فى الحجاز ولم يشخصوه ، وعرضته على أطباء الأعراب ، فجاءنى حكيم منهم يقال له " الحبيبه الوقدانى " من القبائل التابعة للطائف ، فقلت له : ان الناس يقولون لى : ان هذا المرض من أنواع أمراض الواهنه ، فقال : ان عندى من مرض الواهنه علما لم يصل اليه علم الأخصائيين ثم رفع رأس أصبعه الأبهام ، فوضعه على رأس الكتف المؤلم فقال لى : ارفع

---

(1) الديوان ص ٢٦٩ .

" الفصــــل الســــادس "

يدك فرفعتها بدون تكلف ، فضرب شماله بيمينه ، وقال : ان كـــان في يدى واهنة فهي في يدك ، قلت له : ما السبب الذى أوضح لـــك هذا ؟ قال : لو كان في يدك واهنه بعد وضع أصبعى على كتفك ، لـــم تقدر على تحريكها "(١) فلم يجد بعد انتهاء عمل الأسباب الا أن يستسلـــم للقضاء الا أن صاحبه الأمير فيصل ، واستكمالا لهذه الأسباب ، رأى أن يسافر الى مصر ليعالج هناك على حسابه ، بعد ما صعب عليه أن يرى صديقـــه مصابا بهذا المرض العضال ، فسافر الى مصر وجلس فيها للعلاج مـــا يقارب ثلاث سنوات ، قارب على اثرها من الشفاء ، ويخبرنا بقصة رحلتـــه هذه ويقول : " قال لى صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيـــز آل سعود ، اننى أرى أن تذهب الى مصر وتعالج ، فربما تحرز الصحـــة والعافيه ، فقدمت مصر في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنـــة ١٣٧٠ هـ ، فشفانى الله من جميع ما كنت أشتكى منه "(٢) .

وخلال وجوده في مصر كان أمامه عدة مهام ، وعلى رأسها العلاج ، وبما أن مرضه لم يقعده ، وعلاجه لم يقيده فقد اتجه الى أنجاز بقيـــة مهامه ، فطبع كتبه ، وكان أثناء وجوده في مصر يتردد على حلوان ، للاستشفاء بمياهها المعدنيه .

وقد أبدى اعجابه بما وصلت اليه مصر من تقدم علمى ، كما بهـــره ذلك المستوى الكبير الذى حققته مصر في مجال الطب ، وعلى يد أبنائها :

العلم ألقى بوادى النيل أرحلـــــه
حتى تسنم فيه أروع الســــور

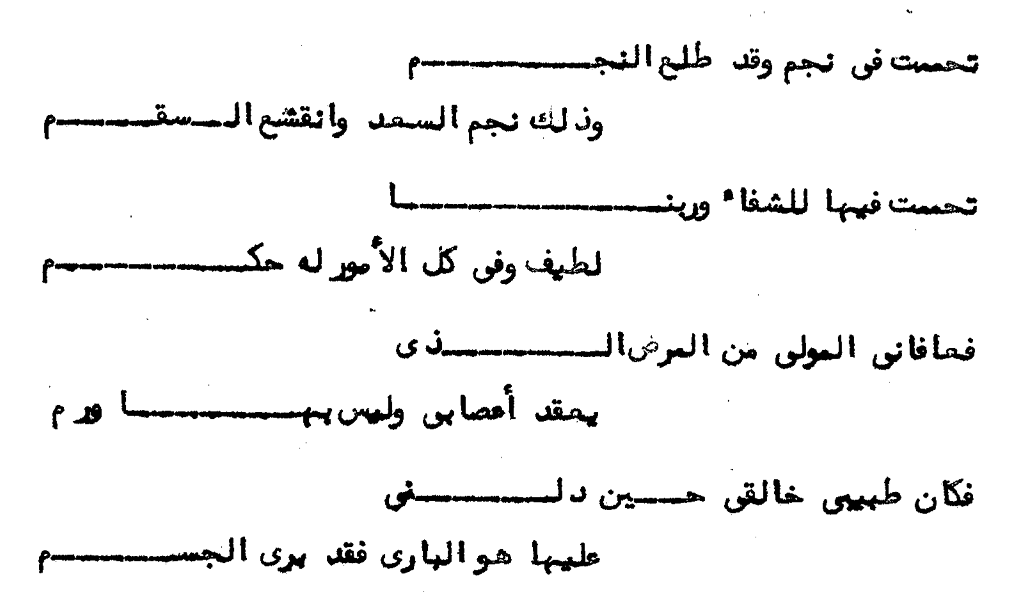
ويقـــول

الطب في مصر حاز العز بالرتـــب
حتى استضاء كنور البدر في العرب

---

(١) الديوان ص ٢٧٢
(٢) الديوان ص ٢٦٩

وفى عام ١٣٧٣ هـ ، رجع الى وطنه ، ليستقر بين أولاده ، ويكون بقرب الأمير فيصل فى الحجاز ، الا أن مرضه عاوده ، فأحس بوطأته هذه المرة ، أثقل مما كان ، فذهب الى "الأحساء" فى المنطقة الشرقيه من الجزيرة العربيه عام ١٣٧٤ هـ ليستحم فى مياه "عين نجم" وهى عين ماء مشهورة للمصابين بمرض فى الأعصاب أو الجلد ، وقد احس بصحة ونشاط أثناء اقامته عند هذه العين للاستشفاء فقال :



تحممت فى نجم وقد طلع النجم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم

تحممت فيها للشفاء وربنا
لطيف وفى كل الأمور له حكم

فعافانى المولى من المرض الذى
يعقد أعصابى وليس بها ورم

فكان طبيبى خالق حين دلنى
عليها هو البارى فقد برى الجسم

ولكنه لم يكد يغادر مكانه ، ويصل الى الحجاز ، حتى رجع اليه مرضه ، ليلقى عليه هذه المره بجميع ثقله ، فيصاب بالشلل النصفى الكامل ، فعجز عن السير ، وثقل أمره على نفسه ، وكأنه أحس بهذا الثقل يقع على الآخرين من حوله ، ولكنه لم يجد سببا قريبا أو بعيدا لدرء هذا المرض ، الا حينما طلب منه صديقه الأمير فيصل أن يذهب الى لبنان ، على حسابه لعل الله يكتب له الشفاء .

وفى آخر سنة ١٣٧٦ هـ ، ودع ابن بليهد أبناءه ، وكأنه قد أحس أو عرف أن هذا هو الوداع الأخير وسافر الى لبنان ، واحساسه بعاقبة مرضه يغلب على أمله فى الشفاء ، فصدق احساسه

حيث كتب الله له الأصلح ، ليختاره الى جواره ، وذلك فى عـــام ١٣٧٧ هـ ، بعد حياة مملوءة بالحيوية المتدفقه ، والنشـــاط المتوقد ، وبعد أن أنار الطريق لمن بعده ، وفتح الباب لمـــن خلفه ، فى سبيل الفكر والمعرفه ، رحمه الله ..

* * *
* *
*

"البـــاب الثالـــث"

"شعـــــــره"

الفصل الأول : الشعر فى نجد واتجاهاته فى عصر ابن بليهد .

الفصل الثانى : شاعريتـــــه .

الفصل الثالث : ديوانـــــه .

الفصل الرابع : أغراضـــــه .

الفصل الخامس : شعره وما فيه من خصائـــص :

أ ـ من حيث الألفاظ والأساليب .

ب ـ من حيث المعانى والأفكار .

جـ ـ شعره بين التقليد والتجديد .

د ـ الصنعه وأثرها فى شعـــره .

هـ ـ تحليل قصيـــــــــدة .

و ـ كلمة حول الشعر الشعبـــى .

* * *
* *
*

" البـــاب الثالـــــث "

" شعـــــــره "

" الفصل الأول "

الشعر في نجد

واتجاهاته في عصر ابن بليهد

لقد كان الشعر أول ما قام فى نجد أثناء قيام النهضه الحديثه مرتبطا ارتباطا كاملا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكان يدور فى فلكها وفى تأسيس كيان تلك الدوله التى قامت لتطهر العقائد من شوائب الوثنيه ، والخرافات السائده .

ونحن عندما نتبين أهداف الدعوه ومقاصدها ، يظهر لنا واضحا جليا أنها انما قامت من أجل تجديد هذا الدين وتنظيفه من رواسب العقول الفاسده التى تعاورته فى عصوره المختلفه ، ومن هذا يتبين لنا أنها انما كانت تعنى بالجوانب العلميه البحته ، لكونها أساس ما قامت الدعوة من أجله ، فلا غبار عليها اذن ، ان هى لم تؤثر فى الشعر أول الأمر تأثيرا مباشرا ، يضاف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثيرين من العلماء غير مرغوب فيه ، بل ربما عده بعضهم من الأمور المزرية بالعالم وقد تطرق الى هذا الموضوع الاستاذ محمد بن حسين ، حينما قال : " ولعل نشوء تلك النظرة ، كان مصورها أمور أهمها :

١) تعريض القرآن الكريم بالشعر فى قوله تبارك وتعالى " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون "؟ .

٢) الأثر الوارد " لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه ، خير من أن يمتلىء شعرا "

٣) أن كثيرا ممن طرقوا سبيل الشعر ، وامتهنوا القول فيه ، كانوا من المتطرفين المتساهلين .

على أنه لم يكد يمضى العهد الأول من النهضه حتى ظهر من العلماء من استخدم الشعر فى :

أ - رد شبه المشبهين من الشعراء الذين استخدمتهم الدولة العثمانيه وغيرها ، من المحاربين ، لتشويه الدعوة التى حمل النجديون لواءها وباعوا فى سبيلها أرواحهم وأموالهم .

٢- أو التذمر والشكوى مما أصاب البلاد من المحن والاحن ، والرزايا الجسيمه التى جرها الأتراك (١) .

فمن هذا يتبين أنهم لم يتطرقوا الى قول الشعر الا مدفوعين ، فما جرى على السنة بعض الملحدين من الشعراء من القدح والتعريض بالدعوة وأئمتها ، كان سببا فى جر العلماء الى سبيل الشعر ، أو اجازة قوله ، وقد كانوا من العازفين عنه تورعا ، فتجشموا مسلكه الوعر ، ولسان حالهم ينشد قول الشاعر :

اذا لم يكن الا الأسنة مركب .. فما حيلة المضطر الا ركوبها

تلك سيرة الشعر والشعراء فى تلك الفتره وهذا هو منهجه ، فما هى أغراضه التى طرقها ؟ وما مدى قوته فى تلك الفنون ؟

لقد جال هؤلاء الشعراء فى كثير من الأغراض التقليديه التى طرقها قبلهم السابقون ، كالمدح ، والرثاء والغزل ، غير أن هناك غرضا واحدا قد استأثر باهتمامهم ، حتي اقتصر عليه الكثيرون منهم ، وهو ما يسميه رجال أدب الجزيرة وشيوخها بالشعر التعليمى ، وسنتطرق الى عرض هذه الأغراض على حسب أهميتها عندهم ، وتداولها بينهم :

الغرض الأول : "الشعر التعليمى" أو شعر الدعوة وقد حظى بالمرتبة الأولى فهو شعره من شعار دعوه ، فكان عليه أن يذود ويدافع عنها ، ويبين عن مزاياها ، ويشرح خفاياها ، من أجل ذلك ، وجدنا أنه أوفر الأغراض عندهم حظا ، وأحظاها بينهم منزلا ، وأملكها لوجدانهم ، وأقواها على قلوبهم وألسنتهم سلطانا ، حتى سبقوا فيه القائلين ، وبزوا الأولين والآخرين ، فسموا بقولهم عن الهجاء ، ومناهجه المبتذله ، واقتصروا فى نظمهم على بيان أصول الدعوة ، وفروعها المستمدة من المنبع الصافى الذى فجره للانسانيه محمد صلى الله عليه وسلم ، دون ما غلو أو

---

(١) الأدب الحديث فى نجد - محمد بن حسين ص ٢٢ .

تطرف ، بل وسط بعيد عن التفريط والافراط ، كما هو مذهب الصالحين من السلف الأولين .

الفرض الثاني : " المدح " ويغلب على هذا الغرض مدح الدعوة والعلم ، وبيان شرفهما ، وفضيلة العمل والتعب في تحصيلهما ، وبيان ما قامت عليه الدعوه من أساس متين ، ونهج قويم ، وكذلك مدح أئمة الدعوة ، وقادتها المحتسبين الصابرين ، والثناء عليهم بما بذلوه من نفس ونفيس في سبيل ان تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وكذلك تهنئتهم بما حقق الله على أيديهم من النصر والتمكين ، ومما نلاحظه أن هؤلاء الشعراء حينما يمدحون ، لا يطلبون عطاء ، فهذا ليس من مقاصدهم ، وليس من أغراضهم .

الغرض الثالث : " الرثاء " ويعتبر في الغالب ، مكملا للغرضين السابقين ، وهو وان كان أقل منهما ، الا أنهم قد رثوا فيه أعلامهم ومشائخهم الذين بذلوا أنفسهم للدين والعلم .

الغرض الرابع : " الغزل " يقول الاستاذ محمد بن حسين : " لقد كان شعراء الدعوة أمام هذا الغرض الشعري الأصيل ، بين عاملين قويين متضادين :

١) طبيعة الدعوه التي لا تتحمل التفرغ لمثل هذا الغرض الطروب ،
٢) طبيعة الشعر والشعراء التي تميل الى كل ما يهز النفس ، ويطرب القلب ، ويفسح المجال للخيال للتلاعب بشتى صور الجمال .. على لوحة المواسق الواله ، بريشة المجنح بالخيال ،

ولقد وجد شعراء الدعوة من ذلك مخلصا ، كالذي سنه لهم كعب ابن زهير رضي الله عنه في صدر الاسلام من افتتاحه مدح الرسول (ص) بالغزل في مثل قوله :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ∴ متيم اثرها لم يفد مكبول

وكذا فى مثل قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

تبلت فؤادك فى الفؤاد خريدة ∴ تسقى الضجيع ببارد بسام

لذلك جالوا فيه وصالوا حتى بلغ من اكثارهم فيه أن الناظر في شعرهم غير المتأمل لأحوالهم يخيل اليه أنه غرض مقصود عندهم لذاته، على رغم أنه " نسيب " قصد به محاكاة الأقدمين " (١) .

وعلى الرغم من تعرضهم للنسيب فى أول قصائدهم فهو لا يتعدى كونه محاكاة لشعر الأقدمين لا يتفاعل الشاعر معه ، فلهذا نستطيع أن نحكم بأن طبيعة الدعوة لا تقبل مثل هذا الشعر " اللاهى " كما أن طبيعة المجتمع فى ذلك الوقت كان عاملا مساعدا فى شل التغنى بهذا الغرض بل اماتته ، يقول الاستاذ محمد بن حسين : " لقد تتبعت باستقصاء ، كل ما عثرت عليه مما قالوه من الغزل المستقل عن كونه مقدمة لغرض آخر ، أى نسيبا ، فما وجدت من ذلك الا قصيدتين للشيخ محمد بن .... ذفع الى قولهما وهو شيخ فى الثمانين " (٢).

تلك هى أهم الأغراض التى طرقوها فى شعرهم ، أما الهجاء فقد ربأوا بأنفسهم عن أن تنحط الى دركه وتزهوا أنفسهم عن أن تتلوث بأدرانه ، ولذا فانه اذا ما عرض فى شعرهم أتى على صورة اللوم فقط ، وأما الفخر فقد تناوله البعض منهم كابن عثيمين ، تناولا خفيفا ، من ذلك قوله :

ود ونكها ولاجة كل مسمع ∴ يقال اذا تتلى : كذا يحسن الشعر

فالظاهرة العامه التى اتسم بها الشعر النجدى ، هى العفة فى القول ، والقصد فى المبالغة ، والبراءة من الفحش والمجون والاقذاع فى الهجاء ، وذكر العورات ، واثارة الغرائز ، فكان من هذه الناحية ، قريب الشبه ، بشعر الشعراء الاسلاميين فى العصر الأول .

---

(١) الادب الحديث فى نجد — محمد بن حسين ص ٢٨ : بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

وظاهره أخرى اتسم بها شعرهم ، وهى هتام قصائدهم بالصلاة على المصطفى وآله وصحبه والتابعين ، حتى صار ذلك ، من الأمور اللازمة التى يتحاشى الشاعر اهمالها ، وتلك عادة ورثوها من شعراء عهود المماليك ، والأيام التى تليهم ، من قبل ومن بعد ، وتلك - على أية حال ظاهرة محمودة لا يضيرها شئ ، وان هى جدت فى عصور التدهور والانحطاط .

وانصافا للحقيقة الواقعية ، والتاريخ الذى لا يغفل ، يجب أن نعترف بأن الغالب على شعر تلك الحقبه لم يكن يعطى قارئه ، صورا حقيقية ، عن بيئة الشاعر ومجتمعه ، وشئون حياته الماديه والروحيه والفلسفة العامة لخبايا النفس الذاتيه ، وزوايا المجتمع الانسانى المحدود ، واللامحدود ، بقدر واف ، ذلك أن أساليبه التعبيريه ، وموضوعيته الضيقة ، كانت " كلاسيكيه ، لم تتغير فى مفاهيمها المألوفه ، كما هو الواجب ، تمشيا مع التغير الفكرى الذى واكب تلك الحركة الاصلاحيه ، وعاشها بكل شعوره واحساساته ، فلقد أغرم الشعراء بالأخذ عن الأقدمين ، دون تصرف أو ابتكار فجاء شعرهم فضفاضا واسع الذيل ، مشوبا بكثرة التكرار ، وعدم الاستواء بين أجزائه ، والاسترسال فى ذكر الأماكن والمواقع ، واقتصروا فى اغراضه على المدح ، والرثاء ، والغزل الصناعى والتحريض على القتال ، وتمجيد الدين والذب عنه ، وأقفر من الشعر العاطفى والوجدانى والوصفى ، ونقد النظم الاجتماعيه ، وغير ذلك من ضروب الشعر التى شاعت فى العصر الحديث ، فكان مفتقرا الى سعة الخيال ، وروعة التصوير ، واحكام النسج ، وكان ذلك أمرا طبيعيا فى بيئة ظلت طويلا بمعزل عن العلم والعالم ، وقلت بضاعتها من الثقافات المدنيه ، والنهضات الفكرية التى شاعت بين الأمم ، وغذت أذهانهم وعقولهم بعلوم ومعارف ونظم لم تكن معروفة عند الاقدمين . واذن فالشعر فى نجد فى تلك الأزمان من تاريخنا - فى الحقبة الواقعة من حوالى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى ، وحتى عهد قريب جدا ، أى الى ما قبل العشرين سنة

الأخيره ـ كان هذا الشعر يعبر الى حد ما عن بعض جوانب الحياة ، وخاصة الروحية منها ، ولكن بقدر ضئيل جدا ، اذ كانت اغراض الشعر في تلك الفتره هي هي نفسها ، .. الأغراض التي كان يتناولها الشعر ، ويطرقها الشعراء في العصور الوسطى .

أما في الصياغة وفي الأسلوب ، فقد تحسن الشعر ، وتطور كثيرا عما كان عليه في العصور التي فسدت فيها اللغة العربيه ، وفسد الأدب حتى أصبح صناعة لفظيه تتكلف البديع كحلية زخرفيه ، مما جعل الشعر قوالب ألفاظ ، ليس فيه من الروح الشعريه ذات الانبعاث الوجداني والمشاعر الحيه ، والانفعالات بالتجربة الشعوريه ، الا بالقدر الذي يبقى على الاطار الشعري ـ سطحيا ـ فحسب .

* * *
* *
*

" الفصـــل الثانــــى "

"" شاعريتــــــه ""

لقد منح الله محمد بن بلهيد شعورا مرهفا ، وأحاسيس دقيقة ، ينظر الى الأشياء من جميع جوانبها ، نظرة متأمل ، ويقيمها بخيال خصب وتطلعات صادقه ، فكان صاحب عبقرية جعلته من أصحاب الرؤيا البعيده والنظره الصائبه ، ومن ضمن هذه القدرات ، أو من خلالها ، تفتقت مواهبه الشعريه ، وهو لا يزال صغيرا وتفتحت قريحته وهو لا يعرف عن الشعر الا أنه المعبر عن الشعور ، والحاكى عما فى الصدور ، لهذا كان له اتجاهان فى الشعر ، أو كان له من الشعر نوعان :

الأول : الشعر الشعبى .

الثانى : الشعر العربى : ونحن لا نستغرب أن يكون له هذان الاتجاهان فى الشعر ، اذا ما عرفنا طبيعة بيئته الثقافيه والأدبية ، التى فرضت عليه أن يسير فى الخط الأول ردحا من الزمن فاذا ما خرج عن نطاق بيئته سواء بنفسه أو بعقله ، فانه ينتقل الى الاتجاه الثانى ، وهو الشعر العربى ، ليساير رغبات نفسه ومتطلبات عصره ، وسنتعرف على هذين النوعين من الشعر بادئين بالشعر الشعبى لسبقه فى شاعريته .

الشعر الشعبى :

لم يكن للشعر العربى فى أول حياة الشيخ محمد بن بلهيد ، وفى بيئته ، أى نباهة أو شأن ولم يكن فى مجتمعه ، أى شاعر بالعربيه على الاطلاق ، فوجد ابن بلهيد نفسه أول الأمر تتفاعل مع شعر قد عم وانتشر فى كل أنحاء الجزيرة ، ونجد بصورة خاصة ، وهو الشعر الشعبى أما لماذا اتجهت به شاعريته الى هذا النوع من الشعر ؟ فان مرد ذلك الى بيئته التى نشأ فيها وهى لا تعرف من الشعر الا هذا النوع ، ولا من الشعراء الا هذا الطراز ، نشأ ليجد هذا اللون من الشعر هو المعبر عن حياتهم ، وما فيها من قسوة وخصاصه ، أو سعاده وراحه ، ثم رأى رواجه ومكانته فى نفوس العامة — وكل الناس فى ذلك الوقت عامه — كما عرف أن هذا

اللون من الشعر عام لجميع الأغراض الشعريه ، فاعتنقه واتبعه ، حتى كاد يعتقد أن ليس هناك من شعر الا هذا المنوال .

واذا كان هناك من عيوب على هذا النوع من الشعر ، فان الشاعر بعيد كل البعد من أن يلحقه لوم أو عيب ، ذلك لأن بيئته قد ضيقت عليه نطاق فكره ، وحدت من تطلعاته ، ولولا ما فيه من العبقريه والأصالة الشعريه لما استطاع — فيما بعد — أن يصحح طريقه ، ويتجه بقريحته الى الشعر العربى ، ولم أقل أن بيئته هى التى وجهته الى الشعر الشعبى " استنتاجا " بل هذا حقيقة مرحليه مرت بالشاعر وكانت أول ما سجله عندما تحدث عن شعره ، ويقول عن هذا : " وبعد .. فقد كنت ممن أحالتهم عوامل التكوين وخصائص البيئة الى ما خلفته النوادى الشعبية من انتاج ، فقد كانت البلاد انذاك فى معزل عن العلم والعالم ، ولكن البيئة العربية السخية ، التى أنجبت عباقرة الشعراء فى القرون الغابرة ، أبت الا أن تظل كما كانت منتجه على اختلاف فى طابع ذلك الانتاج ، فقد كانت مجالس السمر تكتفى بالمتساجلين ، فخلفت لنا انتاجا لا يستهان به ، وكنت فى مستهل الحياة أختلف الى تلك النوادى واستوحى ما يطيب لى فيها من جيد الشعر ، وأتعمق فى دراسته حتى أجدت صناعة الشعر الشعبى وأصبحت أحد المتساجلين "(١) .

وقد خلقت معه تلك الموهبه الشعريه ، والعبقرية المبكرة ، فليس من الغريب أن نجده وهو فى سن الثانيه عشرة أن يقف فى حلبة المساجلات الشعريه ، وأمام تلك الجموع من الناس ، ليلقى ما عنده وهو محمول على الاكتاف ، حتى يراه الناس ، يقول فى معرض حديثه عن شاعريته المبكره " وقد بلغ بى الأمر أن اساجل الشاعر المرحوم " السكران " وكان شاعرا مقلا ، أذكر أن رجلا يقال له عبدالله بن سالم ، كان يحملنى على كتفه حتى القى ما عندى فى ذلك المحفل ، ثم يضعنى وهكذا كلما دعت الحاجة الى أن القى بدلوى فى الدلاء وذلك نظرا لصغر سنى "(٢)

---

(١) مقدمه ديوانه

(٢) مقدمة الديوان .

فكان شعره شعبيا " عامى " فى فترة حياته الأولى ، أجاد فيه برز، ونافس من هم أكبر منه سنا وأكثر منه خبرة بصناعة الشعر الشعبى ، فهزهم وغلبهم فى حلبات المساجلات الشعريه .

الشعر العربى : فى سنه السادسة عشره تقريبا ، وبعد ما قرأ الشعر العربى فى بطون كتب الأدب وبعد ما جادت عليه أسفاره مع عمه لملاقات بعض العلماء الذين لهم اشعار بالعربية ، وبعد ما رأى فى الشعر العربى ما يأسر النفس ويخلب الألباب من جمال الصور ، وعمق التصوير ، بعد هذا كله أو من هذا كله اتجه بقريحته الشعريه ، وموهبته الفطرية الى هذا الاتجاه الذى عشقه ، وكان نجاحه فى الشعر الشعبى باعثا له على التوجه الى طرق الشعر العربى ، فنجح فيه ، بالرغم من أنه لم يلق قبولا واستحسانا من قبل أهل مجتمعه وبيئته مثل ما لقيه شعره العامى ، ذلك لأنه جديد عليهم ، ولا يستسيغونه مثل ما يستسيغون الشعر الشعبى الذى يتحدث بلغتهم وبلهجتهم العاميه ، أما النجاح والتقدير والاستحسان الذى حسب له ، فقد لقيه عند رجال الأدب الذين يعرفون الغث من السمين كما لقيه عند كل دارس للأدب الحديث والذين يعتنون بنشأته وتطوره .

ويكفيه من الفضل والشهره ، أنه ساهم فى احياء الشعر العربى الذى كانت تلك البقاع مرتعه ومنشأه وأنه نقل الشعر فى تلك الربوع من اتجاه ملتو ، ومفاهيم ضحله ، " من الشعر الشعبى " الى الشعر العربى الفصيح ، الى الطريق الصحيح فاعاد المياه الى مجاريها .

وهو حينما بدأ يتجه الى قول الشعر بالعربية الفصحى ، أخذ يعد نفسه لذلك ، فكان يستمع ويقرأ ويبذل فى سبيل الحصول على الكتب كل غال ورخيص ، ليكب على قراءتها ودرس ما فيها ، وكان يصرف كثرة ماله على قلته فى شراء الكتب ، ويحدثنا فى مقدمة ديوانه عن هذا التحول فى حياته الشاعره فيقول : " تخرجت من تلك المدرسة الشعبيه ، وكان هذا النجاح باعثا لى على بدء محاولة أخرى ، فأخذت أروى تعطشى

من كتب الأدب ، وأخبار العرب ، وأمتاع الكتب بأثمانها الباهظه ، على قلة ذات اليد ، وأتعشق مجالسة العلماء ، على أن الوسط الذى نشأت فيه كما أسلفت لم ينتشر فيه العلم بشكل يساعد على التحصيل " (١) ، وعلى الرغم من هذا فقد تخطى تلك الحواجز الكأداء ، وأخذ فى قول الشعر بالعربية الفصحى وهو ما يزال صغير السن ، ولكن تلك الشاعريه المتدفقه ، اعترضها عارض ، وهى ما تزال غرة وجموحه ، فتعطلت أوتارها ، وسكت نغمها لفتره ليست بالقصيره بالنسبة للشاعر ذلك أنه قد مر بتجربة كادت تحطم تلك العبقرية ، وتهدم تلك الشاعرية المبكره ، وقد ذكرها فى مقدمة ديوانه ، فقال فى معرض حديثه عن شيوخه : " كنت أهتبل سوانح الفرص اذا اجتمعت بعالم ما لأستضئ بقبس من عرفانه ، وكان من بين أولئك صاحب الفضيله العلامة الجليل الشيخ " أحمد بن عيسى " وكانت له اليد الطولى فى جميع الفنون ، قدم القرائن مسقط رأسى ، فذهبت اليه فى معية عمى عبد العزيز ابن بليهد ، فسلمنا عليه ، وجلسنا عنده ، وتجاذبنا أطراف الحديث ، فالتفت الى عمى وقال : هذا الغلام ابن لك ؟ قال : لا ، هذا ابن أخى عبد الله ، قال : لعله يقرأ ؟ قال : نعم يحسن القراءة والكتابه ، وله ولع شديد بتاريخ العرب ، وآدابهم ، واشعارهم ، وأخاله يحاول نظم الشعر ، فالتفت اليه الشيخ قائلا " حسب ابن أخيك نظم الخرز " فكانت تلك الكلمة صدمه قاسية فتت فى عضدى ، وأوشكت أن تحول مجرى حياتى ، فقد كدت أزهد فى بضاعة الأدب ، وكان يدور بخلدى اذ ذاك أن محاولتى لغرض الشعر شئ من عبث الطفولة لا جدوى من ورائه (٢) .

لقد صادفت تلك الكلمة " حسب ابن اخيك نظم الخرز ، نفسا شاعره ، ذات احساس مرهف وعاطفة رقيقة دقيقه ، فلا غرابة اذا أن تعزف نفسه عن الشعر ما يقارب السبع سنوات ، خزن - خلالها - بضاعته فى نفسه ، وكتم عواطفه وأحاسيسه ، حتى كاد ذلك يقضى على طموحه ويميت موهبته ، كما كادت

---

(١) مقدمة الديوان .

(٢) مقدمة الديوان .

كما كادت تلك العبقرية الشاعرة أن تذهب بسبب هذه الكلمات المتشائمة فى ميدان الأدب ، مر بالشاعر بعدها زمن لم يحدث نفسه ببيت واحد ، ولكن سكوت تلك النغمة لم يدم ، فمعدنه أصيل ، وشاعريته صادقه ، ففى سنه الرابعة والعشرين ، رأى حدثا هز شعوره ، وحرك أحاسيسه ، فأبت شاعريته الا أن تخرج عن نطاق العزله التى ظلمها بها ، فتفتقت قريحته بأول قصيدة عربيه ، يصدر بها ديوانه ، وهذا الحدث هو " موقعه تربه " التى انتصر فيها جيش الملك عبدالعزيز على جيش الشريف ومعاونيهم ، حيث وضعت حدا لفسادهم وخرابهم ، فكان من هذا الانتصار ، أن غمر الشاعر بيمنة هزت حماته ، وأنطقت لسانه ، فكانت بداية ناجحة انتشلت الشاعر من بين براثن اليأس ، واستنقذته من ظلال القنوط ، لتدفعه الى الأمام فى طريق الفن الذى طالما مراعيت ريشته أوتار قلبه ، وثنايا مشاعره وأحاسيسه المضطرمه فى أعماق روحه الشاعره ، يقول فى مقدمة ديوانه : " وفى غمرة من غمرات الذهول ، حينما استأصل جيش " أهل التوحيد " جيوش الحسين بن على تحت قيادة ابنه عبدالله فى موقعة " تربه " التى هزت الشعور ، وتفتحت بذكرها القرائح المغلقة ، تمخضت القريحه ، عن أول قصيدة نظمتها من هذا الديوان (١) ، فكانت موقعه تربه سببا فى هزمشاعره ، لما تحمله من معانى الانتصارات العسكرية والسياسية والاجتماعية ، والتى كان الناس فى أشد الحاجة اليها ، وجدير بتلك الموقعه أن تهز الشعور ، بل وتفتق القرائح .

ولعل فى قوله " وفى غمرة من غمرات الذهول " ما يبين عن أن قريحته قد داهمته بما حرك شعوره ، وأثار شجونه ، فكأنما كانت هذه القصيدة من وحى الالهام ، يقول فى مطلعها . وقد بدأها برثاء الأطلال ، والنسيب :

تغير رسم الدار أصبح خاليا ⁂ فليس بها حى يجيب المناديا
عفى رسمها من واهل الحزن رائح ⁂ وآخر منهاد من الحزن غاديا

---

(١) مقدمة الديوان .

فلم يبق الا موقد النار حولــه ∴ رواكد أمثال الحمام بواقيـــا
أسائلها عن أهلها أين يمموا ∴ وهل يسألن من لا يجب سؤاليـا
منازل حى طالما حل سوحهـا ∴ أوانس أتراب حسان غوانيـــا
تداولها ذارى الرياح وأقفرت ∴ على طول مرات السنين الخواليـا
خليلى عوجا يسلو القلب ساعـة ∴ بتذكار من يهوى اذا كان نائيـا (١)

وتبلغ هذه القصيده خمسا وخمسين بيتا كلها على هذا النمط مـــن الجـــودة والقـــوه .

واذا كان الشاعر قد حول اتجاه شاعريته آخر ، فليس معنى هـــذا أنه قطع صلته بالشعر النبطى ، ولكنه قل بالنسبة الى هذا الاتجاه الجديـــد الذى اختاره لنفسه وصار يمثل ٢٠٪ بالنسبة الى شعره العربى ، وكان هـــذان النوعان يسيران جنبا الى جنب حتى غلب الشعر العربى على شاعريته .

---

(١) الديوان ص ١٥

* * *
* *
*

" الفصل الثالث "

"" ديوانه ""

جمع الشاعر قصائده فى ديوان اسماه " ابتسامات الأيام ، فى انتصارات الامام ، ويقع هذا الديوان فى ٣٦٣ صفحة من الحجم المتوسط وقد تم طبعه سنة ١٣٧٠ هـ على مطبعة السنة المحمديه بالقاهرة ، وقد بدأه بمقدمة بين فيها بعضا من مجريات حياته الفنيه ، ومحاولاته قرض الشعر، وما لاقاه من نجاح أو تخذيل ، ثم انتقل بعد ذلك الى أجزاء الديوان ، ويشتمل فى أغلبه على ثلاثة فصول ، ذكر ما تحويه هذه الفصول فى مقدمته بقوله : " الفصل الأول خاص بما قيل فى العاهل العظيم الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، والفصل الثانى خاص بأماديح ولى العهد المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود والفصل الثالث خاص بسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وسمو ابنه الأمير الجليل عبد الله الفيصل آل سعود ، وآخر الديوان مراثى متعدده (1) .

ونريد الآن أن نستعرض أقسام هذا الديوان على أنها ستة لا كما قال : ثلاثة .

القسم الأول :

فى مدح الملك عبد العزيز ، المؤسس الأول لهذه الدولة الفتيه ، وقد بدأه بمقدمة تاريخيه عن مطلع حياته وما فيها من نبوغ وفراسه ، كما عرض لبعض ذكرياته الخاصه معه ثم بدأ فى عرض القصائد معنونة بالمناسبات التى من أجلها قيلت ، والسنه التى قيلت فيها وقد خص الملك عبد العزيز فى هذا القسم باثنتين وثلاثين قصيده ، كلها فى مدحه والاشادة بمنجزاته وما حقق من مبادىء العدالة والرخاء بين الناس .

القسم الثانى :

فى مدح ولى العهد سعود بن عبد العزيز " الملك السابق " وقد

---

(1) مقدمة الديوان .

بدأه أيضا بشبه ترجمة لحياته ، وبعض ما قام به من أعمال ، أما القصائد الخاصة بمدحه فعددها احدى عشرة قصيده ، أغلبها فى تمجيد ما قام به من مسانده لوالده فى فتوحاته ، وتوحيده لأجزاء هذه الجزيرة .

القسم الثالث

وقد خصصه لمدح سمو النائب العام على الحجاز ، وهو الآن صاحب الجلاله الملك فيصل بن عبد العزيز ، وابنه عبدالله ، وقد بدأ هذا القسم أيضا بلمحة تاريخيه من حياتهما ومكانتهما ، وقد خصهما باحدى عشرة قصيدة هى من طلائع شعره .

وقبل أن يبدأ فى عرض قصائد هذا القسم أقحم فى ثلاثين صفحة من ديوانه " الفصل الخاص بأمراء مكة " من كتاب مرآة الحرمين ، الجزء الأول من ص ٣٥٤ الى ص ٣٦٦ ، لمؤلفه ابراهيم رفعت باشا وقد نقل هذا الفصل ، بمناسبة كون الأمير فيصل أميرا على الحجاز ، يقول فى مقدمته لهذا القسم ، " وبمناسبة أنه أمير مكه ، قد رأينا اتماما للفائدة ، أن نضع الفصل الخاص بأمراء مكه من كتاب المرآة الحرمين [1] وبرغم وجاهة هذا السبب الذى أورده ، فاننى أرى بجانبه سببا آخر ، وهو أن نقله لهذا الفصل ، واكماله الى عهد الأمير فيصل ما هو الا استكمال لمدح الملك عبدالعزيز وابنه فيصل ، والأسرة السعوديه ، ذلك أنه قبل أن يبدأ فى عرض جدول بأسماء أمراء مكه ، تطرق الى ظلم وفساد أمرائها الاشراف حيث يقول : "قلما وجد بين الأشراف مصلح ، وأن الحرب قلما انطفأ سعيرها بينهم من أجل الاماره ، حتى يبلغ الأمر ببعضهم أن قتل أخاه وطبخ لحمه ، ودعا اخوته الباقين لوليمه قدم لهم فيها لحم أخيه ، وأقام على رأس كل منهم سيافين حتى لا يستفزهم الغضب الى الانتقام ، وكانوا يجدون من الحكام المجاورين من يساعدهم على قتل بعضهم بعضا حتى تفاقم الشر

---

(١) الديوان ص ١٧١ .

بينهم ، فكانوا أسوأ أسرة وجدت بين أفرادها أسوأ العلاقات ، وكـــان خليقا بحكام البلد الحرام ، والمتشرفين بجوار بيت الله ، أن يكونوا مثـــالا حسنا للامارة والولايه ، ولكن الملك عقيم ، خصوصا اذا كان بين الجهـــلاء الذين يحسبون أن مجرد نسبتهم الى الرسول (ص) فخر لهم وشـــرف وان نبذوا أخلاقه وأعماله وآداب دينه ولقد سموا أنفسهم شرفاء - ويعلم الله أن أكثرهم من الشرف براء (١) .

القسم الرابع :

فى " الرثاء " ومن رثاهم زوجته ، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيـف آل الشيخ وكثير من المشائخ ، وغيرهم من رفاقه وأصحابه ، كل هذا فــى سبع قصائد طويلة معبره .

القسم الخامس :

فى الغزل " ويحوى قصيدتين قالهما متغزلا فى ممرضتين أشرفتـــا على علاجه وهو فى مصر ، وهاتان القصيدتان هما كل ما قال فى الغـــزل كفرض مستقل ، أما الغزل التقليدى الذى يبدأ به القصائد ، فكثير فى شعره .

القسم السادس :

الوصف ، وبعض القصائد المتنوعه ، ومما قاله فى الوصف قصيـــد ه يصف فيها سفره الى مصر ، وأخرى يصف مرضه ، وثالثة يصف فيها تقـــدم العلاج والعلم فى مصر ، وقصيدة أخرى يشكر فيها طبيبه الذى أشـــرف على علاجه .

وقد ذيل ديوانه بشىء من شعره العامى ، وأعقبه بذكر مختـــارات من شعر العاميه فى نجد . وبعد ، فان هناك سؤالا ملحا يطـــرح

---

(١) الديوان ص ١٨٢ .

نفسه عند دراسة هذا الديوان وهو : هل شعره يقتصر على ما حواه ديوانـــه من قصائد ؟ وهل ديوانه يحوى كل قصائده ؟

عند محاولتى للاجابة على هذا السؤال ، تتبعت ديوانه للمقارنـــه بين تواريخ قصائده فوجدت أن أول قصيدة أثبتها فيه كانت قصيدته سنــــه ١٣٣٧ هـ أى وهو فى سنه الرابعة والعشرين وقد عرضنا قبلا أن له قصائـــد عربيه وهو ما يزال فى سن شبابه المبكر ، الى أن أسكته شيخه ـ فيما بعد ـ أحمد بن عيسى بقوله لعمه : " حسب ابن أخيك نظم الخرز " وسكت بعد هـــا الى أن هزت شعوره موقعة تربه ، فقال قصيدة هى أول قصائده فى هـــــذا الديوان ، اذا فشعره فى المرحلة الأولى أو " شعر التجربة " لم يـــدون ، ولم نعثر له على بينه ، وبالمقابل ، فقد تتبعت آخر قصيدة فى ديوانه فوجدتهـا فى آخر سنه ١٣٧٠ هـ وهى قصيدة " شكر وثناء " لطبيبه الذى عالجه " عمــر أسعد ، وقد طبع الديوان خلال وجوده فى مصر وفى تلك السنة المذكورة وهـى سنة ١٣٧٠ هـ وعاش الى سنة ١٣٧٧ هـ ففى هذه الفتره ما بين طبع ديوانـــه وبين وفاته لم يحفظ له من القصائد الا قصيدته فى لبنان سنة ١٣٧٧ هـ عنـــد وصوله اليه وقبيل وفاته ، وقد طلبتها من ابنه عبد الله فاعتذر بضياعها عنـــد نقل مكتبة والده من جده الى الرياض.

وعند قراءتى لكتابه المخطوط " ما تقارب سماعه وتباعدت أمكنتــــه وبقاعه " عثرت على قصيدة له بعد طبع ديوانه ، قالها سنة ١٣٧٤ هـ أثنـــاء وجوده فى الأحساء ليستحم فى مياه عين نجم المعدنيه وقد ساعد استحمامــه هذا على شفائه أو برئه كما تدلنا على ذلك قصيدته التاليه :

تحممت فى نجم وقد طلع النجـــــــم
وذلك نجم السعد وانقشع السقـــم
تحممت فيها للشفاء وربنـــــــا
لطيف وفى كل الأمور له حكـــــم

فعافانی المولی من المرض الـــــذی
يعقد أعصابی وليس بهـــا ورم

فكان طبيبی خالقی حين دلـــنی
عليها هو البارئ فقد برئ الجسم

سقاها من الوسمی كل محتـــتم
يساق اليها كلما دخل الوســم

وأسقی علی الهفهوف منبثق الحـــری
تمج كثير الودق أمزانه السحـــم

علی جنبات القرن (١) ضاف عبابـــه
ومعهده المعروف سيلهما حـــتم

ففی سالف الأزمان ما ظن هاجـــس
بأن جناب القرن يقری به العلـــم

ولكن هذی نهضه قد تبثقـــت
قريحة أهليها وطاب لها الفهـــم

هنيئا لأهل القرن والمعهد الـــذی
به كلما عدت مناقبه يسمـــو

وأسبابه هذا المدير الذی بـــه
أديب وفی كل العلوم له فهـــم (٢)

لقد زرته يوما فألقيت نهضـــه
تلاميذه تمضی كما يمضی السهـــم

وأسمعنی التقرير كل مهـــذب
أطفنا عليهم كل فرد له اســـم

---

(١) القرن : اسم للأحساء .

(٢) هو الاستاذ عبدالله بن حميس .

أتينا من الدمام عند وصولنـــــــا
الى جانب الهفهوف ينقطع الحـــزم (١)

فقابلنا من نسل زيد عصابـــــــة
كرام بهاليل أنوفهم شـــــم

وقام بما نحتاج قرم موفـــــــق
يروم قضا حاجاتنا بطل شهـــم (٢)

لنعم كرام القوم من آل فهيـــــب
كرام مساعيهم وقد نالهم نعـــم

ولا تنسى ابن العم واذكر فعالـــــه
وليس لنا فى الدار خال ولا عـــم

بقى معرفة شعره فى الفترة ما بين سنة ١٣٣٧ هـ الى سنة ١٣٧٠ هـ أى فى الفترة ما بين سنه الرابعة والعشرين وبين طبع ديوانه ، ونعيـــد طرح السؤال السابق مرة أخرى : فهل ما فى ديوانه من القصائد هـــى حصيلة تلك السنوات ما بين ١٣٣٧ هـ ، ١٣٧٠ هـ ؟

يرجح ابن عمه الشيخ " سعود بن عمر بن بليهد " (٣) أن القصائـــد الموجوده هى كل ما قال من أشعار ، وأنه جمع قصاصات ماكتبته الصحـف من أشعاره ، وما دونه عنده ، فطبعها فى هذا الديوان ، الا قصيـــدة هى أطول قصائده بحث عنها فى جريدة البلاد التى نشرتها . فلـــم يحصل عليها ، وقد سألته عن تلك القصيده فأفادنى بأنه قد تعــب فى البحث عنها فلم يجدها ، ويقول : ان هذه القصيده كانت بمناسبـة توديعه للأمير فيصل ، وابنه عبد الله ، عندما ذهب الأمير نيابة عن والـده لتمثيل المملكة فى أحد المؤتمرات المعقوده فى أمريكا ، فسافر عن طريـــق البحر ، وقد جادت قريحه هذا الراوى بمطلع قصيدته :

---

(١) الحزم هو المبرز أحد قسمى الأحساء ، والثانى الهفوف .

(٢) هو الشيخ : ابراهيم بن مهنا .

(٣) راوية لأشعار العرب ، محبا لآدابهم وأخبارهم ، عاصر ابن عمه وعـرف الكثير عن حياته وأدبه .

ياراكب البحر في الروحات والبكـــــــر
في حفظ رب البرايا خالق البشـــر

زمتك زمزم قبل الظهر بكلاؤكـــــــم
حرز من الله محفوظ من الخطـــر

أتيمتها بصرى من بعد ما وخـــدت
حتى اختفت واختفى الدخان عن بصرى

هنأت صاحبها والمحدقين بهــــا
بصحبة المرتضى واليمن بالسفـــر

فذ لكم مطلع النورين بينكـــم
هذا سهيل وهذا مطلع القمـــر

سيف نضاه أبوه عند حاجتـــه
فذلك الحد حد الصارم الذكـــر

اختاره الملك الميمـــون طائـــره
في رؤية العين ما يكفي عن الخـــبر

وقفت يومي على ظهـــر الميـــلاق وقـــد
ترقرق الدمع فوق الخد والصـــدر

فقلت للصحب ما يغني الوقـــوف ولا
كثر البكاء على العافي من الأثـــر

أما ما أرجحه وأعتقده ، كما كان هذا رأى ابن أخيه " سعود بـــن عبد الرحمن البليهد " أن يد الحذف والتمزيق والاحراق ، قد علـــت عليها من قبل الشاعر نفسه ، ذلك أنه كان في تلك الفتره كان يغير بقصائده على تلـــك القبيلة ، ويحرض الملك عبد العزيز على هؤلاء القوم ، ويبين ويظهر مفاســـد ومعائب أهل تلك الجهه ، وكل هذا يتطلبه الموقف في مثل ذلك الوقـــت أما وقت طباعة الديوان ، فقد تغير الموقف وتبدلت الحال ، فأصبح العدو أخا ، وأصبحت تلك البلدان بلدا واحدا ، فكان لزاما عليه أن يشارك في نشر السلـــم

والمحبة بينهم ، فكان أن عزل جانبا ، الكثير من قصائده التى من شأنهـــا أن تمس أحدا ولعل فى ذلك الاعتذار الذى اختتم به ديوانه ما يدل على رجاحة هذا الرأى ، يقول فيه : " انى أعتذر من اخواننا المجاورين لنـــا فى الحروب الماضيه ، فان رأو بيت شعر به شدة ، فان الوقت الذى قيـــل فيه ذلك البيت أشد منه ، فان القبايل كانت تختلف بيننا وبينهم ،والحمد لله الذى جعلنا اخوانا فى ظل مولانا صاحب الجلاله الملك عبد العزيـــز آل سعود (١) .

وقبل أن نترك الحديث عن هذا الديوان ، نعود الى مقدمتـــه التى تعتبر نموذجا فنيا للكتابه الأدبيه الراقيه ، يقول عنها الاستــــاذ " محمد بن حسين : " هناك ظاهره فى مقدمة الديوان جديرة بالملاحظـــه لجدتها على أسلوب الكتابه فى بلادنا زمن تدوينها ، وهى أن المقدمـــة تعتبر نموذجا للكتابة الأدبية الراقية ، ذات الصياغة الفنيه المنبعثه عـــن ملكة راسخة فى فن الكتابه ، ومقدرة بارعة فى انتقاء الألفاظ القادره علـــى التعبير عن التجربة الأدبية الصادقة التى أراد ابن بليهد عرضها فى مقدمة ديوانه ، وقد أحسن العرض ، ولو رجعنا الى الوراء عشرين سنة فقـــط ، لوجدنا أن ذلك المذهب فى الكتابه ، كان فى بلادنا عدما ، وأن ابـــن بليهد كان من الرواد الأوائل فى مجال الكتابه كما كان كذلك فى الشعر (٢) " .

---

(١) الديوان ص ٢٧٨

(٢) الأدب الحديث فى نجد ـ محمد بن حسين ص ٦٠ .

* * *
* *
*

"الفصـــل الرابـــــع"

"" أغراضــــه ""

على الرغم من أن الشاعر قد قسم ديوانه الى ثلاثة أقسام في مـــــدح الملك عبد العزيز وابنيـه سعود وفيصل ، الا أن هذا لا يعني اقتصـــار ديوانه على غرض واحد هو المدح " فقط وان كان أكثرها وأغلبها ، فأغراضـــه كما توحي بها قصائده هي : المدح - والرثاء - والغزل - والوصـــف والتهنئه ، وسنتناول هذه الأغراض بالدراسه حسب هذا الترتيب .

الغرض الأول :

" المدح " يحتل المدح المكانة الأولى في ديوان الشاعر ، ولعـــل غلبة هذا الغرض على غيره قد قلل من أهمية هذا الديوان في نظر البعـــض من قصار النظر ، وهم في رأيهم هذا ، انما يتبعون من قالوا ان الشعـــر العربي شعرا ستجداء عاش على موائد الملوك والأمراء ، وأنه شعر مناسبـــات لا ينبعث فيه الشاعر الا عن الرغبة في المشاركه والمجامله ، دون أن تسوقـــه الى ذلك عاطفة صادقة ، وكانوا في هذه الدعوى منبهتين عما أغرق الشعـــر الأوربي نفسه فيه ، من فردية ينطوي عليها الشاعر على نفسه ، متغنيـــا بأفراحه ولذائذه ، وأحزانـــه وأشجانه وقد شغلته شهواته ، لا يبالـــي مصلحة عامة ولا يوقر دينا ولا يرعى خلقا ، والواقع أن مشاركه الشاعر فـــي المناسبات هي مظهر من مظاهر ارتباطه بالجماعة ، وتجاوبـه معهـــا ، وأنه لا يرى الخير الا ما شمل الصحب والوطن . كما قال الشاعر :

فلا هطلت علي ولا بأرضـــي ∴ سحائب ليس تنتظم البلادا

وليست فردية الشعر الأوربي التي سادته في القرن الأخير ، الا مظهرا من مظاهر تفكك الجماعة وانحلالها الذي يوشك أن يقضي على المجتمع الأوربـي ويورده موارد الهلاك :

وكأن الشاعر ابن بليهد قد أحس بنوع من النقد سيؤخذ على شعـره لـغلبه شعر المدح فيه ، ولاقتصار ممدوحيه على أربعة أشخاص تقريبـــا فأراد أن يدافع عن هذه الدعوى قبل أن تقام عليه ، فقال في مقدمة ديوانـه ، واذا كان هذا مظهرا من مظاهر الفردية ، فلهؤلاء الأربعة في فصولهـــم

العاع للمعارك التي دارت بينهم وبين الأعداء ، ولذا أعتقد أن هـــذا الديوان سيكون مصورا للظروف السياسية ، والأحوال الاجتماعية والتحولات الدينيه" (١) أما أن يؤخذ على شعره الشعر العربي بصورة عامة بأنـــه يعيش على موائد الأمراء والملوك ، فكذلك كان الشأن في الشعر كلـــه من عرف الأدب اليوناني والأدب اللاتيني حتى القرن الثامن عشر الميلادي في أوربا ، عاش الشاعر دائما في ظل سيد أو شريف يشمله برعايته ، ويغـــدق عليه من ماله ، ولم يستقل الشاعر بنفسه الا بعد ظهور المطبعة والصحافـه التي مكنته من الاعتماد على القراء في كسب رزقه ، وتحصيل معاشـــه ، على أن شعر المدح ليس في لبه وصميمه شعر استجداء كما يزعمـــون ، فنحن حينما نتفحص هذه المدائـــح التي يحويها هذا الديوان ، نجـد أن الشاعر لا يصف فيه ممدوحيه ، ولا يشكو حاجته ، ولكنه يصور قيما انسانيه رفيعه مما كان العرب يعجبون به ويحبونه ، وغاية ما في الأمر أنه ينسـب هذه القيم الرفيعه للممدوح ، فهذا الشعر في لبه وفي صميمه ، شعــر حماسة أروع ما تكون الحماسه ، وكله تصوير للمثل العربية العليا التي نحن الآن أحوج ما نكون اليها ، الى بثها في شبابنا لمقاومة موجة الضعــف والانحلال التي يتعرض لها في الصحافة الرخيصة ، والقصص المبتذلـه ، التي تفترس فيه كل اثر للنخوه والمروءة والرجوله ، ليس الدافع الى المدح بالشيء المهم ، ولكن المادح يتصور مثله الأعلى في ممدوحه ، فيصـــوره مجسما في الجرأة التي لا تقهر ، والهمة التي لا تقف في سبيلها العقبات والنخوه التي تخف لنجدة المستغيث ، والرحمة التي لا يخالطها ضعـف والاباء الذي يرفض الظلم ، ويأبى الاستكانة والخضوع .

كل هذه القيم ، قد اعتمدها ابن بليهد ، ونسبها الى ممدوحيه وجعلها في اطارين كبيرين ، جعل منهما عنوانين لمدحهم وهما :

أولا : اعزاز الدين ونصرته .

ثانيا : اقرار الأمن ونشره في هذه الربوع .

ولعل اختيار هاتين المادتين ، وجعلها السبيل الى ممدوحيه ،

---

(١) مقدمة الديوان ص ٨

مما يدلنا على صدق عاطفة فى هذه المدائح ، فطبيعة الحياة والمجتمع فى ذلك الوقت يريد - كل ما يريد - فى هذه الحياة ، اعزاز الدين الذى جدده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما يريد وضع حد لهذه الفوضى التى سادت البلاد ، فكان لا بد أن يعبر هذا الشاعر عن جذوة هذا الشعب الذى يذوب حرقة فى وسط من الجهالة والهمجيه ، كما أنه لا بد وأن يتفاعل مع ما تحقق من العدل ، واقرار الأمن ، فيصوغ قصائد مدح هى بعض ما يستحق ممدوحوه من الجزاء وكما قلت قبلا فان عنصر اعزاز الدين ، واحلال الأمن قد كانا عنوانا لمدائحه ، أوهما العنصران المقدمان فى تلك المدائح وسنتطرق الى كل واحد منهما على حده ، وأخذ شواهد عليه :

أولا : اعزاز الدين ونصرته : لا تكاد تخلو قصيدة واحدة من قصائد مدحه ، دون أن ينوه على الذى قام به ممدوحه ، لتثبيت الدين ، واقامته . فهاهو يمدح الملك عبد العزيز فى أول قصيدة له بهذه المكرمه :

فصبحهم والله من كان قصده ∴ ليرقع فى الاسلام ما كان واهيا
.... ∴ ....
فولى دخان الكفر والحق ظاهر ∴ على أهل بيت فى ربيعة عاليا
يسعى أمام قام للدين ناصرا ∴ يجاهد بالأبطال من كان عاصيا (١)

ودائما ما يرفق مدحه بهذه المكرمة ، بقيم أخرى تجعل من الممدوح مثالا للأنسانيه ، كقوله فى نفس القصيده :

له الحلم والاقدام والمجد والندى
وفعل التقى لله ليس مرائيا

تبادر بالمعروف مهما أتيته
كأنك تعطيه الذى أنت باغيا

---

(١) الديوان ص ١٧

فلا زال موجودا أخو المجد باقيـــــــا
يذب عن السمحاء للدين حاميـــــــا

حمى جانب التوحيد من كل باطـــــــل
بكل ردينى وعضب يمانيـــــــا (١)

فهذا الامام انما يقاتل من أجل الدين ، فليس كثيرا اذا أن يسمـــو الى العليـــــاء :

امام أقام المشرقيـــــــة والقنـــــــى
يقاتل عن نهج الهدى كل ناكـــــب

امام به الدين الحنيفى قد عـــــــلا
وأشرق منه النور فى كل جانـــــب

هنيئا لك العز المؤثـــل قد سمـــــا
يبغلك العلياء فوق الكواكـــــب (٢)

ان فى اتباع هذا الممدوح سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتجديـــده للدارس منها ، لمفخرة أى مفخره لامام قام بالدين ، وقام الدين به :

فان امام المسلمين خليفـــــة ∴ فما حاد عن نهج السبيل ولاعدا
يجدد من نهج الهدى كل دارس ∴ وتابع ميمون النقيبة أحمـــــدا (٣)

فكان لهذا الاتجاه أثره الكبير فى سيادة الدين واعزازه ، كمـــا انعكس هذا الاتجاه على المجتمع الذى يستفيد منه فى كل صغيرة وكبيره :

وأمنت وجه الدين واتسع الفضـــــــى
علينا فما أبقيت من طاش واعتـــــدا (٤)

---

(١) الديوان ص ١٧
(٢) الديوان ص ١٩
(٣) الديوان ص ٥٣
(٤) ديوانه ص ٥٥

ويعود الشاعر ليعلل وجود مثل تلك المناقب ، وهذه العبقرية الفذه ، التى تهيأت لممدوحه ، فيقول :

لأن نشأتك الأولى مؤسسة
في دوحة المجد لا في اللهو واللعب

وسرت سيرتك الأولى وقمت بها
بالصدق والعدل لا بالزور والكذب (١)

وفي قصيدة أخرى يبين عن مظهر تلك المكارم ، ويقول : انها سجية فيه وطبع ، وان نظرته الى العلا ، انما تعتمد على أسباب روحية عميقه :

مكارم نشأت فيها سجيته
ولا يرى غير ادراك العلا طمعا

يمده سهب من ربه وله
حبل من الله في الحبل الذى تبعا (٢)

ويرى الشاعر ، أن الملك عبد العزيز لم يسر في طريق المعالى والمكارم ، الا من أجل الدين ، واقامته والحفاظ عليه :

بريت قوس المعالى وهى دائره
أنعم بذ بنك من قوس ومن بار

حتى أقمت قناة الدين وارتفعت
على طغاة وظلال وكفار

بعثت من ذكره ما كان منطمسا
كباعث النبت من طل وأمطار (٣)

ولم يخص الملك عبد العزيز ـ فقط ـ بهذه المحمده ، فهى عقيدته

---

(١) ديوانه ص ٩٣
(٢) ديوانه ص ١٠٠
(٣) ديوانه ص ١١٨ .

وعقيدة قومه ، الذين رهنوا حياتهم في سبيلها ، فلهذا نراه يكبر ابنه سعود ، ولى عهده ، حينما رجع من أوربا ، يكبره لتمسكه بدينه وقيمه ، ولم يتزعزع من تيارات تلك البلاد وإباحيه .

أتيتنا ياولى العهد من أمم
شتى بها عرف الناقوس والبيع

أقمت دينك فيها غير مكترث
لما تفرقت الأديان والشيع (١)

وينقل هذا الاتجاه الى كل من يمدح ، فنراه يعدد مناقب الشيخ : عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، ويجعل من تمسكه بدينه ، منطلقا لكثير من المحامد ، والأمجاد :

فنال من ربه في الدين مرتبة
مجدا به جوهر العلياء منتظم

أرسى قواعد دين حين أسسها
قدما أبوه وبحر الجهل يلتطم

لله در عماد الدين من علم
يرى به كرم الاخلاق والشيم (٢)

ثانيا : اقرار الأمن ونشره : وهذا هو العنصر الثاني من عناصر مدحه .

إن ما أصاب ذلك المجتمع وخاصة في نجد ، من الظلم ، والنهب ، والسلب ، وقطع الطرق ، واهدار الدماء وما حل بها من الفوضى والدمار ، ثم تهدل ذلك على يد الملك عبدالعزيز ، باحلال الأمن ونشره في جميع الربوع وتطبيق الشريعة في الأحكام ، والأخذ بيد القوه والشده على كل من خالف هذه السبل ، ان في ذلك كله لأكبر منطلق للشاعر ، ليجعل

---

(١) ديوانه ص ١٦٦

(٢) ديوانه ص ٢٤٥

من قضية " اقرار الأمن " أولى المبادئ التى يمدح بها ممدوحه . لهـذا فلا نعيب عليه ، ان هو أكثر من ترديد هذا المعنى ، بقدر ما نعيب عليه ، فيما لو ترك هذا المبدأ جانبا ، ولم يكن له مظهر فى شعره .

ان قضية الأمن ، سواء حينما كان زمامه مفلتا ، أو بعد مسك زمامه ، لتمس كل فرد فى كل مكان من هذه الربوع ، فان هو أكثر من ترديد هـذه النغمه ، فانما يريد بها ، تعبيرا صادقا عما يحس به ، هو وأفراد مجتمعه ، خاصة وهو مخضرم بين هاتين الحياتين .

وقد خص الملك عبد العزيز بأكثر أما ديحه فى هذا الاتجاه ، فـنراه يمدحه بعد فتح الأحساء ، وكانت قضية اقرار الأمن أكبر منبع يستمـد منه خصال مدحه فى تلك القصيده ، يقول منها :

أمنت أهل الحسا والخط وانخفضـت
لك الرقاب وأنت الفاتك البطـل

وساكن البر وحدان به أمـن
ولا تضيق على سلاكه السبـل

المال يبقى على نهج الطريـق ولا
يأتيه ماط ولا يأتيه مرتجـل

تمشى هناك بنات العز آمنـة
من السباع ولا يستوحش الحمـل

الحمد لله قام الأمر وانبسطـت
كل الديار وطاب الشرب والأكـل (١)

وقد اكتملت تلك الفرحه ، وعمت النشوه ، لأن هذا الأمن قـد طبق أرجاء الجزيره كلها ، وليس المدن فقط ، فنراه فى سارح البـدو

---

(١) ديوانه ص ٦٣ .

قد عم وانتشر ، وقد كانت قبلا هى منبت القلاقل والزعازع :

وأصبح البدو فى أمن وفى سعـــــــة
يمشون فيها تشاء الشاة والجمـــــل

اذا أحلت من الأوطان ما طلبـــــــت
فلا تسائل أنا تسرح الابــــــل

بالله ثم بأهل الأمر آمنـــــــــة
بأى دار سقاها الصيب السهـــل (١)

ولهذا فقد نالت به شرفا كل بقعة يصل اليها حكمه ، وتضمها ولايته :

عبد العزيز الذى عزت بطلعتـــــــه
نجد وأضحت له بالأمر تمتثـــــل

به توسعت ارض الله وانبسطـــــــت
يمشى أمينا عليها الراكب العجـــل (٢)

أما وقد نشر الأمن فى ربوع الحجاز ، وأمن الحجاج ، فانه يسمـــو عن أن يصل المدح الى مرتبة ما انجزه وكل ما يقال فى ذلك : أن اللــه سخره ، لاحلال الأمن وتهدئة الأحوال ، فهو سبب الى كل صلاح :

به أمن البيت الحرام ومـــن أتـــــس
اليه أمينا لم ترعه الروائـــــــع

ويسكن هذا الثغر من كل حـــــــادث
كما سكنت عن جانبيه الزعـــازع

سل الناس تنبيك الرواة بما تـــــرى
اذ اجتمعت فى الموسمين المجامع

---

(١) ديوانه ص ٦٤

(٢) ديوانه ص ٦١

نشا في الحجاز نشأة مقرنـــة
تحررها للناشئين المـــــع
ثلاث مئين فوقها ألف حجـــة
مع الأربعين ان ذا العام رابـــع (١)

ويبلغ بمدوحه ذروة الشرف حينما يجعله القائم على أمر الديـــن ، الذائد عن حماه ، الحامي لذماره ، وبجانب ذلك ، الامساك بزمام الأمـــن من أن ينفلت ، ونشر الرخاء ، وقيام الدوله ، حتى كان كل ذلك مضرب المثل

يابن الألى وابن امجاد غطارفـــه
القائمين بما جاءت به الرســل
الذائدين عن السمحاء كـــل أذى
حماؤها السيف والعسالة الذبـــل
بكف كل فتى رحب الـــذراع اذا
ما نابها نائب أو حادث جلـــل
مشى لها جحفل في يوم ملحمـــة
الا تشال بها الهامات والقـــلل
حتى استقرت جميع الأرض واتسعــت
لساكنيها بها الارزاق والسبــل
الحمد لله حمدا لانفاد لـــه
هذا الأمان الذي يضرب به المثـل
أرى العداوة ماتت وهي صاغـــره
ومات من موتها الثارات والذحـــل
وصاحب الوتر يمشي عند واتـــره
كما مشى الذئب والجديان والحمـل (٢)

---

(١) ديوانه ص ٩٩
(٢) ديوانه ص ١٦٩

وقد أصبح ارساء هذين الأساسين ، الدين ، والأمن ، حقيقة واقعة تشهد بها كل المعالم التى دخلت فى الحمى :

فلو نطقت أركانها شهدت له
بذلك ثور والحجون وزمزم

به أصبح الدين الحنيفى آمنا
وفى عهده الأعراب دانوا وأسلموا (١)

كما أعاد الى مكة حرمتها فنشر فيها الأمن لأنها أحوج ما تكون اليه ، فهى قبلة المسلمين من كل مكان وهى وجهة لهم ، كما أنها واجهة معبره عن صورة الحكم فى هذه البلاد ، فلا غرو أن يجعل أول أعماله فى مكه نشر الطمأنينة ، والهدوء ، والرخاء ، والسمه ، فكأنه بهذا يلبسها ثوبا جديد ، ويعيد اليها جوها الدينى الأول :

وكانت به أم القرى مطمئنة
بأمن وأهلوها سجود وركع

كأن عليها حلة عبقرية
تناط بأركان أم صبح وترفع

وأصبح باديها مقيما بنعمه
يعيش أنيق والسوائم رتع

حماها من الأعداء من كل جانب
وأمنها والسيف بالسيف يقرع (٢)

بعد هذا فليس من الغريب أن يسمو عبد العزيز الى ذرى المجد ، والى علياء المعالى ، وهو الجدير بكل محبة وتقدير ، فله من المناقب ما يجعله أهلا لكل مكرمه :

---

(١) ديوانه ص ١٢٢

(٢) ديوانه ص ١٠٣

عبد العزيز الذي تسموا بطلعتــــــه
عليا ربيعة فى الأبكار والأصـــل

من كان فى قلبه مثقال خردلـــــة
من حب أحمد لا يطوى على دخــل

يحب عبد العزيز ابن الكرام بمـــا
حامى على الدين من فتك ومن خلـل

حامى على السنة الغرا وجددهـــا
أرسى قواعدها بالبيض والأســل

وأيها المرتدى بالذل من حجـــج
نم فى جوار الامام العادل البطــل

نم فى جوار امام فى مهنـــــده
مضارب تهمد الأعضا من القلــل

الحمد لله كل الأرض قاطبـــه
أمن وعدل بلا جور ولا ميــل

يانازلين بأرض لا أنيس بهـــا
دعوا سوائمكم ترعى مع الهمــل (١)

وهو حينما ينتقل الى مدح ولى عهده وابنه سعود ، ينقل معـــه هذا العنصر ليستمد منه مادة لمدحه ، فهو أولى من كل العناصر ، وهـو ينظر اليه - كغيره من أفراد مجتمعه - على أنه السبيل الوحيد لمـن أراد أن يحيا حياة حرة كريمه :

فياسعود العلا كم نلت من شـــرف
أشدد مبانيه فى أيامك الأخــر

ان يذكر المجد فى بدو وفى حضـــر
فأنت تذكر فى البادين والحضـــر

---

(١) ديوانه ص ١٠٥

على يديك رواق الأمن متسع
بين المقيمين والسفار فى السفر (١)

كما تقل معه هذا المبدأ حينما توجه بالمدح الى الملك فيصل ، وهو فى ذلك الوقت نائب الملك فى الحجاز ، حيث وضع ارتباطا بين وجود ممدوحه ووجود ذلك الأمن الذى ظلل كل الناس ، حتى أنساهم كل متاعب ومصاعب الحياة :

وقل لمنتجعى أرض الحجاز أما
رأيتم البشر فى الروحات والبكر ؟

ما زال فيصل باق فى جوانبه
كأنكم فى رواق الحجر والحجر

أضفى على الناس ظل الأمن فابتهجوا
حتى تناسوا زمان الجور والخطر (٢)

واذا كان هذا العنصر جديدا نوعا ما على شعر المدح ، أو أن يكون عنوانا لشعر المدح ، فان طبيعة الحياه هى التى فرضت هذا الاتجاه ، فليس الناس فى ذلك الوقت يريدون تقدما صناعيا أو تجاريا أو حتى علميا ، بقدر ما يريدون الهدوء ، والاستقرار ، والعيش فى أمان ، فلهذا غلب هذا الطابع على شعره فى المدح على أن هذه الكثرة أو الغلبة لم تطمس تلك القيم والمثل العليا ، التى يجب أن يتصف بها كل ممدوح كالكرم ، والجود ، والشجاعة ، والمروءة .. فقد احتلت هذه المثل مكانا واسعا من ديوانه : يقول فى كرم الملك عبد العزيز :

لا ينكر الناس فضلا منك عمهم
الا كما تنكر السياوة القمرا

---

(١) ديوانه ص ١٤٤

(٢) ديوانه ص ٢٢٦

قد يبذل المال سمحا ما تظن بـــه
مدا تزيل به عن مقتر قــترا

كف سفوح اذا عدت محامـــده
وما أنال من الانفاق ما حصـــرا

اذا أقام لجمع المال ذا خـــره
جبادت أنامله بالبذل ما ذخـــرا (١)

ويقول فى جـــوده :

أرى الجود ميتا قد تصرم عهـــده
ينادى وقال الجوع لا أتكلـــم

فلما دعاه ابن الكرام أجابـــه
وقام على أقدامه يتبســـم

وقال أضافتنى اليك شمائـــل
لأن سجاياك العلا والتكـــرم

. . . .
. . . .

فأحرزت رغما فى المكارم غايـــة
على الناس من يسبق اليها يقـــدم (٢)

هذا هو منهجه فى أغلب قصائد مدحه ، لا يترك مكرمة الا ويسديهـا الى ممدوحيه ، ان أبياتا من قصيدته فى الملك عبد العزيز حين بعث البعوث لفتح حائل ، تجمع ما يجب أن يتوج به الممدوح من توطيد أركان الدولـه بالدين ، والأمن ، ثم بعراقة النسب ، ورفعته ، ثم بشجاعتـه وكرمـــه وجـــوده :

---

(١) ديوانه ص ٣١
(٢) ديوانه ص ٨٠

قاد الجميع الى الحسنى وعمهـــــــم
بنعمتين وبعض الناس ما شعـــــروا

عبد العزيز الذى نلنا به شرفـــــــا
يوم الفخا ربه نسمو ونفتخـــــــر

ليث تفرع فى عدنان منسبـــــــه
عالى الفروع اذا بعض الورى قصروا

أزكى ربيعة ان عدت مكارمـــــــه
للسائلين ففى أنواعها عـــــبر

الطاعن الخيل شزرا فى جماجمهـــــا
اذا تهادت بها الخطية السمـــــر

والفاحر الكوم فى خصب وفى جـــــدب
ولو يحل على اسقابها الضـــــرر

اذا توافرت الوفاد واجتمعـــــــت
بالجانبين كأن الناس قد حشـــروا

أسدى اليهم بكف لو قبضـــــــه
كثبان " عالج " لم يبق لها صـــور

الواهب المئة الأبكار ما اختلفـــــت
بالناظرين لها ألوانها عفـــــر

غيث الأرامل بالمعروف باكرهـــــا
كما يباكر دار المجدب المطـــــر

قرينه المجد والمعروف يعرفـــــه
سمح " بذول " كريم " وهو مقتـــدر (١)

---

(١) ديوانه ص ٣٤ .

الغرض الثاني : الرثــــاء :

يحوى ديوانه سبع مرثيات طوال ، وكلها معبرة عما أصابه من أســـى وحزن ، وقد رثى في هذه القصائد ثمانية أشخاص ، أكثرهم من المشائـــخ الذين ساهموا في اقرار الدين ونشره ، كما أنه رثى زوجته " ساره " الـــتى أدمت قلبه ، وأظهرت لوعته ، الا أنه لم يستطيع أن يصل بشعره في رثائهـــا الى مستوى الحدث الذى أصابه ، والرزيه التى حلت به بفقد شريكـــــه حياته ، ويقول في وصف لوعته وأساه :

كأنى والذى حجت قريـــــــش
له بين المشاعر واستقامـــوا

سليم ما ينام الليل طـــــــرا
وكل الناس قد هجعوا ونامـــوا

كأن الرزء علق في فـــــــؤادى
قطاة حين أقلتها القطـــــام (١)

ولم ينس في هذه المرثيه أن يدعو لابنته بالحياة والبقاء ، بعـــد موت أمها عند ولادتها ، ولكنه يعود ليعدد مناقب زوجته ، ثم يعـــزى نفسه بأن هذا من طرق الحياة ومسالكها ، وبرغم هذه الحقيقة ، فـــان ذكراها لم تنمح من مخيلته :

فان كان الذى في المهد طفـــل
بأيدى الحاملين له بغـــام (١)

لعل الله يكلؤه بعطـــــــف
وعين في البرية لا تنـــام

---

(١) ديوانه ص ٢٥٤

(٢) البغام ، هو الصوت الضعيف ويصدر من الطفل .

فأما أمها من حور طيـــــــــــى
حيا، أو بهاء أو قـــــــوام

وأما دهرها نصف صـــــــــــلاة
ونصف فى هواجرها صيـــــام

أبوها الأكرمين أبوك هـــــــــود
وجدك خالد وأبوه ســـــــام (١)

فما منهم على البيــداء بـــــــاق
ولا فى بطنها منهم عظـــــام

ولكن ليس ينسينيـــك شـــــــــى،
ولو نسيت مصائبها الأنـــــام (٢)

وحينما رثى الشيخ عبد اللـه بن عبد اللطيف جعل من موته رزيـــــة عمت كل الناس ، فهو العالم الفاضل الذى وسع الناس بعد له وفضلـــــه ، يقول فى رثائـــه :

أن الرزية عبد الله حســـين مضـــــى
كانت مصيبته للناس كلهـــــم

العالم الفاضل الحبر الذى علمـــــت
فى الناس سيرته للزهد ملـــتزم (٣)

ولكن الحدث الذى أصابه لوفاة هذا الرجل ، أخذ عليه كل معـــنى للسعاده ، أو الراحه ، فأراد ، أن يخفف بعض ما فى نفسه بمرثيـــــة أخرى ، يقول فيها :

شمس الهدى أظلمت شأما وايمانـــــــا
بعد الذى قد حباه الله عرفانا

---

(١) يريد أن زوجته من بنى خالد ، بطن من طى، وطى، بطن من كهـــلان ابن سبأ ، ينتمون الى سام بن نوح .

(٢) ديوانه ص ٢٥٥ (٣) ديوانه ص ٢٤٣ .

لما خلا الربع أياما وأحيانـــــــــا
تذرى العيون من العبرات هتانـــــا
* مثل الجداول سحا من مآقيهـــا *

دع البكا مثل ما بالأمس أبكانــــــا
خطب يثير على المحزون أشجانــــا
موت الذى شاد فى الاسلام أركانـــا
تبقى مصيبته من بعد ما بانــــــا
* العامر السنة الغرا ومحييهـــا *

الى أن قـــال :

انا نموت اذا من بعد ما انتقـــــــلا
لو يقبل الموت منا غيره بـــــــدلا
النفس والمال والأنعام والأهــــــلا
والباسقات من الأثلاد والطلــــــلا
* طرا ومن سلك الصحرا ومن فيهـا * (١)

أما حينما يرثى الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعـــــود ، فانه يرسم صورة من الحزن والكآبه المخيمة على نفسه فى مرثية طويله ، فهـــو صديقه فى حله وترحاله ، ورفيقه فى السراء والضراء ، فلهذا نرى عينيـــــه تسكبان دموعا يدفعهما ما فى نفسه من اللوعه والألم ، حتى خشعت تلـــك النفس استسلاما :

أيا عين جودى بالدموع الرواكـــــــد
على الخد منها مستهل وجامــــــد

---

(١) ديوانه ص ١١٥

رمتني صروف الحادثات بلوعـــــــة
تروع منها كل أروع ماجـــــد

سقتني مصيبات الزمان سمامهـــــا
بسم الليالي بعد سم الأســـاود

على بطل أوفى به الموت نـــــذره
فغاب ببدر نوره غير عائـــــد

كأن انخفاظ الناس عند سريـــــره
من الحزن عبادا ببعض المساجد

كأن فؤادي موثق بضريحـــــه
ولو أنه في المهمه المتباعـــد

الغرض الثالث : " الغـــزل "

ان مما تجدر الاشارة اليه ، أن نعرف أن شاعرنا ، محمد بن بليهـــد ، قد دخل الى هذا الغرض من بابه المباشر وقصد الغزل بعينه ، وقد كـــان هذا جديرا بالاشارة لأنه أول من طرق هذا الباب من شعراء عصره فقـــد كانوا يكتفون من الغزل بالنسيب ، وهو ما يأتي في مطلع القصائد ، وقـــد خلا شعرهم جميعا من الغزل حتى بدأ هذا الغرض محمد بن بليهد ، يقـول الاستاذ محمد بن حسين في معرض حديثه عن الشعر والشعراء في عصر ابــن بليهد : " ولقد تتبعت باستقصاء كل ما عثرت عليه مما قالوه من الغـــزل المستقل عن كونه مقدمـــة لغرض آخر " أي : نسيبا " فما وجدت من ذلـــك الا قصيدتين للشيخ محمد بن بليهد (١) وبتتبعي لديوانه ، لدراســـة هذا الغرض ، وجدت أن شعره في الغزل على قسمين :

الأول :

غزل يأتي في مقدمة قصائده ، وهو : " النسيب " وهذا النـــوع

---

(١) الأدب الحديث في نجد ، محمد بن حسين ص ٢٩

تقليدى ليس فيه من العاطفة ما يرفعه الى درجة الغزل الصحيح ، ومـــع أن هذا النوع من الغزل كان فاشيا عند شعراء عصره ، الا أننى لم أجـــد لابن بليهد الا ثلاث قصائد بدأت بهذا النسيب ، قال فى الأولى بعـــد أن رثى أطلال محبوبته :

خليلى عوجا يسلو القلب ساعـــــــة
بتذكار من يهوى اذا كان نائيـــا (١)

وقال فى الثانية بعد أن بكى أطلا ل محبوبتـه أيضا :

منازلا لسليمى طالما بـــــــرزت
اما لعيد واما قادها طـــرب

حسنا اذا اعترضت والحسن معـــترض
كأنها ظبية قد لمها لهـــب (٢)

وفى الثالثة وبعد أن اتبع النمط السابق يقول :

أقول لصحبى والركاب مناخـــــه
لقد أقفرت من حى سلمى منـــازل

فلما عرفت الدار منى تتابعـــــت
ظواهر عبرات وأخرى دواخــــل (٣)

وهو لم يطرق هذا النوع من الغزل لذات الغزل ، وانما هو تقليـــد وتأثر بالشعر العربى ، فمن هذه الناحيه كان بعيدا عن كل عاطفه .

الثانى :

الغزل لذات الغزل ، وهذا النوع يشتمل على قصيدتين قالهمـــا فى أواخر حياته ، فى معرضتين مصريتين أشرفتا على علاجه ، وهذا الغـــزل العذرى ، ينطبق عليه ـ أيضا ـ الحكم السابق ، فلم يكن نابعا عـــن

---

(١) ديوانه ص ١٥   (٢) ديوانه ص ٤٨
(٣) ديوانه ص ١٣٦

عاطفة صادقة ، لأنه فى أخريات حياته ، يعانى من مرض خطير ، ومن ناحية ثانيه ، فقد دفع الى قول هاتين القصيدتين دفعا : فقد قال عن القصيدة الأولى ان الممرضتين اللتين أشرفتا على علاجه ، توسمتا فيه قرض الشعر ، فطلبتا منه أن يذكرا سميهما فى شىء من شعره فقال :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف

تفاءلت من كفى سعاد سعادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفى

خليلي هل تأسو المراض فريدة ؟
بقامتها الهيفاء سهم من الحتف

لعمرى ما دائي سوى نظراتها
ولمسها الشافى لديها وما أخفى

وقد عالجوا نصفى بكف رفيقة
وبالسحر من عينيهما أهلكو نصفى

اذا طفقت كلتاهما فى علاجها
رأيت المنايا من أمامى ومن خلفى

وما أنا الا فى هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى (١)

ويقول عن قصيدته الثانيه ، ان " منصورا العساف " الذى كان يعالج بدوره هناك ، طلب منه أن ينظم قصيدة على لسانه ، فى الممرضتين نفسيهما

---

(١) ديوانه ص ٢٧٢

لأنهما طلبتا منه ذلك ؟ ومن هذا يظهر لنا جليا آثار الصنعة في هذا الغرض ، قال في تلك القصيده :

اذا دعيناك فاهرع أيها القمـــــــر
هل عندكم من علاج الكهربا خــــبر؟

أما محمد قد زالت شكيتـــــــــــه
وليس في كتفه مما شكا أثـــــــر

قال احترز من غزال كلما طلعـــــــت
فليس في عود ها طول ولا قصـــــر

اذا رأيت الثنايا الغر باسمـــــــــة
هناك من بينهن الموت ينتظـــــر

في ركبتيك ترى للكهربا أثـــــــرا
يطير للقلب من جرائه شـــــــرر

أما سعاد فرجلي من سعادتهـــــا
تبرا فان برئت اسبابها عمـــــر

والفوز يبدو على الأخرى اذا طلعـــت
باسمها وبهن المرء يفتكـــــــر

من كف أهيف ضامر القد معتـــــدل
كأنه عود بان ناعـــــم خضــــر

ثنتان فيها لنا برء ومنفعـــــــــة
عند العلاج وفي عينيهما حــــور

هذا هو السحر من هاروت عارهمـــا
حتى ترتب منها الموت والخطـــر[1]

---

(١) ديوانه ص ٢٧٥

الغرض الرابع: " الوصـــف "

ليس لهذا الغرض باب مستقل فى ديوانه ، ولكن وجود أبيات فـــى الوصف كثيرة وجميلة ، دفعنى الى اثباته كغرض مستقل ، وسأورد له بعضا من النماذج الدالـــة على قدرته على التصور والوصف فها هو يعطينا صـــوره دقيقه لوخد الناقه ، ويصف سرعتها ، وهو الخبير بها ، فيقول :

فيا أيها الغادى على ظهر ظامـــــر
مهجنة تفرى بعيد السباســـب
كأن انتثار المرو من خلف خفهـــا
شآبيب هطال من المزن حالـــب (١)

ثم يصف الجياد وجودتها وأصالتها ودورها فى القتال فيقول :

منعمة يجبى لها كل ناعـــــم
تعلل من صافى الضريب وتنهـــل
جياد اذا حل الجلاد كأنهـــا
جلامد طود من ذرى النيق تنزل
فلا لمست أكفالها أسل القـــنى
محرمة أعجازها وتحلـــل
على الطعن لبات السبايا لأنهـــا
يطبق أيديها من الدم مقتـــل (٢)

ثم يصور لنا تلك الجيوش ، ويصف ما دار فى تلك الحروب من اقبـــال وادبار ، وكر وفر على تلك الخيول الغر الوضاح ، فيقـــول :

كأنهم موج بحر عند فضبتـــه
اذا ترامى بأذى وتيـــار

---

(١) ديوانه ص ١٩
(٢) ديوانه ص ٢٢

تصادم البهم بين المأزقين بهم
ولا حقات بأوضاح وأغرار (١)

يحملن أبطال قوم كلما لحقوا
حبوا حفيظتهم ليسوا بفرار

اذا تشابكت الهيجا فواحدهم
بين الخميسين كالمستأسد الضهار

....
....

فى موقف وقف الموت الزعاف به
هناك أقضى لباناتى وأوطار

من كل ذى لمة لـ ... ضفائرها
على التراب وماء فيضها جار (٢)

وقد وصف جيشا محاصرا ، فعكس لنا صورة تشبيهية جميلة حقا ، حينما شبه حصارهم بحصار البحر لجزيرة "دارين" ، أما اذا نجا الهارب منهم فيصور فراده ، بفرار قطاة مروعه ، يقول :

أحاطت بنا الأقوام ليلا كما أتى
على جانبى دارين للبحر ساحل

كأن فرير الفرد منهم اذا نجا
فرير قطاة اسلمتها الأجاول (٣)

وحينما ذهب الى مصر للعلاج ، بهره ما رأى فيها من تقدم وحضارة خاصة فى مجال العلم والمعرفه ، يقول :

العلم ألقى بوادى النيل أرحله
حتى تسنم فيه أرفع الصور

---

(١) من أشكال الخيل
(٢) ديوانه ص ١١٥
(٣) ديوانه ص ١٣٧

قد أدركوا من فنون الطب أكثرهـــــــا
وهذبوها بلا غمط ولا أشـــــــر

من قدم الصبر لا تثنى عزائمـــــــــــه
طول السنين بمر اليوم والشهـــــر

اصبر قليلا فهذي نهضة مـــــــــلأت
كل البلاد بلاد البدو والحضـــــر

ومصر قد حفلت بالعلم أمتهـــــــــــا
أربح لجارتنا بوركت من مصـــــــر (١)

الغرض الخامس " التهنئـــــــه "

وهذا الغرض لم يفرد له ـ أيضا ـ بابا معينا ، وانما اكتفى بتناولـــه
فى ثنايا قصائده ، وهو اما تهنئة بانتصار وأوفتح بلدة ، أو شفاء من مرض ..
أما النوع الأول فهو أغلب أنواع تهانيه ، وأكثرها ، لكثرة مناسباتهـا ،
فهذا هو يهنئ الملك عبد العزيز ، بعد انتصاره فى موقعة تربه بقوله :

هنيئا لك العز المؤثل قد سمـــــــــا
بعلياك العلياء فوق الكواكـــب

ففيه لنا عز ومجد " ورفعـــــــــــة
به نكسب العليا عند التخاطـــب

وان به للعالمين مكـــــــــــــارم
بانصاف مطلوب وخذلان طالـــب (٢)

ويهنئه بمثل تلك التهنئه حينما انتصر جيشه على جيش خرج عن طاعته
فيقول :

هنيئا يا ابن فيصل اذ تسامـــــــت
لك الخيرات والنعم الجســـام

---

(١) ديوانه ص ٢٧١
(٢) ديوانه ص ١٩

بعثت المجد بعد أب وجـــــــــد ،
بيوت المجد ليس بها لئـــــام

فلو قامت لنيل المجد قـــــــــوم
على الجوزاء قبلهم لقامـــــوا (١)

أما حينما فتح المدينه المنوره ، فان التهنئة لازمة لمثل هـــــذا
الفتح الكبير له ولأهل المدينه الذين سينعمون بمعطيات هذا الفتح :

نهنيك يا عبد العزيز فانهـــــــــا
فتوح بها الرب الكريم تكرمـــــا

ونهدى لجيران الرســـول تحيـــــة
وتهنئة تملا العقيقين والحمـــا

أرى الأنس بين اليثر بين مقبـــــلا
كما قابل النصر المليك المعظمـــا

وتذكره أم القرى فى صحافهـــــا
فما نشرت فيها يفيض المقطمـــا

وتنشره الركبان فى كـــل وجهـــــة
ويحدوا به حادى المطى ترنمـــا (٢)

وفي سنة ١٣٥٣ هـ وقع حادث خطير على الملك عبد العزيز كـــاد
يودي بحياته ، لولا أن الله سلم ، ذلك أن ثلاثة من أهل اليمن ، هجموا
على الملك ، شاهرين خناجرهم ، والملك يطوف على الكعبة ، فتوقاه ابنـــه
سعود ، وحال دونهم ، فكان الملك من الهلاك قاب قوسين أو أدنـــى ،
فقال ابن بليهد يهنئه بالسلامه :

هنيت يالملك الشهم الهمام علـــى
تلك السلامة ياابن السادة الغـــرر

---

(١) ديوانه ص ٢٧
(٢) ديوانه ص ٩٥

لم تكثرت يا أمير المؤمنين وقـــــــــد
تألم العرب من بدو ومن حضـــــــر

فعندنا اليوم أعياد وقد طلعـــــــــت
على البرية بالتحجيل والغــــــــرر (١)

وحينما تولى الأمير سعود ولاية العهد ، كانت تلك مناسبة للتهنئة بهذا المنصب الكبير :

جئنا نهنيك باليوم الذى طلعـــــــــت
لك السعود على الأنجاد والتهـــــم

الله سو ملكم بالملك مصلحـــــــــة
للعالمين بحفظ الدين والذمـــــم

فمن ربى بلد الزيتون دان لكـــــــم
الى عمان ومن شار الى نقـــــــم (٢)

وقد هنأ صاحبه الأمير فيصل على سلامته من مرض أصابه ، فقـــال :

هنيت بالعيد فى البطحاء والحـــــرم
وبالسلامة من سقم ومن ألـــــــم

اذا سلمت كأن الأرض مربعـــــــــة
للناظرين زهت بالروض واليـــــنم

فدم سليما بشمل غير منصـــــــدع
فى خفض عيش وملك غير منصـــرم (٣)

الغرض السادس : " الحكمة "

قد لا يصدق على " الحكمة ، أن تكون غرضا قائما بذاته ولكننـــا

---

(١) ديوانه ص ١٢٤

(٢) ديوانه ص ١٥٠ ، وشار ، جبل فى شمال الجزيرة العربيه ، ونقم جبـــل فى صنعا .

(٣) ديوانه ص ١٢٤ .

نراها تشع من بين ثنايا قصائده ، وهو يرسم بها مناهج فى الحياة ، ليستضئ بها الناس ، بعد أن مرت به تجاربها ، فهو حينما يرسل الحكمة فانهـــا خلاصة من خلاصات تجاربه فى الحياة .

واذا كان ابن بليهد معروفا بكثرة أسفاره ورحلاته ، فقد صـــاغ خلاصة لتجاربه تلك بقوله :

قد بلغتنا الأمانى وهى صادقـــة
أن الرحيل لادراك المطالـــب (١)

كما يعكس لنا تجاربه من خلال معاملته للناس ومعرفته لهم وهو الخبـير بهم وبتصرفاتهم ، واتجاهاتهم :

فوالله ما يرميك بالشـــر والقـــلا
من الناس الا فاسد متمـــرد

تردا رداء الكبر يحسب أنـــه
رشيد وفى حالاته كيف يرشـــد

اذا قال انى قد نجوت فقل لـــه
رويدا فان اليوم يتبعه غـــد

وبالكبر خلا رب غسان ملكـــه
وأمسى عن الاسلام ينأى ويبعـــد

فلا يحمد المعروف الا أولو النهـــى
وأما لئيم الناس للفضل يجحـــد (٢)

أما وقد عاصر انتقال مجتمعه ودولته من طور الى طور ، وما تخلـل ذلك من حروب وقتال ودمار ، وما فى ذلك من تقلبات وأحداث ، فانه يقول :

---

(١) ديوانه ص ٢٢٠

(٢) ديوانه ص ٤٩ .

لا تحقرن شرارا فى رمادته
اذا أحاط على أكتافه الحطب

لقد أقام أبو العباس دولته
أرست قواعدها الهندية القضب

أضحى أبو جعفر المنصور متبعا
طريق من قبله واستذلك الصعب

وقال قول أبو تمام مطلعه
السيف ينشىء مالا تنشىء الكتب

فان باب العلا نقع له قتم
أو القنى والضبى والنبع والغرب (١)

ومن خلال هذه الأبيات نعرف أيضا تلك الثقافة الواسعه التى ساعدته ليس فى صياغة هذه الأبيات وأمثالها فحسب ، بل تتعدى ذلك الى شعره كله ، والى ما خلفه من مؤلفات هذه هى أهم الأغراض التى تناولها فى شعره ، وحواها ديوانه .

أما الهجاء ، وأقصد به الهجاء البذىء المقذع ، فقد ربأ بنفسه عن أن تنحط الى دركه وتزه لسانه عن أن يتلوث بأردانه ، ولذا فان ما عرض فى شعره أتى على صورة الهجاء الرفيع ، ان كان هناك هجاء رفيعا ، استمده من واقع مجتمعه الذى يزرى بالظلم والاستبداد .. ومما يبين عن هذا المظهر قوله فى الشريف حسين وأعوانه ، وكانوا أمراء على الحجاز :

ثكلتكم من الحرابير أم
صفر الكف منكم والوطاب

كم ظلمتم مجاور البيت جهرا
صب منكم لساكنيه العذاب

---

(١) ديوانه ص ١٢١

كم أخذتم من الحجيج مكوســـــــــا
طالما يزعج الحجيج النهـــــــاب

كم عثت فيهم اللصوص واســـــــــــت
عندكم ما على اللصوص عقــــــــاب

تهلكون الغريب ظلما وجـــــــــــورا
كلما طال بالغريب اغـــــــترا ب (١)

ويقول فى هجاء جماعة خارجة على الملك عبد العزيز ، قاصدين الحجـاز بقيادة " حامد بن رفاده " :

لكن سلكـــتم طريقا غير سنتـــــــــــه
لعب بطبل وتصفيق بمزمـــــــــار

بنيتموا عملا كانت قواعــــــــــــده
على شفا جرف من تحته هـــــــار

لا يأمن الجار منكم عند غفلتـــــــــه
وقد ابيحت لديكم حرمة الجـــــار (٢)

فهذا الهجاء يزرى بترك القيم والمثل الأخلاقيه ، والمبادئ الانسانيـه ، أما غرض الفخر ، فقد ضرب عنه صفحا ، ولم يسلك سبيله .

أما شعر الفلسفه ونقد النظم الاجتماعيه ، فانما يوجد فى البيئـــــة الصالحة ، والمنبت الخصيب فى المجتمع المتقدم فكريا وحضاريا حيث توجـــد العقليه الفكرية الناضجه ، وحيث تتحقق الحياة الاجتماعيه ، نتيجة للتقـــدم الحضارى .

وبيئة شاعرنا ابن بليهد " بيئة بدائيه .. " أقرب الى البداوة منهـــا الى الحضاره ، فالسهوله واليسر ، هو طابعها فى كافة مجالاتها .

---

(١) ديوانه ص ٨٨
(٢) ديوانه ص ١١٧

ومن خلال هذا العرض ، يتبين أن أغراض المدح ، والرثاء ، والغزل كانت أغراضا بارزه فى ديوانه بعناوينها ومناسباتها ، مع تفاوتها فـــــى الكثرة والقلة ، فالمدح يأخذ الجزء الأكبر من ديوانه يليه الرثاء فالغـــزل ، أما التهنئه فتأتى فى المرتبه الرابعه من حيث احتفال الشاعر بها ، لأنهـــا مرتبطة بالمدح فى الغالب ، أما الحكمة ، فمبثوثة فى ثنايا شعره ، لا يجمعها نظام ، ولا يؤنسها التئام ، فهى أبيات هنا وهناك ، تأتى عرضا ، ولا تقصد غرضـــــا .

* * *
* *
*

" الفصل الخامس "

" شعره وما فيه من خصائص "

بعد دراسة تلك الأغراض التى حواها ديوانه ، وايراد نمـــــاذج من أشعاره ، نريد فى هذا الفصل أن نتعرف على شعره من النواحى الفنيـــه وما يتصف به من خصائص ، وأول ما سنتناوله من تلك الخصائص فى شعـــره ما يتعلق بألفاظه وأساليبه ، ثم معانيه وأفكاره .

أولا : الألفاظ والأساليب :

تتميز ألفاظ شعره وأساليبه بما يأتى :

١) السهولة والسلاسه وقرب المنال ، وبساطة التراكيب ، وخلوهـــا من التعقيد فى الجمله وهجر الغريب القاسى ، والسوقى المبتذل .

٢) حلاوة الديباجه ، وذلك بما توافر له من ملكة قويه اكتسبهـــا بقراءاته المستمره وحفظ أشعار القدماء ، ولا سيما العباسيـــين منهم .

٣) قوة العباره ، وجزالة الأساليب - فى الجمله - واحكام الربـــط بين أجزاء الكلام ، ونبذ التوشيه والأصباغ البديعية المجتلبـــه ، والاستعارات الثقيله المتكلفه .

٤) حسن الترتيب ، وارسال الكلام على الطبع والسجيه ، دون تعقيـــد أو التواء ، ومن ثم فهو لا يشغل باللفظ ، ولا يبدوا على معنـــاه أثر الجهد فيه ، وبهذا سلم من لعب الجناس اللفظى والمحسنات الموهـــه .

ثانيا : المعانى والأفكـــار :

كما تتميز معانى شعره وأفكاره بما يأتى :

١) سما بمعانى شعره ، واستمدها من المثل العليا للحياة كتمجيـــد الفضائل والمكارم ، وانصرف به عن الفحش ، والمجون ، والألغـــاز ، وغير ذلك من الأمور التى سادت فى آخر العصر العباسى ، والقـــرون الوسطى .

٢) كما يتميز شعره ، بوضوح المعنى ، واختيار المعانى والأفكـــار ، ذات المستوى الرفيع ، لتكون مادة لقصائده ، ثم ذلك الانسجـــام بين اللفظ والمعنى ، واختيار الألفاظ الملائمة لهذه الفكـــره أو ذلك المعنى .

٣) اتساع دائرة الخيال الشعرى لديه - خاصة بالنسبة لشعراء عصـــره لكثرة مشاهداته وأسفاره وانتقال مجتمعه من مرحلة الى مرحلـــة وخاصة من الناحية السياسية .

٤) انتزاع تلك الصور الرائعه التى نراها فى شعره ، من واقع بيئتـــه ومجتمعه ، وما لهذين من تاريخ وآثار .

على أن هناك جوانب أخرى فى شعره لا بد من النظر اليها لاستظهار حقيقتها ، وأول ما يلفت النظر فى شعره غلبة شعر المدح على بقية أغراضـه ، وحـرى بمن يقرأ ديوانه ، مجردا ذهنه من كل المؤثرات والدوافع أن يحكـم على هذه المدائح ، بأنها شعر استجداء ، خالية من العاطفة أو مـــن بعضها ..

ان الحقيقه التى لا تقبل شكا ، أن الشاعر محمد بن بليهد ، فـــى مدائحه ، يعبر عن عاطفة صادقه ، ويقول المدائح لذاتها ، لا لأى اعتبـــار آخر ، واذا كان أغلب شعراء المدح انما يهدف بمدائحهم الكسب والعطـــاء ، فان هذا القول لا يصدق بقليل أو كثير على ابن بليهد ، ولم أنف عنـــه هذه الناحيه لأننى أستعيب الأخذ والعطاء فى الشعر ، ولكن لاعتبـــارات اجتماعيه وشخصيه منعت ابن بليهد من الأخذ ، فضلا عن الطلب أو الاستجداء .

أما الاعتبارات الاجتماعيه ، فان ابن بليهد قد عاش - شأنـــه شأن أبناء مجتمعه - حياة مخضرمة بين الشقاء والحروب والسلب والنهـــب ، وانعدام المبادئ الانسانيه والدينيه ، وبين حياة السعادة والرخاء والأمـــن والانتشار فى الأرض والعودة الى الدين ، وقد عاش حياته الأولى ، وهـــو يحسب أن الدنيا هكذا ، فلما تبدلت الحال ، كانت مدائحه ردا لتلـــك

المعطيات العميمه ، واذا كان أفراد مجتمعه وخاصة من نجد قد جعلوا ـ فعلا ـ أنفسهم وأموالهم رهنا لقيام هذه الدوله فان ابن بليهد قد ساهم بتلك المدائح ، ليبارك قيام هذه الدوله ، فهو أيضا لم يكن متقربا أو مرائيا بمدائحه ، لأنه يستمدها من عاطفته الصادقه ، ومن جذوة ذلك الشعب الذى بارك بدوره قيام هذه الدوله .

ومن ناحية ثانيه ، فاننا اذا نظرنا الى الدولة السعودية في ذلك الوقت ، وجدنا أنها من الفقر والعدم ، بحيث تأخذ ولا تعطى ويكفى منها عطاء تلك الحياة الآمنه ، حيث اذاقتهم طعم السعادة بعد قرون من الفوضى والدمار ، فجدير بكل قريحه أن تلهج بالمدح والشكر والثناء لمن قدم هذا ، وأنعم به من مكرمه .

أما الاعتبارات الشخصيه : فان ما عرف عن ابن بليهد من كرم النفس والأنفه ، تجعل من الصعب عليه أن يحمل شعره على أنه استجداء وطلب للمال والعطاء ، ولهذا فقد حجز يده عن أن تمتد لأخذ مثل هذا العطاء ، وقد عرفنا سابقا أنه قد امتهن التجارة لسد مطالب حياته .

ومن ناحية ثانيه ، فان صلته بالأمراء السعوديين ، ومكانته بينهم ، تجعل من الصعب عليه أيضا أن يريق ماء وجهه ، لأخذ عطاء ، لقاء ما قدم من مدائح ، فمكانته ومنزلته بينهم من ناحيه ، وتقديمه هذه المدائح كمشاركة منه فى بناء هذه الدوله من ناحية أخرى ، تمنعانه من الأخذ فضلا عن الطلب والاستجداء وكأن ابن بليهد قد أحس بأن كثرة مدائحه ستحمل بمحمل الاستجداء والطلب للمال ، فأراد أن ينفى هذا الاعتقاد ويبين أن ذلك طبع فيه وسجيه نشأ عليها ليمدح من يستحق المدح ومن هو أهل له فقال :

فمدحى امام المسلمين سجيـــة
نشأت عليها لا شىء أثابـــه (١)

---

(١) ديوانه ص ٢٣٦

"شعره بين التقليد والتجديد "

مهما قلنا عن شعر ابن بليهد ، وما بلغ من التجويد والتجديد ، ، فاننا لا نستطيع أن ننكر ما فيه من محاكات وتقليد ، ذلك أن قراءاتـــه الكثيره ، لأشعار العرب ، وحفظه لها ، كان لها تأثير كبير فى محاكاتهـم وتقليدهم حتى أغار على ما تحويه أشعارهم من مبنى ومعنى ، ولم يكـن تأثره بشاعر معين ، أو عصر واحد فجزالة مبناه لأكثر قصائده مستمدة مـن الشعر الجاهلى الجزل ، كما أغار على شعر الشعراء الأمويين والعباسيين ، فهذا هو يتناول قول الشاعر الأموى : جرير .

الستم خير من ركب المطايـــا
وأندى العالمين بطون راح

فيأخذه ويصوغه فى قالب آخر حين مدح الملك عبد العزيز بقوله :

مليك خير من ركب المطايـــا
وأوفى حين تختلف الذمــام (١)

وحينما يقول المتنبى مفتخرا بنفسه :

الخيل والليل والبيداء تعرفـــنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلـم

يأتى ابن بليهد فيصوغ تلك المعرفة للأشياء التى عدد المتنــبى ويجعلها مدحا لآل سعــود .

الجيش والخيل والخطى عندهــم
والسيف يعرفهم حقا اذا جردا (٢)

وحينما يقول الشاعر : الطغرائـــى .

---

(١) ديوانه ص ٢٧

(٢) ديوانه ص ٤٥

قد حدثتنا المعالي وهى صادقـــة
فيما تحدث أن العز فى النقـــل

يتناوله ابن بليهد فيقـــول :

قد بلغتنا الأمانى وهى صادقـــه
أن الرحيل لادراك المطالـــب(١)

ولم يكن ابن بليهد مقلدا فى كل شعره ، ذلك أن صبغتـــه الشخـصية واضح أثرها فى الكثير من قصائده ، أما الاستاذ محمد بـــن حسين فقد قال عنه انه " مقلد " وتقليده وسط بين الجوده والرداءه ، يقـــول فى معرض حديثه عن شعراء نجد ، فى تلك الفتره : " الا أن أولئـــك الشعراء — رحمهم الله — تباينوا تباينا ظاهرا فى ذلك التقليد ، فكان منهم من أشبه شعره عهود التخلف .. كابن سحمان ، ومنهم من أشبه شعـــره شعر الفحول فى عصور الأزدهار ، كالشاعر الكبير ابن عثيمين ، ومنهـــم من كان وسطا بين ذلك مثل ابن بليهد (٢) .

وهذا فى رأيى حكم قاس على ابن بليهد ، ذلك أن الناظر لهـــذه العباره ، سيأخذ شعر ابن بليهد على أنه وسط " ووسط فى تقليده ، أمـــا اذا أردنا أن نقيم شعره من خلال هذه الكلمه " وسط " فاننا نقـول : ان شعره وسط بين التقليد والتجديد ، فأما التقليد فقد أجاد فيه ، وأمـــا التجديد ، فكانت محاولة منه لبعث الشعر من جديد ، بأسلوب أيســـر من أسلوب أبى تمام مثلا ، أو من أسلوب ابن عثيمين الذى قارنه معـــه الأستاذ ابن حسين ، فهو تجديد لا كما يفهمه المجددون ، فقد حـــاول أن يترك لشخصيته أثرا وان كان هذا الأثر باهتا الا أنه موجود .

على أن سمة التقليد فى شعره ، وعدم خصوبة الخيال ، ناتـــج عن تلك البيئة التى عاش فيها ، ولولا أن الرجل صاحب عبقرية لما أتـــى بمثل هذا الشعر .

---

(١) ديوانه ص ٢٢٠

(٢) الأدب الحديث فى نجد — محمد ابن حسين ص ٣١

"الصنعه وأثرها فى شعره"

مظاهر التكلف واضح فى بعض أبيات من قصائده ، فى مثل قولـــه حينما أراد ان يؤرخ فتح مدينه جده سنة ١٣٤٤

ثلاث مئين فوقهـــا ألف حجـــــــــة
مع الأربعين ان ذا العام رابـــع (١)

وفى مثل قوله فى قائد الحسين الذى هزم فى موقعه "تربه"

غوى غوى أغوى من الترك عصبـــــــــة
على شر حال واستذل البواد بـــا (٢)

واذا أردنا أن نفصل ذلك متمشين مع أغراضه البارزه ، فان شعـــره فى الرثاء ، لا تبدوا عليه آثار التكلف أو الصنعه ، وان لم يصل بشعـــره الى مستوى الحدث الذى أصابه ، أما الغزل ، فالصنعة فيه ظاهــــره ولا يعبر عن عاطفه ، لأنه - كما قلنا عند الحديث عن غرض الغزل - قـــد دفع اليه دفعا ، ولأنه فى آخر عمره ، وهو فى حالة علاج مرض خطـــير وحتى لو لم يوجد أى مبرر فان أبيات غزله تبين عن مظاهر هذه الصنعه.

وأما فى المدح ، فلم يكن هناك صنعة أو تكلف ، بل يرسلـــه كما توحى به سجيته ، ويشذ من هذا الحكم قصيدة نظمها فى مدح جلالـــة الملك فيصل ، حينما عقد له نائبا للمغفور له الملك عبد العزيز ، علـــى الحجاز عام ١٣٤٥ هـ ، وقد بدأ كل بيت منها . بحرف من حـــروف اسمه على الترتيب ، وهذا من مظاهر الصنعه وقد قال فى مقدمتهـــا ، ان هذا النوع شائع عند الحجازيين :

---

(١) ديوانه ص ٩٩
(٢) ديوانه ص ١٥

فتى السعد باد والعيون تراقبه ∴ ولاحت على افق الحجاز كواكبه
يبارين من نال المكارم والعلا ∴ وقد عرفت في العالمين مناقبه
صبا نجد هبي في الحجاز فانه ∴ على أهله أمن وطابت مشاربه
لعمري لقد نال الحجاز بفيصل ∴ ومقدمه انساتتم مآربه (١)

وهكذا الى أن أتم ستة عشر بيتا ، يبدئ كل بيت منها بحرف من أسم " فيصل ابن عبد العزيز .

---

(١) ديوانه ص ٢١٨ .

* * *
* *
*

" تحليل قصيـــــده "

قصدت من هذا التحليل غرضيـــــــين :

أولا : اثبات قصيدة أرى أنها مقياس لبقية قصائده ، لمن أراد أن يختصر نظرته الى شعره .

ثانيا : استكمال دراسة شعره ، حيث سأتناول بعض الخصائص والنواحـــي الجانبيه التى لم أتطرق اليها أثناء دراستى لشعره .

وهذه القصيدة قالها سنة ١٣٤٣ هـ وهو بمعية الملك عبد العزيز فى مكه ، وكانت ردا على شاعر تسمى بالأخطل الصغير ، واسمه " حسن عواد " وقد نشر فى جريدة " بريد الحجاز " قصيدة يؤنب فيها السعوديين ، ويؤلب الشريف حسين على قتالهم أثناء حصارهم جده ، وقد ذكر ابن بليهـــــــد أن عدد أبيات هذه القصيدة ثمان وعشرون بيتا ، ذكر منها ثلاثـــــــة أبيات ، أثناء تقديمه القصيده ، ولم أجد من القصيده الا ما ذكره ، وهـذه الأبيات الثلاثة هى :

حدثيهـــــم عن بأسنا يا حـــــــــــراب
واذاقيهم [illegible] يا عـــــــــــذاب

وامطريهم قذائفا يا مناطيــــــــــــد
كأن الدخان منها سحـــــاب

الى أن قـــــال :

أيها المصلحون فى الشرق مهـــــــــلا
أين اصلاحكم وأين الصـــواب

فكانت قصيدة ابن بليهد ردا على هذا الشاعر ، وتتكون من واحـــد وخمسين بيتا ، وهى :

ما أصبتم وما لديكم صـــــــــــواب
بعدما نص فى البريد كتـــــاب

وانتبهنا لقولكم حين قلـــــــــــتم
حدثيهم عن بأسنا يا حـــراب

ان هزمتم على الحروب فانــــــــــــا
كلما طالت الحروب شبـــــــاب

ان أردنا أتت اليكـــــم سراعــــــــا
من بنى الحرب اذ يعاف الضراب

وملأنا الثغور جيشا وخيـــــــــــلا
ضامرات كأنهن الذئـــــــاب

لم يصيحوا بساحة الحـــــــــــالا
ان تداعوا الى الظلال وخابـــوا

علم الله أن فيكم رجــــــــــــالا
ان دعاهم سفيه قوم أجابـــــوا

ما تقولون فى مليك اذا مـــــــــا
مد أيد الى التناور قـــــــب

ذاك عبد العزيز ان ذكر المجــــــــد
أو غطا الخيل فى الجلاد ضباب

كان هو مقدم القبائل طــــــــــرا
حين تحدى بأبطحيها الركـــاب

ان غضبتم فان قبلكـــم قـــــــوم
من بنى الحرب فى الحروف غضاب

أصبحت منهم الديار خـــــــــلاء
بعد ما صاح بالشتات غـــراب

هكذا المعتدى يعاقبه اللــــــــه
جهرة حين لا يخاف العقـــاب

ان غمزنا قناة قوم كسرنــــــــا
جانبيها وكان فيه اضطـــراب

ان ضننتم بأن سلككم اليــــوم
عن رحى الحرب والمنون حجــاب

فارقبوها من الكتيب سراعــا
طالعات كأنهن هضــاب

كم تركنا عليكم الطــير يمكــو
فاسأل السبع مالهن حســاب

ان أبيتم فما ظفرتم بشــىء
غير ما يدرك الشقى المــذاب

ان أناخت بساحة عبدلــى
أو زعيم وافتر للحرب نــاب

حاملات كرام قوم اذا مــا
أسر جوها وللحروب التهــاب

أحرزوها بمرهفــات حــداد
تصرع الظلم والشهود الشعــاب

والعوالى وتطبيهــا المعالــى
حين يروى من النجيع الــتراب

فى رضا الله ثم طــوع لشهـــم
مقدم العرب حين تبنى القبــاب

كان عند الذى بنا السما و دحــى الأرض
للمقيمين فى الجهاد ثــواب

حين حلوا ببطن نخلــة قالــوا
مالنا غير ثارنا ياصحــاب

ان قبضنا الحسـين فى البلد الحــرم
لذ للناس مأكل وشـــراب

قد غذينا بكل حرب عوان

نمتريها اذا يعاف الشراب

ان أقمنا ففى الاقامة خير

آخر الأمر فى العدو ذهاب

أيها القوم ان أقمتم والا

الجنايات فيكم والسباب

ثكلتكم من الحرائر أم

صفر الكف منكم والوطاب

كم ظلمتم مجاور البيت جهرا

صب منكم لساكنيه العذاب

كم أخذتم من الحجيج مكوسا

طالما يزعج الحجيج النهاب

كم عثت فيهم اللصوص وأمست

عندكم ما على اللصوص عقاب

تهلكون الغريب ظلما وجورا

كلما طال بالغريب اغتراب

وانقضت مدة علم الناس

كان فيها على الحجيج خراب

وأحرز الملك منكم الثأر فيها

ليس فينا بما يقول ارتياب

اسألوا مد المناسك عنا

يخبروكم عمار أو حين آبوا

نحمد الله أصبح البيت حرا

طاب للوافدين منه جناب

أصبح البيت فى أرومة مجـــــــد
فبذا تسهل الأمور الصعـــــاب

يقتضى الله منكـــم بعد هـــــذا
بمصاب وعز ذاك المصـــــاب

هل كتبتم على الهقـــاء اشقيـــاء
يوم يطوى على القضاء الكتـــاب

قولكم كلما سمع القـــــــول
ليس فيه الى الصواب صـــواب

قولكم فى أخى المكـــــلرم زور
وكذاب والقائلون كـــــذاب

قدم الحق والشريعـــــة حتمـــا
حين ضاقت على الضعيف الرحـــاب

انجلى الظلـــم والمظالـــم ياقـــوم
وهى بالأمس فى الحجاز عبـــاب

أيها الغافلون قد ظهــــر الحــــق
فاسمعونا فما يكون العتـــاب

لا تعضوا بالألسن العرب المــــرب
يوم عضتكم الرهاف المضـــاب

انها عند معترك الخيـــــــل
كلما ضاقت المخارج بـــــاب

نختم القول بالصـــلاة على مـــــن
قد دعا الناس للهدى فأجابـــو

ما بدا الفجـــر أو بدا نور نجـــــم
أوهما فى ربى الفضاء سحـــاب

أو قرى القارؤن فى أم صبح
واستقاموا لربهم وأنابوا (١)

وقد بدأ القصيدة فى بيتها الأول ، بتكذيبهم ، وعدولهم عن الحق والصواب ، بعد تلك القصيدة التى نشرت فى جريدة " بريد الحجاز وهى جريدة تصور فى جده تشرف عليها حكومة الشريف حسين ، وفى البيت الثانى يبين أنه قد اطلع على تلك القصيده فأورد منها فى شطر بيته الثانى ، الشطر الأول من البيت الأول لقصيده حسن عواد وهو قوله حدثيهم عن بأسنا يا حراب .

وفى البيت الثالث والرابع والخامس : يبدأ يستعرض تلك القوتين ، فوصف جيش الشريف بأنه قد أصابه الهرم وقد دب الضعف فيه ، بخلاف جيوش الملك عبد العزيز التى تتمتع بالشبيبه والحيويه ، كما أن هذا الجيش مستعد دائما لأى نزال ، وفى أى زمان ، وهو من الكثرة بحيث يملأ الثغور من الجيوش والخيول الضامرات الأصيلات .

ومن البيت السادس الى العاشر : يبين الشاعر أن قوم الشريف ، لا يجتمعون الا على ظلال ، ولا يجيبون الدعوة الا ان كانت من سفيه ، فكانت الخيبه مآلهم ، والفشل نهايتهم ، وفى نفس الوقت يبين لهم بعض خصال الملك عبد العزيز ومقامه ، فهو المقدم فى المجد ، والمتقدم فى الحروب وقد عجزت المطايا أن تحمل من يبزه ويفوقه .

ومن البيت الحادى عشر الى الثالث عشر : يبين أن طريقهم مثل طريق غيرهم ، فان قاموا وغضبوا فكم من القوم قبلهم قام وغضب فكان الحتف حتفهم واصبحت ديارهم العامرة أطلالا وخلاء ، وهذا هو سبيل كل ظالم خارج عن جادة السبيل .

ومن البيت الرابع عشر الى الثامن عشر : يعود مرة أخرى ليبين من قوة جانبهم ، وشدة بأسهم فان كان الحسين وجيشه ، قد اعتقد بأن تلك الاسلاك الشائكه التى وضعوها حول أسوار جدة مانعة من دخول جيش

(١) ديوانه ص ٨٦

الملك عبد العزيز ، فليو قبوه من الكثبان ينحدر كأنه الهضاب ، وان المعارك السابقة بيننا وبينكم ، وما خلفنا للطيور والسباع من قتلاكم ، لدليل فأقسم على قوتنا وشجاعتنا ، فاستسلموا تسلموا ، فان أبيتم الا القتال ، فلن تظفروا الا بما يظفر به الشقى من شقائه .

ومن البيت التاسع عشر الى الرابع والعشرين : يواصل وصفه لجيش الملك عبد العزيز ، فيطلب من جيوش الحسين القاء السلاح ، والا فان جيوش الملك عبد العزيز ان هى تحركت ، وملأت ساحات مكة ، وأبانت عن أنيابها واتجهت اليكم تحطمهم تلك الصافنات الجياد ، فانهم سيجتاحون كل قواكم ، وسيحرزون النصر بمرهفاتهم ، ويقضون على مآلكم التى شهدت بها الشعاب ، كل ذلك ارضاء لله وتحقيقا لأوامر هذا الملك الذى يتحرى بأعماله ثواب الله .

ومن البيت الخامس والعشرين الى الثامن والعشرين : يتحدث عما يتحدث به جيش الملك عبد العزيز وهو فى مكة وفى بطن نخله ، وهم يقولون : ما لنا من الثأر من بد ، فالناس لن يلذ لهم طعام ، أو شراب ، طالما الحسين وجنوده يرتعون فى تلك البقاع ، ونحن الذين سنتولى هذه المهمة ، لأننا قد نشأنا على الحروب بعد أن غذتنا بلبانها ، ومع هذا فلن نقدم على الحرب ، بل سنقيم على الحصار ، حقنا للدماء ، وحفاظا على الأرواح ، ولأن هؤلاء المحاصرين سيسلمون ان عاجلا أو آجلا ، وقد حدث هذا فعلا .

ومن البيت التاسع والعشرين الى الخامس والثلاثين : يخيرهم بين أن يستقيموا للطاعة ، وبين أن يكونوا محطا لكل سباب وتقريع باللسان والعنان ثم يوبخهم على ما قدموه اثناء حكمهم من ألوان الظلم والفساد فيقول كم ظلمتم سكان تلك البلاد الحرام وعذبتموهم جهارا وسرا ، وكم ظلمتم الحجاج بأخذ الضرائب التى هى أشبه ما تكون بالنهب أو الاغتصاب وكم عثت فى هؤلاء الحجاج اللصوص ، بمرأى منكم وسمع ، ثم انكم لا تعطون الغريب حقه بل لا تدعونه وشأنه حتى تلحقوه بظلمكم وجوركم ، ولكن كل

هذا انتهى ، وكل تلك المدة انقضت بما تحمله من مظالم ومساوئ يعلمه كل الناس.

ومن البيت السادس والثلاثين الى الأربعين : يبين أن الملك قد أحرز النصر على أعدائه ، ولا أحد يشك فى أن هذا النصر انما هو ثأر لتلك المظالم والمفاسد ، التى سلطها الأشراف على الناس ، وقد حل العدل والأمن والمساواة والرخاء فى تلك الربوع ، ويطلب الشاعر ان يسأل اولئك الحجاج الذين قضوا مناسكهم حيث الأمن والعدل يرفرف عليهم ، ثم يحمد الله على أن أصبح هذا البيت حرا من كل استبداد ، حتى طاب المقام فيه لكل وافد اليه ، كما صار فى حمى بيت هو فى الذرى من المجد والعزة والمكانة هو البيت السعودى ، أما أعمالكم الاجرامية تلك ، وما أقدمتم عليه من جور وتعسف ، فان الله هو الذى سيقاضيكم عليه .

ومن البيت الحادى والأربعين الى الخامس والأربعين : يتساءل الشاعر : هل خلقوا وقد كتب عليهم وقدر أن يكونوا اشقياء ؟ لقد بعد قولهم عن الحق والصواب ، فلن يصدق أحد ما قيل فى الملك عبد العزيز لأن الواقع أصدق من القول ، والحقيقة أصدق من الاعتقاد ، فقولكم فى الملك كذب من كذاب ، فلقد قدم الشريعة ، وجعلها دستورا يحتمى بها الضعيف والمظلوم ، وخليق بمن هذه الصفات صفاته أن يرد كل قول يحط من شأنه ، ويضع من قدره .

ومن البيت السادس والأربعين الى التاسع والاربعين : يقول ان سحب الظلم والمظالم قد انقشعت من أجواء الحجاز بعد أن كان منبتها الخصب ، ومرتعها الواسع ، ثم يوجه الخطاب الى أولئك الذين ناصروا الشريف ، ويطلب منهم أن يظهروا عن عتبهم وسخطهم ان كان هناك شئ من هذا على الحكم السعودى الجديد ، وهيهات لهم أن يجدوا شيئا من هذا القبيل ، وما دام الأمر كذلك ، فلماذا يعضوننا ويلهبوننا بألسنتهم ، الا أن يكون ذلك ردا على تلك الرهاب المضاب التى ألهبتهم وأذاقتهم المنون ، فالسيوف المرهفه هى منطق الحرب ، والمنطلق لكل ضيق فى ساحة الحرب.

<u>ومن البيت الخمسين الى آخر القصيده :</u> ختام لقصيدته بالصلاة والسلام على الرسول الكريم .

وتعتبر هذه القصيده من أواسط قصائده من حيث عدد أبياتها أما أطول قصائده فقد بلغت مائه وثلاثة عشر بيتا .

وقد ختم هذه القصيدة مثل أغلب قصائده بالصلاة على النبى الكريم، وهذه الظاهره ـ كما قلت سابقا ـ قد ورثها ـ كغيره من شعراء عصره من عهود المماليك ، وهى ظاهره محمودة على أية حال ، وهو فى أغلب قصائده ، يسوق المشاهد والصور ، بطريقة قصصيه ، سواء فى ذلك شعر المدح أو الوصف .. حتى أصبح شعره يتسم بمسحة الشعر القصصى .

على أن للشعر ضروراته وأحكامه ، ولا نبرئ ساحة هذا الديوان من الضرورات التى أقرها نقاد الشعر وصيارفته ، ولم يسلم منها شعر شاعر الا فى النادر .

* * *
**
*

" كلمة حول الشعـــــبى "

لم أكن لأتطرق لهذا الموضوع لو أن شاعرنا لم يتطرق اليـــه ، فلقد كان شاعرا مجيدا فى هذا النوع من الشعر ، ونافس شعراء عصـره وهو ما يزال صغير السن ، وحينما اتجهت به قريحته الى قول الشعـر بالعربية الفصحى ، نراه لا يهجر تماما هذا الشعر الذى نشأ عليه :

ولكن ، ما هو موقفه منه ؟ وما رأيه تجاهـه ؟

لقد كان موقفه واضحا بعد أن رأيناه يلحى باللوم على رجال الأدب الذين عرفوا ذلك النوع من الانتاج ويتهمهم بالخروج على المعايير الصحيحة فى تقييم الأدب ، لأنهم وصموا الشعر الشعبى بالسطحيـة والقحولة ، والجفاف ، يقول فى مقدمة ديوانه " والواقع أن الشعـر النبطى له خصائص فنية رائعه ، لا يليق بأهل الفكر أن يجهلوهـا ، فانهم باهماله ، يهملون مصدرا خصيبا من مصادر الثقافة ، ومن المؤلـم حقا أن بعض المثقفين يترفعون عن النزول من ابراجهم العاليه ، الـى حيث تكون طبقات الشعب ، ليتلقوا عنهم شيئا من انتاجهم ومحصولهـم الأدبى ، ولو ترك الحكم فى قيمها الى معايير الشعر الصحيحة لمـا وصمت بالقحوله ، والجفاف ، والسطحيه ، ولما كان نصيبها الاهمال ، ، لأنها جديرة بأن تبرز فى معارض الأدب الحديث كأمتع لون من ألوانـه ، تتضافر فيه عناصر الجوده من معنى مخترع وخيال مجنح ، وعاطفـة ملتهبه ، ونظرات تعيده الى الحياة ، فمما لا شك فيه أن فى ذلـك اللون من الانتاج الشعبى نبعا أدبيا صافيا ، لو اتخذ منه مادة للدراسـة لظهر أنه أدب بعيد الغور صادق كل الصدق فى تصويره للحياة ، جديـر بأن يطعم الأدب بلون طريف فيه جدة وانطلاق وتحرر ، وفيه توهـج واشعاع ، أقول ذلك لأنى فحصته فحصا دقيقا ، وتمرست به ، بـل تخرجت من تلك المدرسة الشعبيه " (١).

هذا هو رأيه فى الشعر الشعبى النبطى " ولكن يجب الا يؤخـذ بأنه يرفعه فوق مستوى الشعر العربى الفصيح ، فقد رفع قيمته ـ فقط ـ

---

(١) مقدمه الديوان

من ناحيه كونه أدبا يمثل ، طبقة ، أو مرحلة من مراحل الأدب ، من الصعب تناسيها ، أو التحامل عليها ، لضعفها أو انحطاطها ، فهو يريد تقييم هذا الأدب الشعبى من ناحية معانيه ، وما فيه من تعبيرات وومضات صادقة معبره ، يقول فى موضع آخر : " ان أهل العربيه لا يلتزمون " فى المعانى " للاستشهاد بشعر طبقة معينه ، بل انهم ربما استشهدوا بشعر العجم من الفرس وغيرهم ، فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر من قبل الدولة العباسية فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة ، وعلماء النحو والصرف ، فأما التاريخ والبلدان وعلوم البلاغة فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينه ، وكيف والحاجة ماسة الى معرفة كلام شعراء كل جيل للدلالة على مواطنهم ، ومسارح لهوهم(١) .

فهذا موقف " يقيم لهذا الشعر وزنه ، ولعل ذلك راجع الى كون الشعر الشعبى ، قد صحب الشيخ منذ الصبا ولكنه لم يقل بوجوب طرق هذا الشعر ، فقد عرف نهايته على يد نشأة الشعر العربى .

ونحن لا ننكر عليه هذا الموقف من أن هذا الشعر يمثل حياة طبقة أو طبقات لتلك المجتمعات ، يعطينا صورها ، وحالتها ، وما هم فيه من سعادة أو شقاء ، كما أنه يمثل مرحلة لا يمكن أن يتعداها كل دارس لتاريخ الأدب ، فهو من هذه النواحى معدود ومحسوب ، ولكن يجب الا ننساق وراء هذا كله متناسين أنه قد قام على حساب اللغة العربيه ، وعلى أنقاضها ، فساهم فى فسادها وقتلها ، فمهما كان له من الحسنات ، فهذه سيئة لا تغتفر .

---

(١) صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار : جـ٢ ص ٢١٠

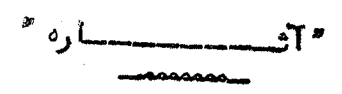
***
**
*

" الباب الرابـــــــع "

"" آثـــــــاره "

١) كتابه " صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثـــــار ".
٢) كتابه الخطوط " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعـــــه ".
٣) نشره وتحقيقه كتاب " صفة جزيرة العرب " للهمدانـــــي .
٤) مقالة حقق فيها موضع " ســـــــوق عكـــــاظ ".
٥) مذكراتـــــــه .

* * *
* *
*


" آثـــــــــاره "

لم يغب عن الشيخ محمد بن بليهد ما للتأليف من أهمية خاصة
اذ كان ممن تمرس بأساليبه وطرقه ، لكنه رأى أن مجال الدين قد السبق
فيه رجال الدعوه ، وعلماء الاسلام ، مما يشبع نهم طالب العلم ، فاتجه
بمؤلفاته ، وأعماله الى جانب آخر من الفنون الاسلامية ، وهو ما نسميه
بالعلوم اللسانيه ، اتجه الى نوع من التأليف أستطيع أن أسميه بـ " جغرافيه
الأدب " أو " الأدب الجغرافى " لدراسته الأماكن الجغرافيه ، خدمه
للأدب وفنونه ، فمن خلال قراءاته الكثيرة فى كتب الأدب ، وتراجم الشعراء ،
وجد أن هناك ثغرة كبيرة لم تول كثيرا من العناية ، ولم تلق كبير أهتمام
أو رعاية ، رأى أن الشعراء ـ وخاصة ـ الجاهليين منهم ، تدرس حياتهم
وتدون أشعارهم ، وتشرح معانيها وأساليبها ، ولكن المحققين ، يقفون
حيارى أو يكتبون مع تردد ، وكثرة ايراد أقوال ، عندما تواجههم أسماء
الأماكن والبقاع ، الوارده فى أشعارهم . ومثل هذا النوع فى دراسته
وبحثه ، لا يحتاج ـ فقط ـ الى الفراسة والذكاء والمواهب والقدرات الذهنيه ،
بل وبالدراسة الميدانيه الشاقة الصعبه ، فقد كلفه هذا الاتجاه الى
هذا النوع من العلوم ، جهدا جبارا ، دام أربعين سنه فى سبيل خدمة
الأدب بخدمة وجهة من وجهاته وقد هون عليه تلك الصعاب ، نجاحه
فى وصل تلك الحلقه المفرغه ، وسده لبعض هذا الفراغ ، ومما ساعد على
الشعور القوى بهذا الفراغ ، وأبرزه واضحا للعيان أن هذا العصر ، امتاز
من بين سائر العصور ، بالتحقيق الكبير ، والتدقيق المتناهى ، وخدمة
كتب الأوائل وتنقيحها ، والتعليق عليها ، ووضع الهوامش ، والمقدمات
والفهارس المتعدده ، مما أبرز هذه الثغره لصاحب النظره العابره ، والباع
القاصره ، وأوجد رغبة ملحة لملء هذا الفراغ ، نادى بها الباحثون
من الشرق والغرب ، وألقيت مسئوليتها على أدباء الجزيرة ومحققيها ،
والجزيرة ليست خلاء من الأدباء والباحثين ، ولكن المسألة ليست بحث
وكتابة ومقارنه ، وتحقيق ، فحسب ، ولكن وكما قلت سابقا ، ان هذا النوع من
التأليف مع كونه يحتاج الى قوة ضلع فى العلم ، وذاكرة قويه ، وقلم سيال ،

ورصيد من الأدب لا يستهان به فانه مع ذلك يحتاج الى عوامل وأسباب قل أن تتوفر فى شخص من الأشخاص.

وابن بليهد الى جانب أدبه وحفظه وسعه اطلاعه ، تكاد تكون هذه العوامل والأسباب التى أشرت اليها متوفرة فيه ، فأول هذه العوامل :

١) التنقله فى ربوع الجزيرة ، والتجول ، ومشاهدة العيان ، وتطبيق المعلومات عمليا والدراسة الميدانيه ، وهذه لم تتوفر فى شخص مثلما توفرت لابن بليهد ، فلقد كان جواب فيافى منذ نعومة أظفاره ، يعرض بضاعته التجاريه على العرب فى مرابعهم ومراتعهم ، ويجلب تجارة هذه البلدة الى تلك ، وتلك الى هذه ، ثم لما أصبحت له علاقة بالحكومة السعوديه ، جعلت تستغل خبرته وتبعثه لجباية الزكوات ، ونحوها ، فاستغل من جانبه هذا المركز الذى أحبه ، ليحقق ويبحث ، وكان له مع الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، صحبة فى عدة غزوات ، ثم مع ابنه الملك فيصل " الذى لقى عنده كل الحظوه ، حيث لقى أدب ابن بليهد كل رواج فى نوادى الفيصل الأدبيه ، فى ذلك الوقت ، وكان هذا لاحاطته بما لم يحط به غيره عن الجزيرة العربيه .

٢) العامل الثانى : البيئة والمجتمع ، فلا بد وأن يكون لهما أكبر دخل فى المساعده على ادراك هذه الحقائق ، فالباحث الذى يعيش فى مكة أو جدة أو الرياض ، غير الذى يعيش فى أكناف هضبات نجد وفى قراها التى معظم سكانها ان لم يكونوا بدوا فهم كالبدو ، ولهم بالبدو صلاة تجاريه واجتماعيه كبيرة ويستطيعون أن يعرفوا بواسطتهم كل شىء عن الجزيرة عن كثب ، وابن بليهد تترعرع بلاده " غسله " بين سحر الباديه ونحرها وله مع البدو قصص وأخبار ، ومع الفيافى رحلات وأسفار .

٣) العامل الثالث : أنه لا بد لمن يريد أن يلم بشئ عن هذه الناحيه أن ينخرط فى سلك المجتمع ، ويختلط بسائر الطبقات ، ويسمع شتى الأحاديث ، ويلتقى بمختلف الوفود .. ولم تتوفر هذه لأحد مثلما توفرت لابن بليهد ، فهو نديم لصاحب الجلاله الملك " فيصل " أيام كان أميرا على الحجاز ، وفى كل يوم بل فى كل ساعة يغص مجلسه بشتى الوفود من شتى القبائل والديار ، ويجرى ذكر الديار والسؤال عن قاطنيها ، وخصبها ، وجدبها ، وقربها وبعدها .. ولا اخال ابن بليهد عندما يسمع هذه الأحاديث الا يضيف الى كنانته شيئا جديدا .

وتبرز أهمية هذا النوع من التأليف لمن يعرف أن الشعر سجل حافل بكل ما يحيط بالشاعر من بيئة طبيعيه وما يعتلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس لظروف مكانية أو مناخيه ، وقد حفظ لنا الشعر العربى كثيرا من المواطن والبقاع التى تغنى بها الشعراء العرب ، فى عصر الجاهلية وعصر صدر الاسلام ، وما تلاهما من عصور ، ان هذه الأماكن التى ضمنها الشعراء قصائدهم منها ما هو باق على اسمه القديم حتى اليوم ومنها ما تغير اسمها ، وبعضها اندثر تماما .

لذلك فان الشيخ محمد بن بليهد ، رأى أن يتجه بمؤلفاته ، نحو جغرافية الأماكن ، والبلاد ، وماشابهها من المعالم الجغرافيه فى الجزيرة العربية ، التى وردت فى الشعر العربى الجاهلى والاسلامى وله من المؤلفات فى هذا الميدان :

١) " صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار .

٢) كتابه الخطوط " ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكنته وبقاعه .

أولا :

"كتاب " صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

٣) نشره وتحقيقه " صفة جزيرة العرب " للهمداني :

٤) تحقيق موضع " سوق عكاظ "

وفيما يلي دراسة لهذه الكتب ، لكشف وجهاتها ، ومكانتها بين العلوم ثم مالها من مكانة ذاتية وسنبدأ بها على الترتيب السابق .

* * *
* *
*

تمت طباعة هذا الكتاب سنة ١٣٧٠ هـ على مطبعة " السنة المحمديه " في خمسة أجزاء منفصله ولم يمض الا وقت قصير حتى نفدت الكمية المطبوعة ولقد كان الاقبال الشديد من القراء على اقتناء هذا الكتاب ، أكبر حافز على اعادة طبعه ، الا أن وفاة مؤلفه حالت دون ذلك فتولى هذه المهمة ابنه عبد الله الذى عقد العزم على أن يزود هذا السفر بخرائط جغرافيه تحدد المواضع الهامه التى يتناولها ، بجانب بعض الاضافات الأخرى ، الا أن ظروف دراسته آنذاك ، وطبيعة عمله بعد ذلك ، حالا بينه وبين ما يريد ، فوجد نفسه أمام اهتمام جلالة الملك فيصل ، والحاح القراء المتواصل ، وجد نفسه مضطرا الى اعادة طبعه كما هو ، فتمت طباعته الثانيه سنة ١٣٩٢ هـ .

وقد دمجت اجزاؤه الخمسة فى مجلدين تبلغ صفحاتهما ألف وثلاثمائة وثمانون صفحة من الحجم المتوسط ، ونحن لا نستغرب انتهاء الطبعة الأولى بهذه السرعه ، فالدراسة الموضوعيه ، والعناية الفائقة والبحث الميدانى جعلت هذا الكتاب تحفة ثمينه الاقناء ، يقول صاحبه ان ما ذكرته من المواضع كان نتيجة دراسة سنين طويله ، وقفت بنفسى عليها ، وراجعت معظم ما ورد فيها من شعر الشعراء ، وكلام العرب ، حتى اذا اطمأنت الى صحة تقديرى وتفسيرى وتطبيق ما ورد فى المعاجم والمعلقات وأشعار العرب ، ألفت كتابى صحيح الأخبار "(١)

وقد قدم لطبعته الأولى وراجعه ، وضبط بعض هوامشه ، وصنع فهارسه ، الشيخ " محمد محيى الدين عبد الحميد " وقد بين أغراض المؤلف من مؤلفه ، كما أبان عن تشرفه وسروره بمراجعة هذا الكتاب القيم ، يقول بهذا الصدد " وقد كان من سوالف الأقضيه أن رغب الى الاستاذ فى مراجعة هذا الكتاب ، والتوفر على تحقيقه ، فسرنى ذلك سرورا عظيما ، لأننى قدرت ما يمكن أن أدركه من فائدة اذا أنا تعرفت الى هذه الأماكن التى شغلت جزءا ليس بالقليل من نصوص الأدب العربى شعره ونثره " وقد اهتم الشيخ " محيى الدين " بهذا الكتاب ، وجدته

(١) صحيح الاخبار جـ ٣ ص ٢٧٠ ط (٢)

فى هذا المجال ، فلم يبخل عليه بوقته ، ولم يضن عليه براحته : " وجعلت لهذا الكتاب جزءا من وقتى أصرفه فى مراجعته ، ولكننى ما بدأت فيه حتى رأيتنى انصرف اليه . وأتفرغ له ، ورأيتنى لا اضن عليه بالانصراف التام اليه ، ذلك لأنه صادف منى رغبة فى دراسته . وحرصا على تحصيل فوائده ، ورأيتنى كلما ازددت ليه تعرفا ازددت به ولوعا وشغفا ، وكلما اقتنصت منه فائدة قابلتنى منه فوائد أعظم أثرا ، وأجل قدرا ، فلم أندم على وقت ضاع فى مراجعته (١) وكان الشيخ " محيى الدين " قد راجع ، وقدم لجزءين من الكتاب ، أما البقيه فلم تؤلف بعد ،فكان فى تقديمه يعتب على الشيخ ابن بليهد على اقتصاره الى هذا الحد ، مما دعا المؤلف الى اخراج ثلاثة أجزاء بعده .

دوافع التأليف : فى المقدمة التى وضعها الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد لكتابة صحيح الأخبار " شرح الأهداف التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب ، نستطيع تلخيصها فى النقاط الثلاث الآتيه :

الدافع الأول

فى سنة ١٩٤٥ سافر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، وكان حينذاك نائبا لوالده ووزيرا للخارجيه ، سافر الى امريكا لحضور مؤتمر "سان فرانسسكو" وهناك قابله جمع كبير من الأدباء العرب فى المهجر ، ولما وجدوا فى جلالته صفات العربى النبيل ، وحرصه الشديد على مفاخر العرب وأمجادهم ومآثرهم ، أبدو لجلالته ما يختلج فى نفوسهم ، من رغبة شديده ، لمعرفة ما ورد فى الشعر الجاهلى ، وخاصة فى شعر المعلقات ، من البلدان ، والجبال ، والمياه ، والرياض ، وغيرها ومعرفة ما هو باق منها على اسمه الأول ، وما اعتراه شئ من التغيير ، ففى هذه المعرفه ، مساعدة للأدباء المشتغلين بدراسة أولئك الشعراء

---

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١ طوا

الخالدة أشعارهم ، والباقية على الدهر أسماؤهم ، ويعلل ابن بليهد رغبة هؤلاء الأدباء بقوله ، ان دراسة البيئة الطبيعيه التى عاش فيها الشاعر ، أو الأديب ، أحد العوامل التى تعين على فهم شخصيته وعلى تلمس بعض دواعى القول الذى فاض على لسانه (١) بالاضافة الى ما يمكن معرفته من خصائص لغات القبائل ولهجاتها المختلفة ، لما فى ذلك من أهمية ، وفائدة كبيرتين ، لخدمة اللغة العربية وآدابها .

الدافع الثانى :

أن ابن بليهد رأى أن كثيرا من الأدباء والمؤرخين ، عند حديثهم عن مواضع فى جزيرة العرب يخطئون كثيرا ، فى تحديد تلك المواضع ، وهم معذورون فى ذلك ، لأنهم يعتمدون على المعاجم العربيه القديمه ، وهذه المعاجم - مع تقدير الشيخ ابن بليهد لمؤلفيها واعترافه بفضلهم - لا تخلوا من نقص ، ذلك أن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عن الجزيرة العربيه ، رأى العين ، ولكن ، من السماع ، أو النقل فقط ، الا أن ابن بليهد رحمه الله ، لم يطلق حكما عاما بالنقص ، فقد استثنى من هذه المصادر :

١) كتاب " مياه جزيرة العرب " للأصمعى ، وهو كتاب مخطوط .

٢) رسالة عرام بن الأصبع السلمى الأعرابى ، " جبال تهامه ومحالها " التى رواها عنه أبو الأشعث الكندى ، وقد نقل من هذه الرسالة البكرى فى : " معجم ما استعجم " كما نقل منها ياقوت الحموى شيئا كثيرا .

٣) كتاب ، محمد بن ادريس بن أبى حفصه اليمامى عن نجد ، وهذا الكتاب تدل النقول التى نقلها عنه ياقوت على تحقيق ومعرفة جيده ، الا أن ابن بليهد ، يذكر أنه لم يطلع على أصل هذا الكتاب ، ولم يعثر له على ذكر فى المكاتب .

---

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١ " المقدمه "

٤) كتاب " صفة جزيرة العرب " للهمدانى ، وهذا الكتاب مصدر مهم عن الجزيرة العربيه لاسيما فى الجهة الجنوبية منها .

أما بقية المعاجم العربيه ، كمعجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، فمع احترام الشيخ ابن بليهد لجهود مؤلفيها الا أنه يتحتم على الباحث التنبه فى النقل منها .

ويعجب ابن بليهد كثيرا لما وقع فيه أيضا بعض الباحثين فى الأدب العربى ، وتاريخ الحضاره العربيه من أخطاء نتيجة لثقتهم البالغه ، على ما يذكره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع ، وقد أورد رحمه الله بعض الأمثلة عن المصادر التاريخيه والأدبيه ، التى لم يسلم مؤلفوها من الوقوع فى بعض الأغلاط ، عند ذكر اسماء الأمكنه والديار ، فشعوره بالفجوة الكبيرة التى تخترق أسوار الأدب كان من أكبر الدوافع لنهج هذا السبيل الخطير فى طريقه ، والخطير فى أهميته ، يقول فى مقدمة كتابه : " وها أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب فى هذا الموضوع الخطير ، بعد أن توفرت على كتابته سنين طوالا ، وأرجو أن أكون بهذا العمل ، قد سددت خللا كان ينبغى أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل ، فأكون بذلك قد أسديت الى قومى اليد التى طالما تطلعوا الى من يسديها لهم[1] .

الدافع الثالث ـ

أما الدافع الثالث والأخير الذى حدا بالشيخ ابن بليهد ، الى تأليف هذا الكتاب ، فهو أن أناسا ، ممن ولعوا بحب العرب ، وحب لغتهم ما فتئوا يثيرون اهتمام ابن بليهد لهذا الموضوع ، ويشجعونه على البدء به ، وذكر منهم الأستاذ " رشدى ملحس " الذى أرسل كتابا الى الشيخ ابن بليهد ، يرجوا منه موافاته بما لديه من تحقيقات عن حدود الأماكن التى ورد ذكرها فى المعلقات العشر ، وتعريفها تعريفا وافيا

---

(٢) صحيح الأخبار ج ٣ " المقدمه "

وقد رأى الشيخ ابن بليهد أن يشرك القراء معه فى هذه الأبحاث الـــتى تهم كل دارس للأدب العربى ، وللشعر الجاهلى بوجه خاص.

وقد نشر فصولا من هذه الأبحاث فى جريدة البلاد السعوديـــه التى كانت تصدر فى مكة المكرمة ، وفى أثناء نشره لتلك الفصول ، وصلـــه كتاب من الاستاذ المرحوم " جميل المسلمى " المستشار للوزير المفـــوض للملكة السعودية فى لندن ، يفيده فى هذا الكتاب بقراءته للفصول الممتعه فى جريدة البلاد ، ويستحثه على مواصلة تلك البحوث ، حيث وقد عليـــه كثير من المستشرقين ، والأدباء العرب فى لندن ، وهم جميعا يتساءلـــون فيما اذا كان من الممكن جمع هذه الفصول فى كتاب مصنف ، كما يبـــدى استعداده فى المساهمة فى طبع كتاب على هذا النمط.

وبعد اكمال ابن بليهد لكتابة هذه الفصول تفضل وزير الماليـــه الشيخ "عبدالـــه بن سليمان " رحمه الله بطبعه على نفقته الخاصـــه ، فأسدى بذلك الى المؤلف ، والى المتطلعين لهذا الكتاب ، خدمـــه جليله .

ويذكر الاستاذ عبدالله بن بليهد ، بشأن الكتاب الآنف الذكـــر ، أنه لا يعرف عنه شيئا ، وأنه ربما أن الذى طبع منه كمية محدوده .

فمن خلال هذه الدوافع السابقة فاننا لا نشك فى ان مساهمـــة ابن بليهد رحمه الله فى هذا المجال ، انما هى من دوافع الغيره علـــى التراث ، واحياء لامجاد وتاريخ الآباء والأجداد .

* * *
* *
*

" نظرات في أجزاء هذا الكتاب "

من الصعوبه بمكان الاحاطه احاطة شامله ، بما حوته الأجـــزاء الخمسة من كتاب " صحيح الأخبار " من معلومات وفوائد جغرافيه وتاريخيــه وأدبيه جليلة ، الا أننا مع ذلك سوف نحاول القاء نظرات أو لمحات ولـــو كانت سريعه ، على كل جزء من ناحية موضوعه ، وأهم ما جاء فيه :

الجزء الأولـــــ :

يقع هذا الجزء فى مئتين واثنين وخمسين صفحة فى طبعته الثانيـه ، وقد بدأ المؤلف رحمه الله هذا الجزء ، بتصديره لذكر الأماكن الـــتى طاف بها أصحاب المعلقات ، فالعربى الأول لم يستوطن مكانا معينـــا ، بل كان ينتقل من موضوع لآخر ، تبعا لمواطن العشب ، ومنازل المطر .

والشاعر بوجه خاص كثير التنقل والترحال بين أجزاء الأرض ، فهـــو يفد على الملوك والأمراء وسادات القبائل ، يمدحهم فى شعره ويستجديهم .

وهذا الجزء — كما أشرنا سابقا — هو لبيان المواضع الواردة فـــى المعلقات العشر ، ولذلك فان الشيخ البليهد ، مهد لهذا الجزء بإلمالة سريعه ، لأصحاب المعلقات ، وعن منازلهم والمواطن التى طافوا بهـــا فى حياتهم ، وهم .

(١) أمرئ القيس : وهو من اليمن ، وقد ورد فى شعره كثير من أسماء الأماكن فى أنحاء الجزيرة ، فذكر ، حمونى ، وعندل ، فـــى حضرموت ، ومواضع أخرى فى شمال نجد وجنوبها ، كالدخـــول ، وحومل ، وتوضح ، والمقراة .

وقد نبه ابن بليهد الى خطأ وقع وفيه بعض الباحثين المعتقدين بأن بلد الشاعر امرئ القيس هو " مراة " وأثبت بأن هذا غـــير صحيح ، ذلك أن اسم امرئ القيس شائع فى العصر الجاهلـــى فمراة ، تنسب الى امرئ القيس بن زيد فتاة بن تميم ، وتميم هـــم سكان الوشم فى العهد القديم .

٢) زهير بن أبي سلمى المزنى : ولد فى بلاد قومه "مزينه" من نواحى المدينة ، الا أنه نشأ فى بلاد بنى غطفان الممتد من القصيم الى قرب المدينه ، وورد فى شعر زهير أسماء مواضع فى نجد مثل : عمار ، نخل ، الرس ، القصيم ، المتثلم والرقمتان .

٣) طرفه بن العبد البكرى : ولد طرفه فى بلاد بنى ربيعه ، فى شمال الجزيرة من العراق الى خيبر ، وقد ذكر فى معلقته أسماء لأماكن كثيرة متباعده فى الجزيرة ، فذكر ، دجلة فى مشرق الجزيرة وحومل فى غربها و" ددد " فى نواحى البحرين وغيرها .

٤) لبيد بن ربيعه العامرى : وقد ولد فى عالية نجد ، وتجول فيها كثيرا فى جاهليته وبعد اسلامه وجاء ذكر لأماكن كثيرة فى أشعاره مثل : منى ، رجام ، تدوم ، شعب جبله ، وبيشه وتباله ، فى جنوب الحجاز .

٥) عمرو بن كلثوم التغلبى : ولد فى بلاد قومه بنى تغلب فى شمال الجزيرة فى منازل بنى ربيعه ، وتجول فى نجد والشام والعراق ، فورد فى شعره مواطن كثيرة منها على سبيل المثال : دمشق ، بعلبك ، قاصرين كما ذكر اليمامه ، وذكر خزاز فى عاليه نجد وغيرها .

٦) عنترة بن شداد العبسى ، ولد عنترة فى بلاد غطفان ، وورد فى معلقته كثير من الأماكن مثل "الجواء" غربى القصيم ، والصمان شرقى الدهناء ، والمتثلم ، وعنيزتين ، كما ذكر الديلم التى تعرف الآن بالدلم .

٧) الحارث بن حلزه الشكرى : ولد فى بلاد بنى قومه "شكر" فى بلاد ربيعه ، وتجول فى انحاء نجد ، وفى بلاد طئ ، وبلاد بنى أسد ، وبلاد غطفان . وقد ورد فى معلقته كثير من المواطن كرياض القطا والعقيق والبحرين والحسا ، وغيرها .

٨) الأعشى ميمون بن قيس : وقد ولد في " منفوحه " القريبة من مدينة الرياض حاليا ، وطاف كثيرا في أنحاء الجزيرة ، فوفد على ملوك نجران ، بني عبد المدان ، كما وفد على الغساسنه بالشام ، واللخميين بالعراق ، كما وفد على رسول الله (ص) ولهذا فقد جاء في معلقته أسماء عديده لأماكن في الجزيرة وفي خارجها مثل " الخورنق " وهو قصر في اليمن لكنده ، و" ضرغد " من قرى الشام ، كما ذكر نسار من أوديه اليمامه .

٩) النابغة الذبياني ، ولد النابغه في بلاد غطفان ، وتنقل في أرجاء الجزيرة كما وفد على اللخميين وبعد ذلك وفد على الغساسنه ، فذكر في أشعاره : الجليل في الشام " جبال قرب مدينة حمص السورية " كما ذكر تدمر ، وجلق ، وذكر توضح في عالية نجد الجنوبيه ، وتسمى الآن " التوضيحات " وتبره ، ووبره وهما في شرق الصمان .

١٠) عبيد بن الأبرص الأسدي : ولد في بلاد قومه بني أسد ، وقد ذكر الذنوب ، بالقرب من الدفينة .. وكثير من الأماكن والجبال ..

هذا وقد جعل المؤلف ـ رحمه الله ـ الجزء الأول من كتاب ".. صحيح الأخبار " للحديث عن المعلقات الثمان من المعلقات العربيه ، وطريقته ، هي أن يتناول قصيدة كل شاعر على حده على شكل بيتين أو أربعة أبيات ، ثم يفصل ما ورد في هذه الأبيات من أماكن ، من عدة نواحي : من ناحية اسم المكان وتحديده وهل تغير اسمه أم هو باق عليه ، ومن ناحية ما قال عنه أصحاب المعاجم وما قيل حوله من أشعار ، وما جرى فيه من أحداث . وقد أورد في هذا الجزء عددا كبيرا من المدن والقرى والجبال والمياه المنتشره في أرجاء الجزيرة العربيه ، حيث أوضح كثيرا من المعالم لتلك المواضع .

الجزء الثاني :

يقع هذا الجزء في مئتين وعشرين صفحـــه .

والقسم الأول من الجزء الثاني لصحيح الأخبار ، جعله المؤلـــف تكملة ، للجزء الأول ، حيث أورد المعلقتين الباقيتين التاسعة والعاشـــره وهمـــا : -

١) معلقة النابغة الذبيانـــي .

٢) معلقة عبيد بن الأبـــرص.

وقد تناول ذكر الأماكن الوارده في هاتين المعلقتين كما اتبعـــه في الجزء الأول من الكتاب على أن هذا الجزء بالاضافة الى ذلك ، لا يخلـــو من فوائد مختلفه ، فقد تطرق المؤلف فيه الى ذكر المعادن والأمـــــلاح والمياه العذبه في جزيرة العرب.

أما القسم الثاني من الجزء الثاني ، فقد خصصه لذكر أماكـــــن وردت في غير المعلقات لمجموعة من الشعراء ، مثل الحطيئه ، الذى أورد لـــه البيتين اللذين يستعطف بهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه عندما سجنه ، وهما :

ماذا تقول لأفراخ بذى مـــــــرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجـــر

القيت كاسبهم في قعر مظلمـــــــة
فاغفر فداك جميع الناس ياعمـــر

وقد حدد " مرخ " بأنه واد في نجد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من " الزلفى " قريب روضه السبله ، وقريب نفود الضويحى . الا أن ابـــن بليهد يذكر موضعا آخر يقال له " مرخ " وهو واد عظيم بين المدينـــة وفدك ، ويعتقد ابن بليهد بأن هذا الوادى الحجازى هو الذى عنـــاه الحطيئة في شعره لأنه سجن في المدينه ، وربما كانت فراخه قريبة منـــه

كما أورد ابن بليهد أبياتا لعدد من الشعراء مثل " عروة بن الورد ، وأبى ذؤيب الهذلى ، وذى الرمه ، وجرير ، ولغيرهم . وذكر مجموعة من المعارك التى حدثت فى الأماكن التى يتعرض لها ، وبعض القصص الشخصية التى جرت له أثناء تجواله فى دراسته الميدانية فى نجد وغيرها . بعد ذلك بدأ فى ذكر ما بين جده والرياض من الأماكن التى يمر بها السالك عبر هذا الطريق الطويل ، وقد ألف الاستاذ الشيخ عبدالله بن خميس كتابا يتناول نفس الموضوع وقد أسماه " المجازبين اليمامة والحجاز " ويمضى ابن بليهد فى تفصيله لهذا الموضوع ، فيسوق مجموعة من الاشعار العربيه التى تتناول تلك الأماكن التى يمر بها .

وقد تحدث ابن بليهد فى هتامه لهذا الجزء عن سوق " عكاظ" وقد أفرد له مقاله نشرها الدكتور عبدالوهاب عزام فى كتابه " موقع عكاظ" وسنتطرق لها بعد نهاية نظراتنا فى هذا الكتاب .

وفى آخر هذا الجزء فهرس لجميع الأماكن والأوديه والجبال الوارده فى الجزئين الأول والثانى .

الجزء الثالث :
========

ويقع فى ثلاث مئه وسبع من الصفحات . وقد كان الشيخ محمد بن بليهد ينوى الاكتفاء بما ألفه من كتابه " صحيح الأخبار .. " بالجزئين الأول والثانى ، الا أن الاستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد ، الذى راجع هذين الجزئين ، وكتب مقدمة فى الجزء الاول ، عتب على الشيخ البليهد اقتصاره على ذلك المقدار من الأماكن التى بين مواقعها الجغرافيه العديده الواردة فى أشعار العرب ، كذلك فانه بعد صدور الجزء الأول من صحيح الأخبار قوبل بترحاب كبير من أدباء الجزيرة العربيه والشام والعراق وغيرها من البلاد العربيه الذين كتبوا اليه يشكرونه على جهده العلمى العظيم ، ويشجعونه كما يطلبون منه الاستزاده من هذا الانتاج .

لذلك كله ، ولولوعه بالعربيه ، رأى الشيخ البليهد رحمه الله أن يؤدى ما فى استطاعته لخدمتها .

أما بالنسبة لمنهجه فى الجزء الثالث ، فقد لاحظ أن أصحاب المعاجم يخطئون كثيرا عند حديثهم عن بعض الأماكن فى جزيرة العرب معتمدين على الظن والتوهم والنقل ، ولهذا فان ابن بليهد عزم على أن يصحح الأماكن الجغرافيه التى لم يصب فى تحديدها أو ضبطها أصحاب المعاجم من الجغرافيين ، وهذا ما فعله فى كتابه هذا حيث نبه فى كل مكان أورده على ما قاله عنه واضعوا المعاجم معتمدا فى ذلك على دراسته الميدانيه الطويله أو على المعلومات الموثوقه التى يسمعها من أناس زاروا المكان .

وقد ضمن هذا الجزء كثيرا من الأماكن والقرى والأوديه والجبال والمياه ، وغيرها التى حققها وصححها وبيّن شيئا من معالمها الجغرافيه وأورد الأشعار التى قيلت فيها .

كما ضمن الجزء الثالث ردا طويلا على مقال نشره الاستاذ خالد الفرج فى مجلة الحج ، عدد ١٢ لشهر جماد الثانيه ١٣٧١ هـ ، وقد قدم الفرج لمقاله بمدح لكتاب " صحيح الأخبار .. " ولمؤلفه . ثم انتقل الى الحديث عن بعض النقاط الوارده فى الكتاب ، والتى رأى أنها تحتاج لمزيد من التعليق والتحقيق والبيان ، وقد رد الشيخ ابن بليهد على الناقد فقرة فقره مؤكدا أنه لم يستند الى دلائل تاريخيه صحيحه تؤيده فى نقده .

وقد كانت هناك أيضا بين الشيخ محمد بن بليهد والشيخ حمد الجاسر اختلافات فى وجهات النظر ، فقد كان الاستاذ الجاسر ينشر مقالات فى جريدة " البلاد السعوديه " ينتقد فيها كتاب " صحيح الأخبار " وفى هذا الجزء " الثالث " أثبت الشيخ البليهد رده على حمد الجاسر فى كل مآخذه التى أوردها على الكتاب وأنه لم يصب فى أى نقد وجهه له ، ذلك أن الشيخ محمد بن بليهد ، يوضح أن كل ما ذكره من المواضع والبقاع كان نتيجة جهد دراسة سنين

طويله ، وقف عليها المؤلف بنفسه ، وأورد معظم ما قيل فيها من الأشعار وكلام العرب ، وبعد ذلك يدأ فى عرض نماذج من الانتقادات التى وجهها الشيخ الجاسر فى مقالاته ورده عليها ، مثبتا كل ما يورده بالأدلة والبراهين المقنعه .

الجزآن الرابع والخامس : ويقعان فى ستمائه " ٦٠٠ " صفحة ، وهذان الجزآن يعتبران فى الحقيقة مكملين للجزء الثالث ، حيث ناقش فيهما المؤلف عددا كبيرا من المياه والجبال والتلال ، والوديان ، والبلدان العامرة والغامرة ... التى أخطأ فى جغرافيتها العالمان ياقوت الحموى والبكرى فى معجميهما ، فقد كان البكرى رحمه الله بالاضافة الى هذا ، يشتت ذهن القارئ ، فمثلا عند حديثه عن موضع من المواضع يقول : قد مضى الكلام عليه فى رسم كذا وكذا ، ولو أن بين الموضعين مسافة بعيده ، ولذلك فان ابن بليهد عمل ما فى وسعه لتصحيح ما وقع فيه اصحاب المعاجم من أغلاط ، وبتبويب مواضعه تبويبا دقيقا ، وهذا الهدف ، هو من الأهداف الرئيسيه التى دعت الشيخ البليهد لتأليف كتابه " صحيح الأخبار " ..

ثم يسوق الشيخ محمد بن بليهد نماذج عديده لما وقع فيه مؤلفوا المعاجم العربيه من الأغلاط فى تحديد المواقع الجغرافيه فى جزيرة العرب ، وبجانبها يضع رأيه مثبتا ذلك بالشواهد الحسيه والشعريه

" صحيح الأخبار ... مكانته وأهميته "

لا شك أن كتاب صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار بأجزائه الخمسه ، يعتبر موسوعة ، أو دائرة معارف جغرافية ، وتاريخية وأدبيه ، عن شبه جزيرة العرب ، وقد قضى مؤلفه سنين طويله باحثا ، ودارسا ، ومحققا ، لا يعرف الكلل والملل فى سبيل اخراج هذا السفر القيم ، والمرجع المعتمد ، فكان أول كتاب من نوعه ، يركن اليه الباحث ، ويطمئن اليه المحقق ، وهو وان نحا فيه غير منحى أهل المعاجم فى الترتيب والتبويب ، ولم يقصد به استقصاء جميع الأمكنة ، وابراز كل

ما ورد فى كتب الأوائل من معالم وآثار للعرب ، فى شعرهم ونثرهـــــم ، بل عمد الى بعض ما فى شعر مشاهير الشعراء الجاهليين ، من ذكـــــر للأمكنة وتحدث عن الأطلال والدمن ، فهو وان تحلا هذا المنحى ، واقتصـــر على هذا المقدار ، فلقد أبدع أيما ابداع ، وسد ثغرة كانت هواء بالأســـس ووضع أسا متينا لمن أراد البناء والاشاده . وتبرز أهميته من النواحـــــى الجغرافية ، والتاريخيه ، والأدبيه .

فمن الناحيه الجغرافية : فالكتاب يعد مرجعا لعدد كبير جـــدا من أسماء المواضع والبلاد الواردة على ألسنة الشعراء الجاهليـــــين والاسلاميين ، وهو بالاضافة الى ذلك ، محاولة جادة لتصحيح الأخطـــاء والأغلاط التى وقع فيها مؤلفوا المعاجم العربية القديمه ، فى تحديـــــد المعالم الجغرافية لمجموعة من الأماكن والبقاع فى شعر الشعراء ، هـــذه الأخطاء ناتجه من أن أصحاب هذه المعاجم ليسو من الجزيـرة والعربيـــه وانما يكتفون بالسماع والنقل ، دون المشاهده ، لذلك فان صحيح الأخبار ، يعتبر مصدرا موثوقا ، لأن مؤلفه أمضى ردحا طويلا من الزمن فـــــى الدراسة الميدانيه لأرجاء الجزيرة العربية المترامية الأطراف ، وتسجيـــــل الأخبار الصحيحه الموثوقه عن بعض الأمكنه التى لم يشاهدها ، يقـــول الشيخ ابن بليهد : " وهكذا قدر على أن أقضى أربعين عاما فـــــى قلب جزيرة العرب ــ أى فى نجد ــ كما قضيت سنين من تلك الأربعـــين أطوف الآفاق فى الحجاز ونجد .. وغيرها من البلدان والأقطار"(١) .

ان كثيرا من الجغرافيين ، والمؤلفين ، والباحثين عن الأدب ــ وتاريخه ، يجعلون صحيح الأخبار فى مقدمة المراجع فى أبحاثهم ، فهـــو بحق " اسم على مسمى " ولا شك أن الفهارس الموضوعه فى آخر كل جـــزء من الأمكنة والبقاع والأودية والجبال والمياه ، تيسر للباحث وللقارئ الرجوع بسهولة الى اسم أى موضع يود الاطلاع عليه ، فهذه المواضع مرتبـــــة

---

(١) صحيح الأخبار ــ جـ ٤ " المقدمه "

حسب الحروف الهجائيه للأمكنة الوارده فى كل جزء .

أما من الناحية التاريخيه : فالكتاب يعد مصدرا من المصادر التاريخية المعتمده للجزيرة العربية لأن المؤلف عندما يتحدث عن كثير من الأمكنة يذكر الأحداث ، والوقائع التاريخيه القديمه والحديثه ، التى لها علاقة مباشره بالمكان ، كما أنه يشير فى كثير من الأحيان الى المواضع التى كان لها ذكر فى التاريخ ثم اندرست ، كما يتعرض الى بعض الأحداث التى جرت عليه فى أى وقت من الأزمان ، كما يتحدث عن طباعهم وعاداتهم ، كما أنه يمكن الاستفاده من الكتاب فى دراسة تاريخ الدولة السعودية الحديثه لصلة المؤلف بعدد من زعمائها ورجالها ، وعلى رأسهم جلالة الملك عبد العزيز .

ومن الوجهة الأدبيه : فان صحيح الأخبار قد ملأ فراغا كبيرا كانت المكتبة العربيه الأدبية ، بأمس الحاجة اليه والى أمثاله من الكتب والمصادر التى تعنى بدراسة الأحوال والظروف الجغرافية التى أحاطت بكبار الشعراء العرب ، جاهليين واسلاميين ، وكذلك تحقيق ودراسة وتحديد المواضع الجغرافية الوارده فى أشعارهم ، وقد أسدى المؤلف رحمه الله ، بعمله هذا ، خدمة جليلة لكل باحث فى الشعر العربى أو متذوق له .

تلك بعض النواحى الرئيسية التى نستقيها من قراءة صحيح الأخبار تناولناها بايجاز شديد مع أن الكتاب يحتوى بالاضافة الى تلك النواحى أصنافا من العلوم والقصص واللهجات وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها .

* * *
* *
*

مقالـــه فى تحديـــــــد

" سوق عكـــاظ "

يعتبر موضع هذا السوق من الأمور التي شغلت بال كثير من المؤرخين والأدباء والجغرافيين في القديم والحديث ، وقد أسدى ابن بليهد لهؤلاء يدا بتحديده هذا السوق تحديدا قاطعا ففي كتاب " موضع عكاظ " للدكتور عبدالوهاب عزام ، مقالان يتناولان بالشرح والتفصيل تحديد سوق عكاظ وهما :

١) المقال الأول ، للشيخ محمد بن بليهد

٢) المقال الثاني ، للشيخ حمد الجاسر

وقد اجتمع للشيخ محمد بن بليهد نقولا وأدلة ، لا تدع شكا في أن هذا الموضع كان هو مجتمع العرب في السوق التي ذاع ذكرها ، وطارحيتها " سوق عكاظ " يقول في طريقة تحديده لهذا السوق : " .. فمازلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم التي أظن أني أجده فيها ، فاذا وجد تعبارة قريبة من الصواب ، عرفت موضعها من الكتاب ، وصنتها في حافظتي ، حتى اذا أكتملت لدى الدلائل الواضحه - ولله الحمد والمنه - عزمت على تطبيقها على الطبيعه ، وتحديد موقع سوق عكاظ "(١) .

وقد بدأ هذه المقاله ، بتبيين موضعه ، وحدوده ، ثم بداية اندراسه من سنه ١٢٩ هـ عندما ظهر الخوارج الحروريه مع المختار بن عوف بمكة ، فما زال يقلص ظلها شهرا بعد شهر وعاما بعد عام حتى اندرس اسمه ، وعمى عن الأبصار رسمه .

وقد خطأ بعض أقوال أهل المعاجم الذين اختلفوا في تبين موقعه ، لعدم استنادهم على شئ يثبت ذلك ، - على حسب رأيه - ثم بين أن تحديده هذا صحيح ، وثابت لاعتماده على أمرين :

الأول :

مشاهدة العيان التي وضعته في الموضع الصحيح لهذا السوق ، مطبقا ما قيل فيها من أشعار ، ومستدلا بما سمع عنه من أخبار ، وهو لا يستسيغ

---

(١) صحيح الأخبار : جـ ٢ ص ١١ .

أى قول أو رأى خال من الحجة والدليل ، يقول فى هذا الصدد "كان يقول لى من سألت من أدباء الحجاز : انه السيل الصغير ، وكنت أسألهم : هل عندكم دليل واضح ؟ فيقولون : لا " عندئذ عرف التباسه على الأذهان ، وغموضه عن الأعيان ، فبحث عنه بحثا ميدانيا دقيقا .

الثانى :

استناده على خمسة أسانيد صحيحه .

أولا : ما ذكره أحمد الوراعى اليمانى فى أرجوزة له ، رسم فيها طريق مكة من صنعاء وقد ذكرها الهمدانى فى آخر كتابه " صفة جزيرة العرب "

ثانيا : ما ذكره "عرام بن الأصبغ السلمى "

ثالثا : ماذكره الأصمعى فى "معجم البلدان .

رابعا : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه أيام العرب .

خامسا : قول للكميت بن زيد الأسدى .

وتبرز أهمية هذا المقاله ، للشيخ محمد بن بليهد لأمرين :

الأول : الألتباس فى معرفة مكان هذا السوق ، بل الغموض الذى يكتنفه ، فالنفس تشتاق لمعرفة ذلك المكان الذى طالما حضى بشدو الشعراء وفصاحة الفصحاء .

الثانى : المده الطويله التى قضاها فى التحقيق للتأكد من موقع هذه السوق ، وتلك المده التى دامت أربعة عشر عاما ، وما لاقاه خلالها من متاعب وصعوبات ، يقول الشيخ فى ذلك :

" وليس يعلم الا الله تعالى كم بذلت من جهد وعانيت من متاعب فى سبيل البحث عن موضع سوق عكاظ ، والاستدلال على موضعه (١)

لقد ظل الشيخ محمد بن بليهد مدة طويله فى سبيل البحث عن هذا السوق وتحقيقه ، استمرت من سنه ١٣٥٥ هـ وانتهى منه فى شوال سنة

(١) موقع عكاظ - د / عبد الوهاب عزام ص ١٨

١٣٦٩ هـ حيث حدده بالدلائل والأسانيد ، ووقف بنفسه على المكــــان ، حيث بذل المؤلف ـ رحمه الله ـ جهدا كبيرا فى سبيل تحديده تحديـدا دقيقا حتى ثبت له موضعه يقول فى هذا الشأن : " ثبت عندى أن موضعـه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلو مترات تقريبا من الجهة الشرقيـة منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلوا ، وذلك عند المكان الذى يلتقـى فيه الواديان : وادى شرب ، ووادى الأخيضر ، شرقيه ماء يقال لـه المبعوث ، عند الحرة السوداء ، وجنوبيه أكمة بيضاء ، يقال لها العبـلاء من العهد الجاهلى الى هذا العهد ، وشماليه هو الفاصل بين وادى شرب ووادى قران ، المعروفين بهذين الأسمين الى هذا العهد "(١)

وقد نشر الدكتور عبد الوهاب عزام هذه المقالة فى كتابه " موقـع عكاض" ، كما نشر هذا المقال فى مجلة " المنهل " وكانت آنذاك تصـدر فى مكة المكرمة . فى عدد شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٩ هـ .

فكان ابن بليهد أول من حدد مكان سوق "عكاض" وان كان الشيخ حمد الجاسر لا يسلم له بذلك والله اعلم

---

(١) موقع عكاضـ د / عبد الوهاب عزام ص ٢٤

* * *
* *
*

" ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكنتة وبقاعـــــــه "

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا ، ويدور مادته حول كثير من الأماكن والبقاع في الجزيرة العربيه تتشابه في أسمائها ، وأمكنتها ، مع ايراد ما قيل فيها من أشعار.

وهذا الكتاب المخطوط والذي يقع في ١٩٤ صفحة ، من الحجم المتوسط ، يعتبر فتحا جديدا في عالم التأليف ، ومفتاحا لأبواب طالما استغلقت على الباحثين أزمانا طويله .

ويذكر الأستاذ عبدالله البليهد أحد أبناء المرحوم الشيخ محمد بن بليهد ، أنه سوف يسعى الى طبع الكتاب المذكور ، بعد أن قدم له الأديب عبدالله بن خميس ، بمقدمة أشاد فيها بهذا العمل الهام ، والمضي بعد أن بين أهميته للباحثين والدارسين والكتاب .

وقد ذكر لي ابنه عبدالله ، أنه هو الذي كتب هذا المخطوط باملاء والده ، بعد أن أعجزه المرض ، الذي حال دون طباعته ، فقد ذكر الشيخ محمد بن بليهد في تقديمه لكتابه ، أسباب عدم طبعه في ذلك الوقت فقال : وقد استأذنت من ولي العهد سمو الأمير فيصل في السفر الى مصر ، فقال لي : ما السبب ؟ فقلت له : لطبع كتابي " ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكنته وبقاعه " والجزء السادس من صحيح الأخبار فقال لي حفظه الله أنت رجل مريض ، ويصعب عليك السفر ، وأني سآمر بطبعه على حسابي في مؤسسة الطبع بجده "(١) .

أهميتـــــه :

أما أهميته فتبرز حينما نعلم أن الشراح والباحثين والمؤرخين والكتاب ، وغيرهم ، حينما يصطدم أحدهم باسم جبل أو واد أو ماء ، أو روضة . أو أرض في جزيرة العرب ، يقتضيه أسلوب البحث ، وتتطلب منه ضرورة المقام ، أن يحدد موقعه ، ويبين علاماته ، ويحده وقربه بالمسافات والأرقام ، وما أظن أحدا يجهل أن هؤلاء يأخذهم الارتباك ، وتستولي عليهم الحيره ، ويلتفتون الى مرجع صحيح يبل الصدى ، ويروى

(١) مقدمة كتابه المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت امكنته وبقاعه .

ويروى الغليل ، فينقلب طرفهم خاسئا وهو حسير ، ونحن لا ننكر أن هناك كتبا ألفت فى هذا الميدان ، كمعجم البلدان ، لياقوت الحموى وصفة جزيرة العرب ، للهمدانى ، ومعجم ما استعجم للبكرى وغيرها ، الا أنها على جلالة قدر مؤلفيها لا تروى ظمأ العطشان ، ولا تأخذ بيد الحائر ، فلو تناولنا كتابا فى التاريخ أو فى المغازى فأردت أن تحقق ما حدث أو تضع فيه بحثا أو كان له مرادف أو أكثر ، وتريد تعيينه وتحديده ، أو أردت أن تعرف الأمكنة التى قيلت فى تلك القصيده ، ثم رجعت الى مثل تلك الكتب السابقة ، لوجدتاهم يقولون : اسم جبل ، أو واد أو ماء فى جزيرة العرب ، وربما أفاضوا فى تعريفه ، ولكن قلما يحالفهم التوفيق ، فربما يسمون الجبل ماء ، والماء واديا ، والوادى كثيبا ، أو بالعكس ، وربما يكون جبلا فى مكان ، وواديا فى مكان آخر ، وربما يقصد به فى بيت الشعر مكان فى الحجاز ، ويطلقه هؤلاء ، على مكان فى نجد ، وهكذا يكون الحكم فى هذا العلم مبنيا على الحدس ، والتخمين ، مما لا تطمئن اليه نفس الباحث ، ولا يرتضيه المحقق .

وهذا الشك الذى أوردناه يرجع الى أن الذين باشروا التأليف فى ذلك الوقت ، ليسوا من صميم الجزيرة بل ولم يستوطنوها ، وكل ما هنالك ، أنهم يتتبعون الأخبار من أعراب الباديه ، أو يعبرون الجزيرة عبورا سطحيا من بعض جوانبها ، مما لا يمكن أن يبنى عليه تأليف موضوعى ، واذا أضفنا الى هذا أن الجزيرة العربيه فى الوقت الذى ألفت فيه هذه الكتب ، يعتبر سلوك الطريق فيها ، والانتقال بين مدنها ، مجازفة بالحياة ، ومغامرة ، لا يركبها الا المغامرون بأنفسهم ، لعدم استتباب الأمن فيها ، وللفوضى الضاربه بأطنابها فى كل صقع منها ، فما بالك بالبرارى والفلوات فعلى هذا لو كان المؤلف من صميم جزيرة العرب ، فانه لا يستطيع الاحاطه ولو بجزء يسير فى هذا الشأن ولقد أخذت الغيرة علما من أعلام الجزيرة فى الأدب والتاريخ والروايه ، هو العلامه " محمد ابن بليهد " فتصدى لهذه المهمه ، بهمة ثابته وحزم لا يعرف الكلل والملل ، فبعد أن انتهى المؤلف من كتابه " صحيح الأخبار .. " وجد

أنه لا يزال هناك مكان شافر ، وفتق يحتاج الى رتق ، فمهلك أدركت أن جبلا من الجبال يقع فى مكان ما من الجزيرة ، وهناك جبل آخر يحمل هذا الاسم ، ولكنه يبعد عن الأول مسافات طوالا ، وربما يوجد ثالث ورابع ، وربما يكون هذا الاسم يطلق على ماء والآخر على واد والثالث على روضه ، وأنت تريد كباحث أن تقف على حقيقته ، وتشخصه بعينه ، فكيف تعثر عليه ، وتعلم أن هذا الشاعر قصد هذا الجبل نفسه ، أو هذا الماء عينه ، أو ذلك الكتيب ذاته .

أو هبك لا تعلم أن هناك اسما فى جزيرة العرب ، يطلق على غير هذا المحل ، بعد أن وقع عليه نظرك فى " صحيح الأخبار " أو غيره ، ثم عدت تحكم أن الشاعر أو الخطيب .. أو غيرهم ، قصد هذا المكان بعينه ، بينما هو يقصد المكان الآخر الذى دون فى نفس مرجعك الذى رجعت اليه ، ولكنك لم تهتد اليه ، فكيف تكون النتيجة حينذاك ؟ انها - أيضا - مشكله ".

ولكن لم يفتأ خريت الجزيرة " ابن بليهد " يبحث ، وينقب ، حتى حلها بكتابه هذا " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ".

يقول رحمه الله ، فى تقديمه لهذا الكتاب ، مبينا أهدافه من ورائه " محلات تشابهت أسماؤها أو تعددت أعلامها ، ودنت ديارها أوشط مزارها ، وذكرت وهادها ونجادها ، وعيونها ، وغدرانها ، وبيدها وسهولها .. ، وجاءت ألفاظها فى شعر الشعراء أو خطب الخطباء ، أو مؤلفات الأدباء أو كتب المؤرخين ، وقد لمست الحاجة الماسه ، الى اثبات ذلك فى كتاب خاص ، فخشيه اختلاط الأسماء على الباحثين ، وتشابهها على المنقبين ، من محدثين وضالعين ، ورواة ومحدثين فقد يجد أحدهم اسما واحدا يقابله فى فنه وعلمه ، وقد يطلق على هذا الاسم نفسه على غيره مما يشاركه فى الاسم ، لا سيما وكثير من كتب المعاجم لم تحدد مواقع أكثر هذه الأسماء تماما ان لم تكن أهملتها اهمالا (١)

---

(١) مقدمه كتابه " ما تقارب سماعه .."

منهجه فى هذا الكتاب :

أما طريقته ومنهجه فى هذا المؤلف ، فهى أن يجمع ما يندرج تحت اسم واحد ، وما ينضوى تحت مادته فى ترجمة واحده ، فيسرد هذه الأسماء تباعا ، فما توافق فى الحروف جميعها ، يضمه ثم يرمز اليه بالرقم الذى يبين عدد الأمكنة التى يحملها هذا الاسم ، وما اختلفت حروفه مع كونه من مادته ، يضمه بعينه ، ثم يأخذ فى تفصيل كل مكان على حده مبينا أن هذا المكان ، فى ديار الهذليين مثلا ، ووقع فيه من الحوادث ما هو كذا ، وقيل فيه من الأشعار كذا ، وأن هذا الماء مثلا فى ديار بنى غطفان وفيه يقول الشاعر كذا ، ويبعد عن المكان كذا .

وقد ذكر ابن بليهد طريقته فى ترتيب وتبويب مؤلفه هذا فقال : يعلم القارئ لهذا الكتاب ، أننى لم أرتبه على حروف الهجاء ، ولكننى رتبته على المتشابه من الأسماء ، فالأكثر بالأكثر ، أولها عشرون موضعا ، وآخرها ثلاثة مواضع ، وأما الشواهد والأشعار العربيه فهى دليل على تقدم هذا الاسم فى الوجود ، وبقائه على اسمه الى عهدنا هذا (١) .

هذا وابن بليهد ، لم يشأ أن يترك نزعته الأدبيه ، ويهجر طرفه ، ونوادره ، وقصصه الممتعه الجميله ، والا لكان الكتاب علميا بحتا ، وربما كان مدعاة لسأم قارئيه ، ولكنك لا تلبث ، وأنت تقرأ الكتاب ، حتى يدخل عليك الأدب بأنفاسه الشديه ، وعطره الفواح فيختال عليك باقة من زهر الربيع ، فهذه قصة طريفه ، وتلك قصيده رقيقه ، وهذه نادره عجيبه ، مما يجعلك تلتهم الكتاب من غير ملل ولا كسل ، خاصة اذا عرفنا الجهد المضنى الذى بذله المؤلف ، وارهاقه نفسه ، ليخرج هذا الكتاب ، موضوعيا على حساب صحته ، وشيخوخته يقول فى تقديمه لهذا الكتاب " ونحن الآن فى زمان يجرى فيه العلم وراء الصواب ، ولا يستسيغ منه الا الحق

(١) مقدمه كتابه " ما تقارب سماعه .. "

واليقين ، وما خفف على هذا المجهود الجبار ، وقد اشتعل الرأس شيبـــا ، وبلغت من الكبر عتيا ، ولا زملى العرش ، ناسيا كل هذا مضحيا براحـــتى _ الا احقاقا " للحق وخدمة للعلم(١) وبما أن هذا الكتاب لا يزال _ مخطوطـا فقد ارتأيت أن أورد نموذجا لما يحويه هذا الكتاب أهميته من خلال طريقتـــه هذه : قال في الصفحة الخامسة والثلاثين .

٩ _ مواضع :

حجر _ ثلاثة مواضع ، الحجرة _ موضعين ، الحجران ، الحجـــره ، الحاجر ، الحجرة .

قال المؤلف : " حجر " . ثلاثة مواضع :

الأول منها : هو حجر اليمامـه ، بفتح الحاء ، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي :

كأن حدوج الحي حين تحملـــــوا
حدائق يوم القادسية أو حَجْـــــر

وحَجْر هذا معروف بهذا الاسم الى هذا العهد ، فهو الرياض .

الثاني : الحجر ، المعروف قريب الحناكي ، وهذا الموضع هو الـــذى يقول فيه الشاعر :

فياليت شعرى هل تغير بعدنـــــا
أروم وآرام وشابة والحضـــــــر

فهل تركت ابلى سواد جبالهـــــا
وهل زال بعدى عن ثنيته الحجـــر

---

(١) مقدمة كتابه " ما تقارب سماعه " .

وهو معروف بهذا الاسم الى هذا العهد .

الثالث : هو منزل قوم صالح ، وفيه بئر الناقه ، معروفة الى هذا العهد ، وقد نزل فيه قرآن كريم وهو على هذه الشاكله ، يسير فى كتابه هذا ، يستعرض الأماكن المتقاربة أو المتشابهة فى أسمائها ثم يبين عن تباين أماكنها ، جاعلا من الأشعار العربيه ، دليلا على وجود هذه الأماكن .

***
***
*

" نشر وتحقيق كتاب ، صفة جزيرة العـــــــــرب "

" للهمـــــــــــــداني "

قام ابن بليهد بنشر هذا الكتاب وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعه ، وهذا الكتاب مصدر تاريخى وجغرافى قيم عن الجزيرة العربية ، حيث أن مؤلفه من أبناء الجزيرة نفسها وقد استقى من هذا المصدر، ياقوت الحموى ، والبكرى ، الكثير من المعلومات فى معجميهما .

وقد كان ابن بليهد ينوى أن يحقق هذا الكتاب ، ويعلق عليه فى الجزء السادس من كتاب " صحيح الأخبار " الا أنه كما أوضح فى مقدمته لكتاب " صفة جزيرة العرب " ظل يبحث عنه ، مدة طويله فى الحجاز ونجد وفى مصر ، فلم يتمكن من العثور عليه ولذلك يقول : " فأيقنت أن الكتاب أصبح فى حكم المعدوم وأصبح نشره أوجب على من التعليق عليه ، فتوكلت على الله ، وشرعت فى طبعه حتى يكون عملى أجدى على القراء ، وحتى يكون تعليقى على كتاب يقع بين أيديهم على طرف الثمام (١) "

الا أنه أخيرا تمكن من الحصول على نسخة من اليمن ، ارسلت اليه وهو حينذاك فى مصر فعزم على تحقيقها ، ومراجعتها ، حيث أنه قد تمرس بهذا العمل ، واعتاد عليه ، وساعده فى ذلك ، أن الهمدانى رحمه الله ، كان دقيقا فى وصفه ، ليس ممن يستندون على النقل من الكتب ، بل كان يطوف أرجاء الجزيرة ، ويتعين آثارها ، ويسجل كل ما شاهده فى تجواله درس ابن بليهد هذا الكتاب دراسة وافية متفحصة عدة مرات ، تبين له من خلالها ما يحويه الكتاب من الفوائد العظيمه ، كما اتضح له فى الوقت نفسه ، أن الهمدانى أنتهج فى مؤلفه منهج الرحاله كابن بطوطه وابن جبير وغيرهما ، فلم يترديث عند وصفه للبقاع ، ويورد ما قيل بها من أشعار الا نادرا ، بالاضافة الى أنه لم يكن خاليا من الاستطرد فى بعض المواطن .

" ولوضع ـ أى الهمدانى ـ ما صنع " ياقوت " فى معجمه فى تحديده للمواضع ، واستشهاده عليها بالأشعار الواردة فيها ،

---

(١) صفة جزيرة العرب " ص ٦

من أشعار الجاهلية والاسلام ، ليبلغ هذا الكتاب الصغير أضعاف حجمه (١)"
هذا عن كتاب صفة جزيرة العرب والدوافع التي شجعت ابن بليهد على
نشره ومراجعته وتصحيحه أما عن طريقة ابن بليهد ، في التعليق على
الكتاب ، فقد ارتأى أن يقوم بنشره أولا على صورة يراها هو مقاربة للصواب،
ثم بعد ذلك وفي آخر الكتاب ، يعلق عليه ويصححه ، ويعقب عليه ، "
وانك أيها القارئ الكريم "باخراج هذا السفر على هذا النحو - لظافر
بكتابين في كتاب واحد .

أولهما : صفة جزيرة العرب.

ثانيهما : تحقيق صفة جزيرة العرب ، الذى كنا سنصدر به الجزء السادس من كتابنا "صحيح الأخبار (٢)" ولقد بذل ابن بليهد جهدا كبيرا في سبيل تحقيق هذا الكتاب النفيس ، فيما ورد فيه من البقاع والجبال والأوديه والمياه والقرى العامرة والمندثرة ، والصحارى وغيرها ، حيث يسر قراءته للباحثين فقد أشار عند الحديث ، عن كل موضع ورد في الكتاب الى الصفحة والسطر اللذين يحددانه ، وساق كل ما يعرفه عنه من أخبار وأشعار وغيرها ، كما أنه أثبت في نهاية الكتاب كل ما راجعه أو علق عليه بفهرس خاص ، كي يسهل على القارئ الرجوع اليه .

وبالاضافة الى ذلك فان ابن بليهد بعد اكماله لطبع كتاب " صفة جزيرة العرب " اكتشف به أخطاء وليس المسئول عنها الهمداني ، وانما وردت تلك الأخطاء في الطبعه القديمة لم يتنبه لها الطابع والمصححون ، وقد وضع ابن بليهد فهرسا خاصا بهذه الأخطاء كي يسهل على القارئ تصحيحها بعد ذلك . ولتصوير المنهج العلمي السليم الذى اتبعه ابن بليهد والجهد الكبير الذى قدمه من أجل اخراج هذا الكتاب على الوجه المطلوب، يقول رحمه الله في ختام الكتاب : " قد انتهينا بحمد الله ومعونته وحسن

(١) المصدر السابق ص ٧

(٢) المصدر السابق ص٨

توفيقه من تحقيق البقاع الوارده في " صفة جزيرة العرب " لا نقلا عن الكتب ، ولا سماعا من الأفواه ، ولكن رأى العين ، وشد الرحال ، وحث القدم ، وبعد ذلك تثبت الأغلاط المطبعيه الواقعه في الطبعه الأولى ، ثم الأغلاط الواقعه ، في طبعتنا ، وبعده ، الفهرس لما حققناه من جبال وأوديه ومياه ، وبلدان ، عامرة وغامرة ، ثم فهرس الكتاب التابع للطبعه الأولى وبتمامها ، يتم الكتاب(1) وبعد فان كتاب " صفة جزيرة العرب " على هذه الصوره المصححه المحققيه ، يعد في الواقع من المصادر الرئيسية عن الجزيرة العربيه ، اذ هو من أجود وأوثق الكتب الجغرافيه والتاريخية المعتمده ".

" مذكراته "

كتب الشيخ محمد بن بليهد ثلاث مذكرات تحدث فيها عن تجوالـه ومغامراته في نواحي نجد ، وصور ما تجشمه من المشاق وصعوبة الأسفار وضيق العيش ، وهي في الحقيقة قصص واقعية ممتعه ، بعضها جرى للشيخ نفسه ، خلال رحلاته ، وبعضها الآخر ، نقلها أو سمعها من الأعراب الذين كان يحب الاختلاط بهم ، وسماع أخبارهم ، وقد سرد الشيخ محمد البليهد هذه المذكرات الثلاث فقط في آخر الجزء الخامس من " صحيح الأخبار " مفيدا بأن لديه مذكرات أخرى ، وأنه ينوى أن يجعل لهذه المذكرات كتاب مستقلا ، الا أنه لم يطبع حتى الآن ، هذا وقد استفسرت من ابنه عبدالله بشأن هذه المذكرات فيما اذا كان سوف يطبع هذه المذكرات في كتاب مستقل ، فأفاد ، بأن القدر لم يمهل والده لاكمالها ، ولا يوجد لديهم غير ما تم طبعه في نهاية الجزء الخامس من " صحيح الأخبار ".

وكان رحمه الله ، ينوى اخراج كتاب من : " فرسان جزيرة العرب في العصر الحديث " وقد أعد مادته في ذهنه تمهيدا لتدوينه ، فما جلـه القدر ... رحمه الله .

---

(1) صفة جزيرة العرب ص ٤٣١ .

***
**
*

خاتمـــــــــة :

لقد بدأت هذه الدراسه لحياة الشيخ " محمد بن بليهد " وشعـــره وآثاره ، وانتهيت منها وأنا أشد اندفاعا وحماسا الى هذا العمل ، وفـــى كثير من الأحيان ، أسائل نفسى عن سر هذا الاندفاع والحماس الشديديــن ، فطورا يكون جوابها ممزوجا بالراحة ، حينما اطمئن الى أن هذه الدراســـة مسا همة كبيره فى ميدان الأدب ، وخاصة للشعر والشعراء فى نجد عشـــم بالتشرف بالسبق فى دراسة هذا الرجل دراسة شامله . وطورا آخـــره يكون الجواب سلبيا ، فأشعر وكأن كتابتى رد لأولئك الذين لم يعطـــوا هـــذا الرجل حقه عند الكتابه عن الشعر والشعراء فى نجد ، ومع أن الكتابة عـــن الشعر والشعراء فى نجد ، مازالت قليله ، فاننا لا نعذر بقليل أو كثـــير ، ألا يدرس الشيخ محمد بن بليهد ، دراسة وافيه ، فمن الاجحاف أن يقتطـــع الاستاذ " عبد الله بن دريس " عضوا ساهم بالجزء الكبير فى نقل الحركـــة الفكرية والشعريه فى نجد من طور الى طور ، فمؤلف كتابه " شعراء نجـــد المعاصرون ، وقد خلا من ذكر اسمه ، وقد ذكر من قبله ومن بعده .

كما أننا لن نعذر الاستاذ محمد بن حسين ، الذى لم يكتب عنـــه الا ما يعرف به فقط ، ولكن مما يشفع له على هذا القصور ، أن كتابه محاضرات تبحث فى شئون وشخصيات أدبيه مختلفة ، ولا مجال فيها للاطاله فى موضـــوع معـــين .

وبرغم أن قلة ما كتب عن الأدب فى نجد يدعوا الى الأسى والأســـف ، الا أننى لا أتصف بذلك فى هذه الأثناء ، لأن فيه مخرجا ، لعدم كتابـــة أحد عن هذا الرجل .

وبما أن الحديث عن ابن بليهد ، هو حديث عن شعراء طبقتـــه فانه هو وطبقته ان لم يلقوا كثيرا من العناية والاهتمام ، فلأنهم قد وصمـــوا بعـــار التقليد !! ، ألم ينظر هؤلاء الى البارودى وكيف كان بتقليـــده المجدد الأول للشعر المعاصر ؟ ، ألم ينظروا الى معارضات الشعـــراء ،

وكيف زادتهم رفعة ومكانه فى القدره على المحاكاة والتـقليد ؟

لكن أحدا من هؤلاء لا يستطيع أن ينكر أن أولئك السابقين ، كـان لهم من الفضل على الشعرفى هذه البلاد ، ما قد لا يفوز به مدعوالتجديد فى تجديدهم ، فلقد فتحوا رحمهم الله للشعر المعاصر فى هذه الربـوع أبوابا كانت مستغلقة الظلمه والسواد ، وجددوا له من السهل الدوارس ، والمعالم الرواسى ، ما سما بهم الى مصاف الباعثين المجددين ، أولئك هم السابقون الأولون ، وكفى بالسبق من مدحة ومنحه .

وان التوى هؤلاء المتحاملون بدعواهم الى ضحالة أفكار شعـرا ء تلك الطبقة ، فانه من الصعب أن يقبل هذا الادعاء دون أن ينظر الـى أنهم فى عزلة تامة عن العلم والعالم ، ولم يقدر لهم الاطلاع ، علـى تلك النهضه الحديثه ، ووسائلها التثقيفيه المنوعه ، كالمدارس ، والمطابع والصحف ، والمذياع ، وغيرها ، مماله بعيد الأثر فى تكوين العقليـات المتجدده ، ذات النتاج الفكرى المنطبع بطابع العصر الحديث .

وان كان ابن بليهد قـد أدرك طرفا من مظاهر تلك الحضـاره الا أن ذلك فى أخريات حياته ومع ذلك فقد تأثر بهذا الجديد ، فقصيدته فى الغزل ووصفه العلم والتقدم فى مصر كان من نتيجة هذه النظـرة المتأخـره .

ان اقتناعى بدراسة هذا الشاعر الأديب المفكر ، جعلنى لا أشـير بل ولا أعترف بما لاقيته من صعوبة فى جمع مادته أو قلة مراجعه ، فاهتمامـى بأن تكون الدراسة واقعيه موضوعيه جعلنى أشق وراء هذا البحـث خاصـة فيما يتعلق بحياته ، حيث كانت مراجعها فى الغالـب شخصيـه .

ولقد بدأت هذه الدراسه بالقاء الضوء على مجريات الحياة السياسيه

والاجتماعيه والفكرية فى هذا الجزء من الوطن العربى الكبير ، مع ذكر المؤثرات والأحداث ، التى خلقت التفاعلات فى مجريات تلك الحياة .

ثم بدأت فى دراسة حياته ، وكيف نشأ وتعلم ، ثم كيف قادته عبقريته الى أن يسموا بفكره وعقله ، فواصل تثقيف نفسه بنفسه ، بعد أن احتقر بدائية تلك الدراسة ، ثم تتبعناه فى حياته الصاخبه ، وعرفنا أنها وسيلة لرزقه ، كما أنها من وسائل ثقافته ، وكيف أخذت عليه أسفاره ورحلاته جل حياته ، الى أن اتصل بالاسرة السعوديه التى لقى فى كنفها الحضوة والرعاية والمكانة الساميه ، فضلا عن أبناء مجتمعه ومن هم فى طبقته ، الذين ينظرون اليه نظرة الاكبار والاجلال ، بعد هذا تتبعت حياته الأخيره من سنه ١٣٦٨هـ الى سنة ١٣٧٧ هـ ، وما فيها من متاعب جسيمه الى أن أقعده المرض فتوفى من جرائه عام ١٣٧٧ هـ بعد أن قدم للعرب والعروبة من العطاءات الأدبية والفكرية أشياء كثيرة ، تقف كل دراسة عن تقييمها ، فقضى بذلك حق العروبه عليه .

ثم انتقلت الى الباب الثالث ، والمتعلق بشعره ، فبدأته بنبذة قصيرة عن الشعر فى عصره ثم عن شاعريته ، بعد ذلك تحدثت عن ديوانه ، ثم أغراضه ، بعد ذلك عقدت فصلا لدراسة شعره من الناحية الفنيه ، ودعمت تلك الدراسه بتحليل لاحدى قصائده ، ثم ختمت هذا الباب بكلمة موجزة عن الشعر الشعبى " النبطى " وموقف الشاعر منه ، ثم موقفى تجاهه .

بعد ذلك بدأت فى الحديث عن آثاره ، حيث أفردت لها بابا كاملا ، لكثرتها وأهميتها وقيمتها الكبيره ، وقد بينت أن الغالب على منهج هذه الكتب وخاصة كتاب " صحيح الأخبار ... " هو دراسة الأماكن الجغرافيه الموجوده فى الأشعار العربيه ، لهذا تجرأت

بتسميتها " بجغرافيه الأدب " لأنها تبحث فى تحديد الأماكن الموجـــودة فى هذا الأدب شعره ونثره أو باسم " الأدب الجغرافى " لأنهـا لا تبحـــث فى الأدب ، الا لاستخراج تلك الأماكن الجغرافيه وهذه الآثار للشيـــــخ محمد بن بليهد ، تعتبر سابقة يستحق عليها كل الاكبار والتقدير .

وأرجو فى نهاية هذه الدراسة أن أكون قد وفقت فى اعطاء هـــذا الرجل حقه ، من خلال ما القيته من أضواء على أعماله ومنجزاته فى عالـــم الفكر والأدب ..

والله أسأل التوفيق والســـداد .. ""

* * *
* *
*

فهرس المراجع

١ - ابتسامات الايام فى انتصارات الامام " ديوان " الشيخ محمد بن بليهد / مطبعة السنه المحمديه القاهره ١٣٧٠ هـ .

٢ - الأدب الحديث فى نجد - الأستاذ محمد بن حسين ، تحقيق وتعليق الدكتور - عبد السلام سرحان " الطبعه الأولى ١٣٩١ هـ .

٣ - الأدب العربى فى الاندلس وفى العصور الوسطى والحديثه - محمد سرحان - الطبعه السلفيه ١٣٧٨ هـ .

٤ - التيارات الادبيه فى قلب جزيرة العرب - عبد الله بن عبد الجبار - القاهره ١٣٨٦ هـ

٥ - النهضات الحديثه فى جزيرة العرب - الدكتور محمد عبد الله ماضى - الطبعه الثانيه ١٣٧٢ هـ .

٦ - النهضه الادبيه بنجد - حسن محمد الشنقيطى - الطبعه الأولى - ١٣٧٠ هـ .

٧ - ألوان - الدكتور طه حسين - دار المعارف بمصر - الطبعه الثالثه .

٨ - تاريخ نجد - ابراهيم بن عيسى - الطبعه الأولى ١٣٨٦ هـ اشراف الاستاذ حمد الجاسر .

٩ - خمسون عاما فى جزيرة العرب - حافظ وهبه - الطبعه الأولى ١٣٨٠ هـ مطبعه البابلى الحلبى بمصر .

١٠ - ديوان ابن عثيمين .

١١ - ديوان ابن مشرف .

١٢ - ديوان خالد الفرج .

١٣ - شعراء نجد المعاصرون - الاستاذ عبد الله بن دريس - الطبعه الأولى ١٣٨٠ هـ / دار الكتاب العربى بمصر .

١٤ - صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الآثار - الشيخ محمد بن عبد الله البليهد - مراجعة الأستاذ المرحوم محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السنه المحمديه ١٣٧٠ هـ .

١٥ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار - الشيخ محمد بن عبد الله البليهد الطبعه الثانيه ١٣٩٢ هـ .

١٦ - صفة جزيرة العرب - للحسن بن أحمد الهمدانى - نشر ، ومراجعة ، وتحقيق الشيخ محمد بن بليهد - مطبعة السعاده بمصر ١٩٥٣ هـ .

١٧ - عنوان المجد فى تاريخ نجد - عثمان بن بشر - تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ - الطبعه الثانيه ١٣٩١ هـ .

١٨ - كنز الأنساب ومجمع الأحساب - أحمد ابراهيم الحقيل - مطابع الرياض .

١٩ - لمحات عن التطور الفكرى فى جزيرة العرب - فهد المارك ١٣٨٢ هـ مطبعه ابن زيدون بدمشق .

٢٠ - ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه - الشيخ محمد بن بليهد - مخطوط .

٢١ - مجلة الحج - العدد الثانى عشر - سنه ١٣٦٩ هـ .

٢٢ - مجلة اليمامه العدد ٢٣٥ السنه الخامسه - الجمعه ٨ ذو الحجه ١٣٩٢ هـ .

٢٣ - موقع عكاظ - الدكتور عبد الوهاب عزام - طبع ونشر دار المعارف بمصر ١٣٦٩ .

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

٧ - الباب الرابـــع : -